

الشعر الاجتماعي في الأندلس في عصر بني الأحمر

إعداد

عبير عبد الله أمين الحسين

المشرف

الدكتور حمدي منصور

قُدِّمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في
اللغة العربية وآدابها

كلية الدراسات العليا
الجامعة الأردنية

آب ، ٢٠٠٧م

قرار لجنة المناقشة

نوقشت هذه الرسالة/ الأطروحة (الشعر الاجتماعي في الأندلس في عصر بني الأحمر)،
وأجيزت بتاريخ ٥ / ٨ / ٢٠٠٧ م.

التوقيع

أعضاء لجنة المناقشة



الدكتور حمدي منصور، مشرفاً

أستاذ الأدب الجاهلي/ الأندلسي

الأستاذ الدكتور صلاح جزار، عضواً

أستاذ الأدب الأندلسي

الدكتور محمد أبو حمدة، عضواً

أستاذ النقد القديم

الدكتور محمد الخلاليلة، عضواً

أستاذ النقد القديم (الجامعة الهاشمية).



الإهداء

إلى مروح والدي

إلى والدتي

وإلى إخوتي

شكر وتقدير

أشكر الله وأحمده عزّ وجلّ، وأشكر أستاذي الفاضل الدكتور حمدي منصور الذي احتفى بموضوع رسالتي منذ البدء ودعم خطواتي فيها ووجهها، وأقدّر له ما بذله من جهد لإعانتني على التهوض بها. كما أنرجي الشُّكر للأساتذة الأفاضل، أعضاء لجنة المناقشة:

الأستاذ الدكتور صلاح جرّار

الدكتور محمد أبو حمدة

الدكتور محمد المخاليلة

الذين تحمّلوا عبء قراءة هذه الرسالة، ومناقشتها، وإبداء الملاحظات، التي ستكون - بعون الله تعالى - محطّ اهتمامي وعنايتي، ولكل من ساهم في إنجاز هذه الرسالة.

المُحتوى

الموضوع	الصفحة
قرار لجنة المناقشة	ب
الإهداء	ج
شكر وتقدير	د
المحتوى	هـ-و
خارطة	ز
ملخص بلغة الرسالة	ح-ط
المقدمة	١
التمهيد	٥
- غرناطة: [حدودها، طبيعتها، نشأتها]	٦
- الحياة السياسية	١٦
- الحياة الاجتماعية	٣٣
- الحياة الاقتصادية	٣٧
- الحياة الثقافية	٤١
- الحياة الدينية	٤٧
الفصل الأول: تصوير الشعر الأندلسي الحياة الأسرية	٥٠
- مقدمة	٥١
- صورة الأب والزوج في الشعر الأندلسي	٥٣
- صورة الأم والزوجة في الشعر الأندلسي	٥٨
- صورة الأبناء في الشعر الأندلسي	٦٨
- صورة الجوارح في الشعر الأندلسي	٧٤
الفصل الثاني: تصوير الشعر الأندلسي عادات المجتمع وتقاليد وأخلاقه	٨٠
- مقدمة	٨١
- المثل والأخلاق	٨١
- الآفات الاجتماعية	٨٤
- النقد الاجتماعي	٩٠

٩٥	النظافة والحمامات
٩٩	التهادي بالورد
١٠٢	الأطعمة والأشربة
١٠٩	الملابس والزينة والعطور
١٤٠	الجنائز
١٤٤	الفصل الثالث: تصوير الشعر الأندلسي الأعياد والاحتفالات ووسائل التسلية
١٤٥	مقدمة
١٤٥	الأعياد والاحتفالات العامة والخاصة
١٦٥	مجالس الغناء والشراب في الشعر الأندلسي
١٨١	الخروج للنزهة
١٨٤	الألعاب
١٩٢	الصيد
١٩٥	الفصل الرابع: تصوير الشعر الأندلسي المهن والحرف
١٩٦	مقدمة
١٩٦	البناء والعمارة
١٩٧	الخباز
١٩٨	الجزارة
١٩٩	النسخ والوراقة
٢٠٢	التعليم والتأديب
٢٠٤	الحسبة
٢٠٦	الطب
٢٠٩	الصناعة
٢١١	الفصل الخامس: الخصائص الفنية
٢١٢	اللغة والأسلوب
٢٢٦	الصورة الشعرية
٢٣٢	الخاتمة
٢٣٤	ثبت المصادر والمراجع
٢٤٥	الملخص باللغة الإنجليزية



الشعر الاجتماعي في الأندلس في عصر بني الأحمر

إعداد

عبيد الله أمين الحسين

المشرف

الدكتور حمدي منصور

ملخص

تتناول هذه الدراسة موضوع "الشعر الاجتماعي في الأندلس في عصر بني الأحمر". وتكمن أهمية هذه الدراسة في التعرف إلى حياة أهل الأندلس في عصر بني الأحمر، وما وصل إليه الإنسان العربي في هذا البلد من معايير وأسس اجتماعية دلت على مرقته وتحضره؛ إذ يعد الشعر الاجتماعي مصدراً مهماً في نقل مظاهر الحياة الاجتماعية للشعوب، ومرآة تعكس رؤية الشاعر لما حوله.

وقد قامت هذه الدراسة على أساس منهج استقرائي وصفي تحليلي، واشتملت على تمهيد، وخمسة فصول، وخاتمة.

فتناول الفصل الأول الأشعار التي نظمت في تصوير الحياة الأسرية في غرناطة؛ إذ مرسم الشعر الاجتماعي صورة واضحة للعلاقة الأسرية التي سادت بين أفراد الأسرة الغرناطية.

وخصص الفصل الثاني للحديث عن عادات المجتمع الغرناطي وتقاليد ومثله الأخلاقية، وبين الشعر الاجتماعي تمسك المجتمع الغرناطي بالقيم والمثل الأخلاقية العربية والإسلامية، كما سجل الشعر عادة اجتماعية جُبِلَ عليها الأندلسيون واعتادوها ألا وهي تقديمهم لمظاهر

الفساد الاجتماعي . ووصف الشعر الاجتماعي ملابس أهل غرناطة، وزيّنتهم، وطعامهم، ومظاهر الجنائز عندهم .

أما الفصل الثالث، فتناول الحديث عن الأعياد والاحتفالات المختلفة التي احتفى بها أهل غرناطة وصورها الشعر الاجتماعي . كما جاء الشعر على وصف وسائل التسلية واللهو في المجتمع الغرناطي كمجالس الغناء والشراب، والخروج للنزهة، والألعاب، والصيد .

وتحدّث الفصل الرابع عن المهن والحرف في عصر بني الأحمر، إذ وصف الشعر الاجتماعي بعضاً منها كمهنة البناء والعمارة، ومهنة الخبّانر (الفرّان)، والجزّار، والنسخ والوراقة، والتعليم والتأديب، والمحسبة، والطب والصناعة .

واشتمل الفصل الخامس على الخصائص الفنيّة للشعر الاجتماعي في تلك الحقبة، فتم الحديث عن لغة ذلك الشعر وخصائصه الأسلوبية، والصورة الشعريّة، وانتهت الرسالة بجائمة فيها أهم النتائج التي توصل إليها الباحث .

مُقَدِّمَةٌ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد، موضوع هذه الرسالة هو "الشعر الاجتماعي في الأندلس في عصر بني الأحمر". وتكمن أهمية هذه الدراسة في التعرف إلى حياة أهل الأندلس في عصر بني الأحمر، وما وصل إليه الإنسان العربي في هذا البلد من معايير وأسس اجتماعية دلت على رقيه وتحضره، وذلك من خلال الشعر؛ إذ يعد الشعر الاجتماعي مصدراً مهماً قد لا نجد في غيره من المصادر ما يخبر عن الحياة الاجتماعية في الأندلس، فهو وثيقة أمينة في نقل ما رآه الشاعر من حوله بعيداً عن المنفعة أو المصلحة.

ولا بد من الإشارة هنا إلى أن المقصود بالشعر الاجتماعي هو: كل ما نظمه الأندلسيون من شعر اتصل اتصالاً وثيقاً بالمجتمع الذي عاشوا فيه. وليس المقصود به غرضاً شعرياً معيناً، بل هو تلك الموضوعات التي صدر فيها الشاعر عن ذاته وأحاسيسه تجاه مجتمعه.

ومما دفعني إلى هذه الدراسة أن أحداً لم يتطرق إلى دراسة الشعر الاجتماعي في هذه الحقبة الزمنية؛ إذ اهتمت معظم الدراسات بعصور الأندلس الأولى وأوقتها حقها من البحث والدراسة، وما جاء في بعض الدراسات من أشعار تصف الحياة الاجتماعية في عصر بني الأحمر، إنما جاء في معرض الحديث عن أغراض شعرية أخرى كالغزل والرثاء، أو في الحديث عن الخصائص الفنية للشعر الأندلسي في عصر بني الأحمر.

وقد وجدت دراسات تناولت الحديث عن الحياة الاجتماعية في الأندلس في عصر بني الأحمر، إلا أنها كانت دراسات تاريخية لم يتطرق الدارسون فيها إلى الشعر، مثل كتاب "غرناطة في ظل بني الأحمر" للدكتور يوسف شكري فرحات، وكتاب "مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر" للدكتور أحمد الطوخي.

أما دراسة د. حسن النوش "التصوير الفني للحياة الاجتماعية في الشعر الأندلسي" فقد صوّر فيها جوانب مختلفة من الحياة الاجتماعية في الأندلس، لكنه لم يف عصر بني الأحمر حقّه من الدراسة. وقد عرضت حسناء الطرابلسي في دراستها: "حياة الشعر في نهاية الأندلس" لبعض مظاهر الحياة الاجتماعية في عصر بني الأحمر.

وقد اعتمدت في دراستي هذه في الدرجة الأولى على دواوين الشعراء في هذا العصر، وعكفت على قراءتها واستخراج الأشعار التي تصف الحياة الاجتماعية في ذلك العصر. كما كان كتاب المقرئ "نفح الطيب"، وكتاب لسان الدين ابن الخطيب "الإحاطة في أخبار غرناطة" خير معين لي في هذه الدراسة، إضافة إلى كتب التراجم.

ولا ينكر للمراجع والمصنفات الحديثة من فضل على إتمام موضوع البحث ككتاب: "التصوير الفني للحياة الاجتماعية" للدكتور حسن النوش، وكتاب "غرناطة في ظل بني الأحمر" للدكتور يوسف شكري فرحات.

وقد واجهتني صعوبات جمة في دراستي هذه، أهمها: تحديد أفق هذه الدراسة، لأن جوانب الحياة الاجتماعية متعددة فلذلك اضطررت إلى ترك بعض الجوانب منها وعدم التعرّض لها كالحديث عن العمارة في عصر بني الأحمر. كما أنني نَبَهْتُ إلى الأمور التي لم أجد فيها مادة شعرية تصفها عسى أن تجد من تمكنه الظروف من الاطلاع على مصادر غير التي رجعت لها، فيجد فيها مادة شعرية تكشف ما غمض منها.

والصعوبة الأخرى التي واجهتني في هذه الدراسة أن الشعر الذي يصوّر الحياة الاجتماعية الأندلسية قد جاء في حالات غير قليلة ضمن قصائد طويلة متعددة الأغراض، وقد يبقى بيت أو بيتان شاهداً على الحياة الاجتماعية.

أما عن منهجي في هذه الرسالة، فقد اتبعت المنهج الاستقرائي الوصفي التحليلي، فعكفت على جمع المادة الشعرية من مظانها المختلفة وطفقت أدرسها وأصنفها وأحللها وأستخرج الشواهد الشعرية منها.

وقد بنيت هذه الدراسة على التمهيد وخمسة فصول وخاتمة .

قدمت في التمهيد لمحة عامة عن غرناطة: حدودها ونشأتها، وعن الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والدينية، لما في ذلك من أثر مهم في فهم صلة الشعر الاجتماعي بالحياة العامة .

وتناول الفصل الأول دراسة الحياة الأسرية من خلال الشعر، فتحدثت عن صورة الزوج والزوجة في الشعر الأندلسي، وبينت تلك الصلة الحميمة التي نشأت بينهما، كما تحدثت عن صورة الأبناء في الشعر الأندلسي وصلتهم بأبائهم وأمهاتهم .

أما الفصل الثاني، فكان تصوير الشعر الأندلسي عادات المجتمع الغرناطي وتقاليده، فتحدثت فيه عن المثل والأخلاق التي جبل عليها أهل غرناطة، وذكرت بعض الآفات الاجتماعية التي انتشرت في المجتمع الغرناطي، ونقد الشعراء لمظاهر الفساد الاجتماعي . ثم تحدثت عن وصف الشعر عادة التهادي بالورد، واهتمام أهل غرناطة بالنظافة وارتياحهم الحمامات . ثم ذكرت وصف الشعر الأندلسي للملابس أهل غرناطة وزينتهم وعطورهم، وكذلك ذكرت وصف الشعر الأطعمة والأشربة، ومظاهر الجنائز في غرناطة .

أما الفصل الثالث، فقد تناولت فيه الأعياد والمناسبات ووسائل التسلية واللهو في الشعر الاجتماعي، فتحدثت عن الأعياد والمناسبات الدينية وهي: شهر رمضان وعيد الفطر المبارك وعيد الأضحى وذكرى المولد النبوي الشريف ويوم عاشوراء والشعبانية، وعيد النيروز وعيد المهرجان، ووصف الشعر الأندلسي لها .

ثم تناولت الحديث في هذا الفصل عن وسائل التسلية في المجتمع الغرناطي، كمجالس الغناء والشراب والخروج للنزهة، ورحلة الصيد، وتصوير الشعر الأندلسي لها .

أما الفصل الرابع، فقد استعرضت فيه تصوير الشعر الأندلسي للمهن والحرف، ومن أهمها: البناء والعمارة، ومهنة الجزار والفران ومهنة النسخ والوراقة، والتعليم والتأديب، والحسبة، والطب والصناعة.

وفي الفصل الخامس، تحدّثت عن الخصائص الفنيّة للشعر الاجتماعي في تلك الحقبة، فتحدّثت عن اللغة والأسلوب والصورة الشعريّة.

وينتهي البحث بجائمة أجملت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها .

وفي الختام أتوجه بالشكر الجزيل إلى أستاذي الدكتور حمدي منصور لما أحاطني به من رعاية واهتمام، فأرشد ونصح وصوّب، فجزاه الله عني خير الجزاء .
والله ولي التوفيق فهو حسبي ونعم الوكيل .

عبير الحسين

مَهَيِّدٌ

- غرناطة: (حدودها، طبيعتها، نشأتها).
- الحياة السياسيّة.
- الحياة الاجتماعيّة.
- الحياة الاقتصاديّة.
- الحياة الثقافيّة.
- الحياة الدينيّة.

غرناطة: (حدودها، طبيعتها، نشأتها):

يقال غرناطة أو أغرناطة وهي اسمٌ أعجمي^(١)، وقيل إن الصواب أغرناطة بالهمز، ومعناه بلغتهم الرُّمانيَّة^(٢)، وقيل إنها سميت بذلك لكثرة حدائق الرمان فيها^(٣).
وكان يطلق على غرناطة أيضاً اسم "دمشق الأندلس"^(٤)؛ وذلك لأن جند دمشق نزلوها عند الفتح، وقيل إنما سميت بذلك لشبهها بدمشق في غزارة الأنهار، وكثرة الأشجار^(٥).

- حدودها -

لم تكن حدود مملكة غرناطة حدوداً مُستقرَّة ثابتة، بل إنها كانت تتسع وتضيق حسب ميزان القوة والظروف الحربيَّة والسياسيَّة بينها وبين جيرانها^(٦). ولكن يمكن أن نرسم لها الحدود الآتية منذ قيامها على يد محمد بن يوسف ابن الأحمر في أواسط القرن السابع الهجري:

""""""""""

(1) انظر: لسان الدين ابن الخطيب، أبو عبد الله محمد بن عبد الله السلماي (ت ٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م)، اللوحة البدرية في الدولة النصرانية، ط ٢، تحقيق محب الدين الخطيب، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٧٨م، ص ٢١؛ الإحاطة في أخبار غرناطة، ط ٢، ٤م، تحقيق محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٧٣م، ج ١، ص ٩١.

(2) انظر: المقري، أحمد بن محمد (ت ١٠٤١هـ/ ١٦٣١م)، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، الطبعة الجديدة، ٨م، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٤م، ج ١، ص ١٤٧؛ ياقوت الحموي، ياقوت بن عبد الله (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م)، معجم البلدان، ٥م، دار الكتاب العربي، بيروت، (د. ت)، ج ٤، ص ١٩٥.

(3) انظر: الطوخي، أحمد محمد، مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٩٧م، ص ٤٨.

(4) انظر: المقري، نفع الطيب، ج ١، ص ١٤٧.

(5) انظر: المصدر نفسه، ج ١، ص ١٤٨.

(6) انظر: زمامة، عبد القادر (١٩٧٦م)، بنو الأحمر في غرناطة، مجلة البحث العلمي، الرباط، مج ٢٦، السنة الثالثة

تقع مملكة غرناطة جنوب شرقي الجزيرة الإيبيرية وتفتح حدودها الشرقية على البحر المتوسط، وتشمل شمالاً منطقة ألمرية^(١)، وتمتد جنوباً حتى جبل الفتح أو جبل طارق^(٢). أما حدودها الغربية فتنتهي عند سفوح الجبل الأحمر (سييرا مورينا)^(٣) والوهاد التابعة لمنطقة نهر الوادي الكبير^(٤). ويحدها من الشمال ولايات جيان وقرطبة وإشبيلية، ومن الشرق ولاية مرسية وشاطيء البحر المتوسط الممتد منها إلى الجنوب ومن الغرب ولاية قادس^(٥) وأرض

~~~~~

<sup>(١)</sup> ألمرية: من أهم الثغور الإسلامية في العهد الإسلامي، بناها الخليفة الأموي الناصر لدين الله عبد الرحمن بن محمد سنة ٣٤٤هـ / ٩٥٥م، وهي من أشهر مراسي الأندلس وعليها سور حصين، واشتهرت بصناعة آلات النحاس والحديد، واشتهرت بالحلل والديباج وصنوف أنواع الحرير، وفيها الكثير من الفواكه. انظر: الحميري، محمد بن محمد بن عبد المنعم (٩٠٠هـ / ١٤٩٥م)، الروض المعطار في خبر الأقطار، ط٢، تحقيق إحسان عباس، مكتبة بيروت، ١٩٨٤م، ص ٥٣٧؛ القلقشندي، أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م)، صبح الأعشى، ١٤م، المكتبة الخديوية، القاهرة، ١٩١٥م، ج ٥، ص ٢١٧؛ المقرئ، فتح الطيب، ج ١، ص ١٦٣.

<sup>(٢)</sup> جبل طارق: وهو جبل الفتح، وبه نزل طارق بن زياد مولى موسى بن نصير عند جوازه فنسب إليه فيقال له جبل طارق، وجبل الفتح، لأن مبدأه كان منه. انظر: ابن بطوطة، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ت ٧٧٩هـ / ١٣٧٧م)، رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ط٤، تحقيق علي المنتصر الكثاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥م، ج ٢، ص ٧٦٧؛ مجهول، ذكر بلاد الأندلس، تحقيق لويس مولينا، مدريد، ١٩٨٣م، ص ٩٨؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٥، ص ٢١٩.

<sup>(٣)</sup> الجبل الأحمر (سييرا مورينا): جبال في شمال الأندلس فيها جبل العروس الذي تقع قرطبة في سفحه. انظر: مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص ١٠.

<sup>(٤)</sup> انظر: فرحات، يوسف شكري، غرناطة في ظل بني الأحمر: دراسة حضارية، ط١، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٢م، ص ١١.

<sup>(٥)</sup> ولاية قادس: جزيرة بالأندلس، قرب طالقنة من مدن إشبيلية، تقع في حلق وادي إشبيلية وأرضها سهل، وفيها آبار عذبة، تشتهر بآثارها العجيبة، منها صنم قادس الذي يرتفع في الهواء مائة ذراع. انظر: مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص ٦٥-٦٧؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٤٤٨.



الفرتيرة<sup>(١)</sup>. ويمكن للمسافر أن يجتاز البلاد سيراً على الأقدام من الشمال إلى الجنوب في عشرة أيام، ومن الشرق إلى الغرب في ثلاثة أيام<sup>(٢)</sup>.  
وتنقسم هذه المملكة إدارياً إلى ثلاث ولايات كبرى هي:

أ- ولاية غرناطة، وعاصمتها غرناطة: تقع في الوسط، وتمتد جنوباً حتى البحر الأبيض، وأهم مدنها: العاصمة غرناطة، ووادي آش<sup>(٣)</sup>، والحامة<sup>(٤)</sup>، ولوشة<sup>(٥)</sup>، وأشكر، وحصن اللوز، وسطة<sup>(٦)</sup>،

""""""""""

<sup>(١)</sup> أرض الفرتيرة: هي بسيف قرطبة وإشبيلية وطليطلة وجيان، أخذة من جوف الجزيرة من المغرب إلى المشرق. انظر: ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م)، التعريف بابن خلدون ورحلته شرقاً وغرباً، دار الكتاب اللبناني ومكتبة المدرسة، بيروت، ١٩٨٣م، ج ١، ص ٨٠٤.

<sup>(٢)</sup> انظر: ابن الأحمر، أبو الوليد إسماعيل بن يوسف (ت ٨٠٧هـ / ١٤٠٤م)، نثر فرائد الجمان في نظم فحول الزمان، تحقيق محمد رضوان الداية، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٧م، ص ١١.

<sup>(٣)</sup> وادي آش: ويقال وادي آش أو وادي الآشات. وهي مدينة حسنة بديعة، منيعة جداً، بينها وبين غرناطة أربعون ميلاً، كثيرة الفواكه والمزارع. تطرد حولها المياه والأنهار، وينحط نهرها من جبل شلير وهو في شرقيها. وهي شديدة البرد لقربها من جبل شلير. انظر: الحميري، الروض المعطار، ص ٦٠٤؛ الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن محمد (ت ٥٦٠هـ / ١١٦٥م)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ط ١، ٢، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٩م، ص ٥٦٧؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ص ١٩٨؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٥، ص ٢١٢.

<sup>(٤)</sup> الحامة أو الحمة، بلدة صغيرة تقع شرقي بلش مالقة، وهي من أحسن البقاع، والبحر على ثلاثة أميال منها، ولها مرسى عليه حصن يعرف بالمدارج، والمراكب سائرة به راجعة عليه. وفيها مسجد بديع الوضع عجيب البناء. وفيها العين الحارة على ضفة وادياها، وبيت لاستحمام الرجال وآخر لاستحمام النساء. انظر: ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ج ٢، ص ٧٦٨؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٢٠٠.

<sup>(٥)</sup> لوشة: بالفتح ثم السكون وشين معجمة، مدينة تقع غربي البيرة قبل قرطبة منحرفة يسيراً، وهي مدينة طيبة على نهر غرناطة الشهير بشنيل، وهي ذات أنهار وأشجار، وفيها معدن للفضة جيد، ومنها لسان الدين ابن الخطيب، نشأ فيها فكانت لها في قلبه دائماً منزلة الأم، وكان يسميها "بنت الحضرة" أي بنت غرناطة وأحياناً يسميها "قبة غرناطة" اعترازاً بها. انظر: المقرئ، فتح الطيب، ج ١، ص ١٤٨؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٥، ص ٢٦؛ ابن الخطيب، الإحاطة، ج ١، هامش ص ٤١٩.

<sup>(٦)</sup> سطة: بالفتح، مدينة من أعمال جيان، حسنة الموضع عامرة أهلة، لها أسوار حصينة وسوق نظيفة، وديار حسنة البناء رائعة المعنى، هي مدينة كثيرة الخيرات والبركات والزرع والضرع، يصنع بها الحرير وبها الزعفران =



ودلاية<sup>(٢)</sup> وأندرش<sup>(٣)</sup>.

ج- ولاية مآلقة، وعاصمتها مآلقة<sup>(٤)</sup>: وتعتبر العاصمة الثانية لبني الأحمر، كانت عاصمة الحموديين والأدارسة من ملوك الطوائف، وهي مدينة قديمة يرجع تاريخ تأسيسها إلى الفينيقيين عام ١٢٠٠ قبل الميلاد<sup>(٥)</sup>.

وتقع على البحر غربي غرناطة. وأهم مدنها: ثغر مآلقة، وبلش مآلقة<sup>(١)</sup>،

<sup>(1)</sup> بُرْجَة: مدينة ضمن إقليم بجانة، وهي على نهر بهيج يعرف بوادي عذراء، وهو محدد بالأزهار والأشجار، وفيها معدن الرصاص، وتسمى برجة "بهجة" لبهجة منظرها. انظر: الإدريسي، نزهة المشتاق، ج ٢، ص ٥٣٧؛ المقري، فتح الطيب، ج ١، ص ١٥٠؛ ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج ٢، ص ٢٢٨.

<sup>(2)</sup> دلاية: بلد قريب من ألمرية من سواحل بحر الأندلس، وفيها حصن يعرف باسمها. انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ٤٦؛ مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص ١٢.

<sup>(3)</sup> أندرش مدينة من أعمال ألمرية، تقع على نهر باسمها، وهي مدينة ظريفة كثيرة الخصب، وتختص بالفخار لجودة تربتها، فليس في الدنيا مثل فخارها للطبخ. انظر: الحميري، الروض المعطار، ص ٤٢؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٥، ص ٢٢١؛ المقري، فتح الطيب، ج ١، هامش ص ١٦٦.

<sup>(4)</sup> مآلقة: بفتح اللام والقاف، كلمة أعجمية، مدينة عامرة أهلة كثيرة الديار، ويحيط بها من جميع جهاتها شجر التين المنسوب إليها، كثيرة الخيرات والفواكه، وفيها دار صناعة لإنشاء المراكب، وهي مختصة بعمل صنائع الجلد وصنائع الحديد، وفيها الفخار المذهب ومسجدها كبير الساحة شهير البركة. انظر: الحميري، الروض المعطار، ص ٥١٧-٥١٨؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٥، ص ٤٣؛ ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ج ٤، ص ٧٦٨؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٥، ص ٢١٨-٢١٩.

<sup>(5)</sup> لسان الدين ابن الخطيب، ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام، ط ١، تحقيق محمد الشريف قاهر، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، ١٩٧٣م، المقدمة، ص ١٩.

وطرُش<sup>(٢)</sup>، وقَمَارِش<sup>(٣)</sup>، وأرُشْدُونَة<sup>(٤)</sup>، وأنتقيرة<sup>(٥)</sup>، ورُنْدَة<sup>(٦)</sup> ومرَبَلَة<sup>(٧)</sup>. ويلحق بها منطقة جبل طارق والجزيرة الخضراء<sup>(٨)</sup> وطريف<sup>(٩)</sup>.

~~~~~

(1) بَلَش مَالَقَة: مدينة حسنة بها مسجد عجيب، وفيها العنب والفواكه والتين، بينها وبين مالقة أربعة وعشرون ميلاً. انظر: ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ج ٢، ص ٧٦٨؛ مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص ٦٨؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٥، ص ٢١٨.

(2) طرُش: تقع على الساحل الشرقي، وهي من كور البيرة، وهي تعد اليوم في مديرية مالقة. انظر: المقرئ، نفح الطيب، ج ٣، هامش ص ٣٢ و ص ٥٠.

(3) قَمَارِش: وهي من حصون مالقة، كثيرة الزيتون والعنب. انظر: مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص ٦٨.

(4) أرُشْدُونَة: بالضم ثم السكون، وضم الشين المعجمة والذال المعجمة، وواو ساكنة، ونون وهاء، وهي قاعدة كورة رية ومنزل الولاية والعمال، وهي بقلي قرطبة، تسقي أرضها وتطرّد في نواحيها عيون غزار وأنهار كبار، وهي بيرة بحرية، ولها حصن فوق المدينة ولها مدن كثيرة، وفيها آثار قديمة. انظر: الحميري، الروض المعطار، ص ٢٥؛ ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ١٥٢.

(5) أنتقيرة: وهي حصن من حصون مالقة تقع بين مالقة وغرناطة، وبينه وبين مالقة خمسة وثلاثون ميلاً. انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ٢٥٩؛ الإدريسي، نزهة المشتاق، ج ٢، ص ٥٧٠؛ مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ج ١، ص ٦٨.

(6) رُنْدَة: بضم أوله وسكون ثانيه، وفتح الدال المهملة وهاء في الآخر، معقل حصين من أعمال تاكربنا، وهي مدينة خصيبة أرتية ذات زرع ووضوع كثيرة الخيرات، وأهلها موصوفون بالجمال ورقة البشرة واللطافة، وبينها وبين الجزيرة الخضراء مسيرة ثلاثة أيام، وفيها آثار كثيرة، ويقربها عين تعرف بالبراوة. انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٣، ص ٧٣؛ مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص ٦٨؛ الحميري، الروض المعطار، ص ٢٦٩؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٥، ص ٢٢٠.

(7) مرَبَلَة: وفي صبح الأعشى مرَبَلَة، مدينة صغيرة مما يلي مالقة من الغرب على الساحل، وفيها الفواكه الكثيرة والسّمك. انظر: الحميري، الروض المعطار، ص ٥٣٤؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٥، ص ٢١٩.

(8) الجزيرة الخضراء: وهي مدينة على ضفة بحر الزقاق، وهي بيرة بحرية ذات مياه عذبة، وهواء معتدل وزرع ووضوع، ومرساها أقرب المراسي إلى العدو وأوطاها، ونهرها يعرف بوادي العسل، ويقال إنها مدينة الجدار الذي أقامه الخضر. انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ١٣٦؛ مجهول، ذكر بلاد الأندلس، ص ٦٧-٦٨؛ القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٥، ص ٢٢٠.

(9) انظر: محمد عبد اله عنان، نهاية الأندلس، ص ٥٥.

ويبلغ طول مملكة غرناطة سبعاً وعشرين درجة وثلاثين دقيقة، وعرضها سبعاً وثلاثين درجة وعشر دقائق^(١).

- طبيعتها -

تميّزت مملكة غرناطة بموقع حسن، قريب من الاعتدال في أكثر الأحوال، فهي حصينة، منيعة، طيبة الهواء، غزيرة المياه، لا يجري بها الريح إلا نادراً لاكتناف الجبال إياها، مكشوفة للهواء إلا من جهة الشمال، وسيطها يمتد على مسيرة يومين بين مجالات محضرة، وأشجار ملتقة، ومياه جارئة^(٢).
وتحترق هذه المملكة سلسلة من جبال الثلج "شليلر" أو ما يسمّى حالياً "سيرانفادا"، وهي جبال شاهقة الارتفاع لا يفارقها الثلج شتاءً وصيفاً^(٣). وفيها يقول ابن شبرين^(٤):

رَعَى اللهُ مَنْ غرْنَاطَةَ مُبَبَّوًّا يَسْرُ حَزِينًا أَوْ يُجِيرَ طَرِيدًا
تَبَرَّمَ مِنْهَا صَاحِبِي عِنْدَمَا رَأَى مَسَارِحَهَا بِالثلْجِ عُذْنُ جَلِيدًا
هِيَ الثَّغْرُ صَانَ اللهُ مَنْ أَهَلَّتْ بِهِ وَمَا خَيْرُ ثَغْرٍ لَا يَكُونُ بِرُودًا^(٥)

~~~~~

(١) انظر: لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة، ج ١، ص ٩٤.

(٢) انظر: الدوسري، أحمد ثاني، الحياة الاجتماعية في غرناطة في عصر دولة بني الأحمر، الجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٤م، ص ٣٣-٣٤.

(٣) انظر: لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة، ج ١، ص ٩٦؛ المقري، نفع الطيب، ج ١، ص ١٤٨.

(٤) هو محمد بن أحمد الجذامي، يكتنى بأبي بكر، مؤرخ، أديب، من القضاة، أصله من حصن شلب بإشبيلية، وولد في سبتة أواخر عام ٦٧٤هـ. ارتسم بالكتابة السلطانية وولي القضاء بعدة جهات. وتوفي بغرناطة عام ٧٤٧هـ.

انظر: لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة، ج ١، ص ٢٣٩؛ ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي (ت ٨٥٢هـ/ ١٤٤٩م)، الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، دار الجيل، بيروت، ج ٣، ص ٣٤٩.

(٥) انظر: لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة، ج ١، ص ٩٧؛ المقري، نفع الطيب، ج ١، ص ١٧٧، ١٧٨.

وتحترقها أيضاً هضاب البشرات الوعرة المسالك . وتقطعها عدّة أنهار مثل نهر شنيل الذي يُعدّ فرعاً من الوادي الكبير، ونهر المنصورة<sup>(١)</sup>، ونهر حدرة<sup>(٢)</sup> . وتنتشر سهولها الخضراء المترامية الأطراف والتي تمدّ المملكة بثروة زراعية هامة . كما غنيت جبال غرناطة ووهادها بأنواع المعادن والأحجار الكريمة، فجاءت مملكة غنية في كل شيء ، تغري كل ذي طموح بأن ينازع في الملك ويستقل بالأمر .

ويحيط بمدينة غرناطة فحصها الشهير بكثرة مزرعاته وسائنه الخصبه التي كانت تُعرف بالجنّات منها : جنّة العريف، وجنّة النخلة العليا، والنخلة السفلى، وجنّة ابن عمران، ومدرج نجد، ومدرج السبيكة وغيرها من الجنان<sup>(٣)</sup> .

وقد أسهب علماء الجغرافية والتاريخ والأدب في وصف مملكة غرناطة وبسط مآثرها ومحاسنها، وفيها يقول ابن الخطيب: "ومن فضائلها أن أرضها لا تعدم زريعة ولا ربعا أيام العام، وفي عملتها المعادن الجوهريّة من الذهب، والفضّة، والرصاص، والحديد، والتوتيا والمرقشيشا<sup>(٤)</sup> والازورد<sup>(٥)</sup>، وبجبالها وبطاحها الأندارسيون<sup>(٦)</sup>، والسنبل، والجنطيانا<sup>(٧)</sup>، وبشعرائها القرمز<sup>(٨)</sup> إلى

~~~~~

(١) انظر: ابن الأحرر، نثر فرائد الجمان، ص ١٢ .

(٢) انظر: يا قوت الحموي، معجم البلدان، ص ١٩٥ .

(٣) انظر: لسان الدين ابن الخطيب، اللوحة البدرية، ص ٢٣؛ الحبازي، مشهور عبد الرحمن (١٩٨٣)، ديوان أبي الحسن بن الجياب، رسالة ماجستير، الجامعة الأردنية، عمّان، الأردن، ص ٣ .

(٤) المرقشيشا: وفي الإحاطة مرقشينة، وفي تكملة المعاجم العربية مرقشيثا ومرقشيطا أي القصدير . انظر: رينهارت، دوزي، تكملة المعاجم العربية، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٦٨، ج ٢، ص ٥٩٢ .

(٥) الازورد وفي الإحاطة اللازورد، وهو نوع من المعادن . انظر: رينهارت دوزي، تكملة المعاجم العربية، ج ٢، ص ١٩٥ .

(٦) الأندارسيون: وفي الجامع لمفردات الأدوية والأغذية هو الأندارسيون ويعرف بـ(بربطوره) وهونبات رقيق الساق وله زهر لونه أصفر مائل إلى السواد ثقيل الرائحة، ينبت في جبال مظلمة بالشجر، وله استخدامات طبية عديدة . انظر: ابن البيطار، ضياء الدين عبد الله بن أحمد (ت ٦٤٦هـ/١٢٤٨م)، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، المجلد الثالث، ص ٢٠٧ .

(٧) الجنطيانا: وهونبات طبي، له مكانه من الأدوية الترياقية . انظر: لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة، ج ١، ص ٩٨ .

غلة الحرير الذي فضلت به تجراً وقتيةً هذه الكورة فلا يشار كها في ذلك إلا البلاد العراقية مقصورة عن رقة ولدونة وعثاقه^(٢).

ويقول فيها ابن بطوطة في رحلته: "ثم سافرت منها إلى غرناطة، قاعدة بلاد الأندلس وعروس مدنها، وخارجها لا نظير له في بلاد الدنيا، وهو مسيرة أربعين ميلاً، يخترقه نهر شنيل المشهور، وسواه من الأنهار الكثيرة، والبساتين، والرياض، والقصور، والكروم، محدقة بها من كل جهة. ومن عجيب مواضعها عين الدمع، وهو جبل فيه الرياض والبساتين لا مثل له بسواها"^(٣).

وقد امتدحها أحد شعرائها قائلاً^(٤):

غرناطة ما لها نظيرُ ما مصرُ، ما الشامُ، وما العراقُ
ما هي إلا العروسُ تجلّى وتلك من جملة الصداقُ

- نشأتها -

كانت غرناطة أبان الفتح الإسلامي للأندلس مدينة صغيرة من أعمال ولاية "إلبيرة"، تقع على مقربة من مدينة إلبيرة قاعدة الولاية من الناحية الجنوبية، افتتحها المسلمون عقب انتصارهم على القوط بقيادة طارق بن زياد فاتح الأندلس في موقعة شريش في رمضان عام ٩٢ هـ.

~~~~~

(١) قرمز: صبغ أحمر، ويقال إنه حيوان تصبغ به الثياب فلا يكاد ينصل لونه. انظر: ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم (ت ٧١١ هـ / ١٣١١ م)، لسان العرب، ط ٣، ١٨ م، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٤ م، مادة: قرمز.

(٢) لسان الدين ابن الخطيب، المححة البدرية، ص ٢٢ - ٢٣.

(٣) ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ج ٢، ص ٧٦٨؛

(٤) المقرئ، نفح الطيب، ج ١، ص ١٤٨؛ أزهار الرياض في أخبار عياض، تحقيق مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ شلبي، م، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٣٩، ج ١، ص ٥٥.

واستمرت مدينة البيرة قاعدة لهذه الولاية ومركز قضائها في ظل الدولة الأموية، حتى أواخر القرن الرابع حينما انهارت الخلافة الأموية، وتعاقت الفتن، وعات البربر في النواحي، وخربت مدينة البيرة شيئاً فشيئاً حتى غدت غرناطة قاعدة الولاية مكانها، وغلب اسم غرناطة على الولاية نفسها، ومن ذلك الحين اختفى اسم البيرة كقاعدة من قواعد الأندلس، وذكر مكانها اسم غرناطة<sup>(١)</sup>.

وعقب انهيار الدولة الأموية في أواخر القرن الرابع، وقعت غرناطة يومئذ في نصيب البربر، واستولى عليها زعيم صنهاجة زاوي بن زييري واتخذها دار ملكه<sup>(٢)</sup>. واستقر زاوي في حكم غرناطة وأعمالها بضعة أعوام، ثم غادرها إلى دار قومه في تونس واستخلف عليها ابن أخيه حبوس ابن ماكسن، ثم خلفه ولده باديس. ولما توفي باديس المظفر، خلفه في حكم غرناطة وأعمالها حفيده عبد الله بن بُلْكِين بن باديس، واستمر في حكمها إلى أن عبر المرابطون البحر إلى الأندلس سنة (٤٨٣هـ) بقيادة عاهلهم يوسف بن تاشفين، واستولوا عندئذ على غرناطة، واستمر المرابطون في حكمها زهاء ستين عاماً<sup>(٣)</sup>.

واضطرب المرابطون لتسليمها إلى الموحيدين سنة (٥٥١هـ) بعد انهيار دولتهم في المغرب، ولبثت غرناطة في أيدي الموحيدين يتناوب حكمها الأمراء والسادة من بني عبد المؤمن وقرابته، حتى كانت ثورة أبي عبد الله محمد بن يوسف بن هود سليل بني هود أمراء سرقسطة السابقين على الموحيدين وانتزاعه معظم قواعد الأندلس من أيديهم، لكن ابن هود ما لبث أن توفي في أوائل سنة (٦٣٥هـ) وانهارت بوفاته دولته التي لم يتح لها كثير من أسباب الاستقرار والتوطد<sup>(٤)</sup>. وعندئذ ظهر

(١) انظر: الحميري، الروض المعطار، ص ٤٥، محمد عبد الله عنان، نهاية الأندلس، ص ٢١ - ٢٥.

(٢) انظر: محمد عبد الله عنان، نهاية الأندلس، ص ٢٧.

(٣) انظر: لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة، ج ١، ص ١٤٠.

(٤) انظر: محمد عبد الله عنان، نهاية الأندلس، ص ٣٨.



محمد بن يوسف النصرى المعروف "بابن الأحمر" سليل بني نصر - وهم في الأصل سادة حصن أرجونة من أعمال ولاية جيان ويرجع نسبهم إلى سعد بن عبادة سيد الخزرج، وأعلن أهل غرناطة طاعتهم له في يوم من أواخر أيام رمضان سنة ٦٣٥هـ، وبذا غدت غرناطة حاضرتة ومقر حكمه (١).

### الحياة السياسيّة:

حكّم بنو الأحمر غرناطة، وراثته؛ إذ تولى حكمها - خلال القرنين والنصف - حوالي عشرين من الأمراء، الذين أطلق على كل واحد منهم لقب: "أمير المسلمين" (٢). تولى بعضهم الحكم أكثر من مرة، وكان كثير منهم يمتازون بالهمة والصدق والجهاد الكريم والدأب المستمر، ويتمتع بطاقات متعدّدة الجوانب: عسكرية، وعلميّة، وإدارية (٣). واستمر الملّك في بني الأحمر إلى سقوط غرناطة لا ينازعهم في ملكها أحد سواهم، إلا أنّ بأسهم كان بينهم، يشغب بعضهم على بعض ويستعين كل متشوّف إلى الحكم باللفيف والغوغاء، والناعقين بالخلعان، الشرهين على تبديل الدّعوات، المعلنين بسوء الجوار وملال الأيالات (٤).

" " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " " "

(١) انظر: المصدر نفسه، ص ٣٩.

(٢) انظر: الحجّي، عبد الرحمن علي، التاريخ الأندلسي منذ الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، ط ١، دار القلم، دمشق - بيروت، ودار القلم، الكويت - الرياض، ١٩٧٦، ص ٥٦٢.

(٣) انظر: المصدر نفسه، ص ٥٦٢ - ٥٦٣.

(٤) انظر: لسان الدين ابن الخطيب، اللوحة البديّة، ص ٨٣؛ ابن الأحمر، تثير فرائد الجمان، ص ١٥.





(٦٦٥هـ) عن عدد كبير من البلاد والحصون منها شريش والمدينة والقلعة، وقيل إن ما أعطاه ابن الأحمر يومئذ من البلاد والحصون المسورة للنصارى بلغ أكثر من مئة موضع، ومعظمها في غربي الأندلس وبذا عقد السلم بين الطرفين مرة أخرى.

عاد النصارى إلى التحرك والتحرش بالمملكة الإسلامية، إذ لا يحافظ العدو على عهد وميثاق كعاداته، وسار ملك قشتالة ألفونسو العاشر إلى الجزيرة الخضراء فعاث فيها، وعاد ابن الأحمر يتوجس شراً من ثبات النصارى، فبعث إلى أمير المسلمين السلطان أبي يوسف المريني ملك المغرب يطلب منه الغوث، لكن ابن الأحمر لم يعش ليرى نتيجة هذه الدعوة إذ توفي بعد ذلك بقليل.

توفي محمد ابن الأحمر سنة ٦٧١هـ وخلفه في الملك ولده وولي عهده أبو عبد الله محمد ابن محمد بن يوسف الملقب بالفقيه لعلمه وتقواه، وامتد حكمه من (٦٧١ - ٧٠١هـ / ١٢٧٢ - ١٣٠٢م) (١).

وهو الذي رتب رسوم الملك للدولة النصرية، ووضع ألقاب خدمتها، ونظم دواوينها وجبايتها، وخلع عليها بذلك صفتها الملوكية الزاهية، وفي ذلك يقول ابن الخطيب "كان هذا السلطان أوجد الملوك جلاله وصرامة وحزمه، مهد الدولة الذي وضع ألقاب خدمتها، وقدر مراتبها واستجاد أبطالها وأقام رسوم الملك فيها واستدرج جبايتها مستظهاً على ذلك بسعة الذرع وأصالة السياسة، ورصانة العقل، وشدة الأسر، ووفور الدهاء، وطول الحنكة وتملؤ التجربة، مליح الصورة، تام الخلق، بعيد الهمة، كريم الخلق، عظيم الصبر كثير الأناة" (٢).

ولأول عهده نشط ملك قشتالة ألفونسو العاشر إلى محاربة المسلمين، ولم يكن ملك غرناطة بغافل عن الخطر الذي يهدده من مشاريع قشتالة، وكان محمد ابن الأحمر (المؤسس) قد أوصى ولده

""""""""""

(1) انظر: لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة، ج ١، ص ١٤٢، ٥٥٦؛ محمد عبد الله عنان، نهاية الأندلس، ص ٩٤.

(2) لسان الدين ابن الخطيب، اللوحة البدرية، ص ٥٠؛ الإحاطة، ج ١، ص ٥٥٧.

بالحرص على مخالفة بني مرين ملوك العدو والاستنجاد بهم كلما لاح شبح الخطر الداهم. وقد شاء القدر أن تلعب دولة بني مرين وريثة المرابطين والموحدين في حوادث الأندلس الداخلية والخارجية أعظم دور<sup>(١)</sup>. فقد أرسل محمد الفقيه عقب ولايته بقليل وفداً من أكابر الأندلس إلى ملك المغرب أبي يوسف المنصور يحمل إليه رسالة استغاثة مؤثرة، فشرحوا له حال الأندلس من الضعف ونقص الأهبة وتكالب العدو والقوى عليها واستصرخوه للغوث والجهاد، ثم تابعت رسل ابن الأحمر وبني أشقيلولة أصهار بني الأحمر إلى السلطان أبي يوسف ينوهون بالخطر الداهم الذي يهدد الأندلس ويلتمسون إليه المبادرة بالإسعاف والإمداد، فاستجاب السلطان أخيراً لدعوتهم وكتب إلى ابن الأحمر يطمئنه ويعرب عن عزمه على الجواز إلى الأندلس في فاتحة سنة (٦٧٤هـ)<sup>(٢)</sup>.

كان أبو يوسف قد اشترط على ابن الأحمر حينما استنجد به، أن ينزل له عن بعض الثغور والقواعد الساحلية، لتنزل بها جنوده في الذهاب والإياب، فنزل له عن رنودة وطريف والجزيرة، وغزا السلطان أبو يوسف أراضي قشتالة وألحق بها الهزائم وغنم منها الكثير، ثم عبر البحر إلى المغرب في أواخر شهر رجب (٦٧٤هـ) بعد أن قضى بالأندلس زهاء خمسة أشهر<sup>(٣)</sup>.

وفي سنة ٦٨٥هـ توفي السلطان أبو يوسف المنصور، وخلفه على عرش المغرب ولده الأمير أبو يعقوب، وكان مثل أبيه معنياً بشؤون الأندلس خبيراً بها، واستمرت علائق بلاط غرناطة وبني مرين أعواماً أخرى على حالها من المودة والصفاء.

(١) انظر: محمد عبد الله عنان، نهاية الأندلس، ص ٩٧.

(٢) انظر: محمد عبد الله عنان، نهاية الأندلس، ص ٩٨.

(٣) انظر: المصدر نفسه، ص ١٠١.

كانت العلاقة بين بني الأحمر وبني مرين تثير قلق سانشو ملك قشتالة، فسعى إلى محاربة ابن الأحمر وحذره من ثبات المغاربة واستيلائهم على الثغور الأندلسية ولا سيما ثغر طريف مدخل الجزيرة، ونفاهم الملكان على انتزاع هذا الثغر من المغاربة، واشترط ابن الأحمر أن تسلم إليه طريف عقب انتزاعها . وعندما حاصرت قشتالة طريف قدم ابن الأحمر العون لها ، فعسكر في قواته بمالقة على مقربة منها ، يعاون التصاري بالإمداد والمؤن وحاصرها سانشو من ناحية البحر ليحول دون وصول الإمداد إليها . وصمدت حامية طريف أربعة أشهر ، ولكنها اضطرت في النهاية إلى التسليم للتصاري سنة (٦٩٢هـ) ، وهنا طالب ابن الأحمر سانشو بتسليمها فأبى وأعرض عنه . وعاد ابن الأحمر يخطب ودّ بني مرين مرة أخرى وأوفد ابن عمه الرئيس أبو سعيد فرج بن إسماعيل ووزيره أبا سلطان عزيز الداني على رأس وفد من كبار الأندلس إلى السلطان أبي يعقوب في طلب العون فأكرم السلطان وفادتهم وأجابهم إلى طلب الصلح<sup>(١)</sup> .

واستمر محمد الفقيه في حكم غرناطة أعواماً أخرى وهو ثابت العهد مقيم على صداقة بني مرين ، ومما هو جدير بالذكر أنه قبيل وفاته بقليل عقد معاهدة صلح وتحالف مع ملك أراجون خايمي الثاني ضد قشتالة وذلك تجديداً لمعاهدة صلح سابقة بينهما في سنة (٦٩٥هـ)<sup>(٢)</sup> .

توفي السلطان محمد الفقيه في سنة (٧٠١هـ) بعد أن حكم أكثر من ثلاثين عاماً ، وقد زاد ملك بني الأحمر في عهده توطداً واستقراراً بالرغم مما توالى فيه من الأحداث والخطوب .

خلف محمداً الفقيه ولده أبو عبد الله محمد (الثالث) الملقب بالمخلوع (٧٠١-٧٠٨هـ/١٣٠٢-١٣٠٩م)<sup>(٣)</sup> ، وكان ضريراً . وكان ذا نباهة وعزم ، عالماً شاعراً يؤثر مجالس العلماء والشعراء ، ويصغي إليهم ويجزل صلاتهم محباً للإصلاح والإنشاد ، وكان بين منشأته المسجد الأعظم بالحمر<sup>(١)</sup> .

(1) انظر: محمد عبد الله عنان، نهاية الأندلس، ص ١٠٩ .

(2) انظر: المصدر نفسه، ص ١١٥ .

(3) انظر: لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة، ج ١، ص ١٤٢، ٥٤٤؛ عبد الرحمن الحجي، التاريخ الأندلسي، ص ٥٦٣ .

حاول في بداية عهده أن يعمل على إحكام المودّة بينه وبين بني مرين فأرسل وزير أبيه أبا سلطان عزيزاً الداني ووزيره ابن الحكيم إلى سلطان المغرب ليجددا عهد المودّة والصداقة، فأكرم وفادتهما، ولاح أن أواصر المودّة أضحت أشد ما يكون توثقاً بين الفريقين، ولكن ابن الأحمر عرض له فجأة أن يعدل عن مخالفة سلطان المغرب وأن يعود إلى مخالفة ملك قشتالة، وبدأ ابن الأحمر أعمال العدوان بأن أوعز إلى عمه وصهره الرئيس أبي سعيد فرج بن إسماعيل صاحب مالقة أن يحرّض أهل سبته في الضفة الأخرى من البحر على خلع طاعة السلطان، وفي سنة ٧٠٥هـ أعلن انضواء سبته تحت لواء ابن الأحمر، وبهذا اضطربت علاقة مملكة غرناطة وبني مرين مرة أخرى<sup>(٢)</sup>.

لكن أبا الجيوش نصر بن محمد الفقيه ضاق ذرعاً بنظام الطغيان الذي فرضه محمد المخلوع ووزيره ابن الحكيم فأعلن الثورة على أخيه هو ومعه رهط من أكابر الدولة، وذلك في يوم عيد الفطر سنة ٧٠٨هـ، ووثب الخوارج بالوزير ابن الحكيم فقتلوه، واعتقلوا السلطان محمداً وأرغموه على التنازل عن العرش وترجع أخوه نصر مكانه في الملك. ونفي السلطان المخلوع إلى حصن المنكب، حيث قضى خمسة أعوام في أصفاد الأسر ثم أعيد بعد ذلك مريضاً إلى غرناطة حيث توفي سنة ٧١٣هـ)<sup>(٣)</sup>.

تولى نصر بن محمد الملقب بـ "أبي الجيوش" الحكم (٧٠٨هـ - ٧١٣هـ / ١٣٠٩ - ١٣١٤م). وكان يوم جلوسه قتي في الثالثة والعشرين من عمره، وكان ولوعاً بالأبهة والمظاهر الملوكية، وكان في الوقت نفسه أدبياً عالماً، بارعاً في الرياضة والفلك، ولكنه لم يحسن السيرة ولم يوفق في تدبير الأمور، وسرعان ما سخط عليه الشعب كما سخط على أخيه من قبل؛ فاضطربت الأحوال وتوالت

~~~~~

(١) انظر: محمد عبد الله عنان، نهاية الأندلس، ص ١١٢.

(٢) انظر: لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة، ج ١، ص ٥٥٢.

(٣) انظر: المصدر نفسه، ص ٥٥٣ - ٥٥٥؛ للمحة البدرية، ص ٦٦ - ٦٧؛ محمد عبد الله عنان، نهاية

العمائم الصفراء شعاراً خاصاً بهم . ولم يدم حكمه إلا اثنتي عشرة سنة؛ إذ قُتل بباب قصره غيلة^(١) .

خلفه ابنه أبو عبد الله محمد (الرابع) وامتدّ حكمه من [٧٢٥-٧٣٣هـ/ ١٣٢٤-١٣٣٢م]^(٢) . ومن أوائل أعماله تجديد معاهدة الصداقة مع أراجون إثر انقضاء أجل المعاهدة التي عقدت بين أبيه وملك أراجون، ولأول عهد نشب الخلاف بينه وبين شيخ الغزاة المغاربة، فقتل محمد (الرابع) بتحريض منهم . وتمكّن المسلمون في عهده من استرجاع ثغر جبل طارق سنة (٧٣٣هـ)^(٣) .

ولي العرش بعده أخوه أبو الحجاج يوسف (الأول) (الغالب بالله) وهو لم يجاوز سن المراهقة وامتدّ حكمه من (٧٣٣-٧٥٥هـ/ ١٣٣٢-١٣٥٤م) . كان من أعظم ملوك بني نصر وأبعدهم همّة وأرفعهم خللاً، وكان عالماً شاعراً يحمي الآداب والفنون^(٤) "ففي أيامه بنيت المدرسة العجيبة بكر المدارس في حضرته فتمت وكملت أوقافها"^(٥) .

شهدت البلاد في عصره تقدماً وازدهاراً علمياً وأدبياً، وهو الذي أضاف إلى قصر الحمراء أعظم منشآته . وفي عهده كثرت غزوات التصاري لأراضي المسلمين، ومنها غزوة طريف الشهيرة عام ٧٤٠هـ، التي هُزم فيها المسلمون هزيمة شديدة . واستمر أبو الحجاج يوسف في الحكم بضعة أعوام أخرى ساد فيها السلام والأمن، ولكنه ما لبث أن قُتل غيلة أثناء صلاته بالمسجد الأعظم في يوم عيد الفطر سنة (٧٥٥هـ)^(٦) .

(١) انظر: محمد عبد الله عنان، نهاية الأندلس، ص ١٢٠ .

(٢) انظر: لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة، ج ١١، ص ٥٣٢ .

(٣) انظر: لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة، ج ١، ص ١٤٢ .

(٤) انظر: محمد عبد الله عنان، نهاية الأندلس، ص ١٢٥ .

(٥) لسان الدين ابن الخطيب، اللوحة البدرية، ص ١٠٩ .

(٦) انظر: لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة، ج ١، ص ١٤٢؛ محمد عبد الله عنان، نهاية الأندلس، ص ١٣٠ .

لبث بلاط غرناطة حقبة يقف من دولة بني مرين مواقف متناقضة، ويتردّد بين سياسة التحالف والقطيعة وبين الثقة والتوجّس، وليس من شك أنّ بني مرين كانوا عضداً قيماً لمملكة غرناطة الناشئة، وقد أدّوا لها في ميدان الجهاد وفي مقاتلة النصارى خدمات جلييلة، ولولا غوث بني مرين واشتغال مملكة قشتالة بمجاذبها الداخلية غير مرّة، لما اشتدّ ساعد بني الأحمر وسطعت دولتهم واستطالت أيام الإسلام بالأندلس زهاء مئة عام أخرى.

على أنّ الدولة المرينية ذاتها دخلت في دور انحلالها سنة ٧٥٢هـ، وانحدرت إلى غمر الحرب الأهلية، وبذلك تفقد غرناطة ذلك العضد الوحيد الذي كانت تدّخره وقت الشدائد، وانقطعت الجيوش المغربية عن العبور إلى الأندلس لمقاتلة النصارى وتركت غرناطة من ذلك الحين إلى مصيرها داخل الجزيرة الإسبانية تغالب قوى النصرانية بمفردها^(١).

خلف السلطان يوسف أبا الحجاج في الملك، ولده محمد (الخامس) الملقب "بالغني بالله" حكم غرناطة لأول مرّة (٧٥٥-٧٦٠هـ / ١٣٥٤-١٣٥٨م)^(٢). وفي أوائل عهده شغلت قشتالة بجزوبها الداخلية فأمنت غرناطة شرّ العدوان مدة من الزمن. ولكن الحوادث الداخلية كانت تؤذّن بتطورات جديدة؛ ففي رمضان سنة (٧٦٠هـ) نشبت في غرناطة ثورة فقد فيها الغني بالله ملكه؛ إذ تأمر عليه أخوه إسماعيل تؤازره جماعة من الزعماء انتهزوا فرصة ابتعاده عن دار الملك وهاجموا حصن الحمراء ونفذوا إلى قصر الحاجب رضوان وقتلوه بين أهله وولده، ونادوا بإسماعيل أخي السلطان سنة (٧٦٠هـ) ملكاً مكانه^(٣). وجاز السلطان المخلوع ووزيره لسان الدين ابن الخطيب إلى المغرب^(٤).

(١) انظر: محمد عبد الله عنان، نهاية الأندلس، ص ١٣٦.

(٢) انظر: لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة، ج ٢، ص ١٤.

(٣) انظر: المصدر نفسه، ج ١، ص ٣٩٨.

(٤) انظر: محمد عبد الله عنان، نهاية الأندلس، ص ١٤٠.

وفي سنة (٧٦١هـ)، قُتل إسماعيل بعد سنة واحدة من تسلمه الملك، وتولى الحكم بعده زوج أخته أبو عبد الله محمد (السادس) الغالب بالله (٧٦١هـ)، وخُلع عام (٧٦٣هـ)^(١). واستردّ الغني بالله حكمه للمرة الثانية (٧٦٣-٧٩٣هـ / ١٣٦١-١٣٩٠م)، فساد الأمن والسلام في عصره، وغلب التهادن بين غرناطة وقشتالة، ولم يخل عصر الغني بالله من مواطن الجهاد واستئناف الصّراع مع القشتاليين.

خلفه ولده يوسف (الثاني) أبو الحجاج (٧٩٣-٧٩٧هـ / ١٣٩٠-١٣٩٤م)، وحاول وزيره خالد اغتياله بالسم بعد أن قتل إخوته الثلاثة سعداً ومحمداً ونصراً في محبسهم، إلا أن يوسف علم بذلك فسخط على وزيره وقتله. واستأثر بالسلطة وكتب إلى ملك قشتالة في طلب المهادنة والسلم وأطلق سراح عدد من الفرسان النصارى الذين أسروا في بعض المعارك، فاستجاب ملك قشتالة إلى دعوته وعقد السلم بين المملكتين.

قام المسلمون في عهد يوسف (الثاني) بالإغارة على أراضي النصارى في أحواز مرسية ولورقة، وعاث الفرسان النصارى من جانبهم في فحص غرناطة، فردّهم المسلمون وأوقعوا بهم هزيمة شديدة، ثم عاد الفريقان إلى التهادن والسلم، وقيل إنه توفي مسموماً أوائل سنة (٧٩٧هـ)^(٢).

خلفه ولده محمد (السابع) [٧٩٧-٨١١هـ / ١٣٩٤-١٤٠٨م]، بعد أن دبر أمره مع الزعماء ورجال الدولة لإقصاء أخيه الأكبر يوسف عن العرش، ثم قبض على أخيه يوسف وزجّه في السّجن. كان السّاطان محمد (السابع) وافر العنف والجرأة بعيد الأطماع، فسعى إلى تجديد صلات المودة والتهادن بين غرناطة وقشتالة، وعقدت الهدنة فعلاً بين الفريقين إلا أنه لم يمض قليل على ذلك حتى نقضت قشتالة الهدنة واستمر الوضع كذلك بين غرناطة وقشتالة بين توقيع هدنة ونقض القشتاليين لها.

(١) انظر: عبد الرحمن الحجى، التاريخ الأندلسي، ص ٥٦٤.

(٢) انظر: محمد عبد الله عنان، نهاية الأندلس، ص ١٥٠.

خلف محمد السابع في الملك أخوه يوسف (الثالث) [٨١١ - ٨٢٠ هـ / ١٣٩٤ - ١٤١٧ م]، وكان سجيناً طوال حكمه بقلعة شلوبانية. توفي السلطان يوسف (الثالث) سنة (٨٢٠ هـ)، بعد حكم دام نحو تسعة أعوام، وكان أميراً راجح العقل، بارع السياسة، عظيم الفروسيّة والنجدة، محباً لشعبه. فكان حكمه القصير صفحة زاهية في تاريخ مملكة غرناطة، فعلى عهده عاشت غرناطة فترات طويلة من السّلام والاستقرار إلى أن وافاه الأجل، وبه يختم تاريخ منعة غرناطة وعزّتها^(١).

تولى على عرش غرناطة بعد السلطان يوسف (الثالث) عدّة من الأمراء الضّعاف أولهم: ولده أبو عبد الله محمد (الثامن) الملقّب بالأيسر (٨٢٠ - ٨٣١ هـ / ١٣٩٤ - ١٤١٧ م)، وكان أميراً صارماً سيء الخلال، متعالياً على أهل دولته، بعيداً عن الاتصال بشعبه، وكان وزيره يوسف بن سراج واسطته الوحيدة للاتصال بشعبه وكبراء دولته. وقامت في عهد محمد الأيسر ثورات متعاقبة، فقد فيها عرشه ثم استرده غير مرّة. وكان بلاط قشتالة يشجّع هذه الانقلابات ويؤازرها^(٢).

وفي خلال حكمه المضطرب كان التّصاري يتربصون الفرص لغزو مملكة غرناطة، فزحفوا عليها في سنة (٨٣١ هـ)، وتوغّلوا في أرجائها وعاثوا في بسائط وادي آش، فزادت الأمور في غرناطة اضطراباً، وازداد الشعب على الأيسر سخطاً، وسرعان ما انفجر بركان الثّورة، ونودي بابنه (أو أخيه) محمد (التّاسع) الملقّب بـ (الزغير) ليكون ولياً للعهد وفرّ الأيسر في أهله ونفر من خاصّته إلى تونس^(٣).

جلس محمد (الزغير) أو أبو عبد الله الصّغير على عرش غرناطة [٨٣١ - ٨٣٣ هـ / ١٤١٧ - ١٤٢٩ م]، وكان أميراً بارع الخلال، وافر الفروسيّة، يعشق الآداب والفنون^(٤). لكنّه لم يوفّق إلى إخماد الدّسائس والفتن المستمرة، واستطاع محمد (الأيسر) العودة إلى الحكم [٨٣٣ - ٨٣٥ هـ / ١٤٢٩ -

(١) انظر: المصدر نفسه، ص ١٥٤.

(٢) انظر: محمد عبد الله عنان، نهاية الأندلس، ص ١٥٤، ١٥٥.

(٣) انظر: المصدر نفسه، ص ١٥٥.

(٤) انظر: المصدر نفسه، ص ١٥٦.

١٤٣١م] بمساعدة يوسف بن سراج وقشتالة. وعادت الفتن الداخلية تنذر باقتلابات جديدة، وغدا العرش الغرناطي مرة أخرى يضطرب في يد القدر، وانقسمت المملكة الإسلامية شيعاً وأحزاباً متنافسة متخاصمة، ولقي النصارى فرصتهم السانحة لإذكاء الفتنة وبسط سيادتهم على مملكة يسودها الضعف والتفرق^(١).

وفي سنة (٨٣٥هـ)، غزت قشتالة مرج غرناطة، وسار الأيسر على رأس قواته والتقى بالنصارى في بسائط إلبيرة، ونشبت بين الفريقين موقعة شديدة ارتد الأيسر على أثرها منهزماً إلى غرناطة وفقد الأيسر حكمه على إثرها. ونودي بيوسف بن المول (أبي الحجاج) حاكماً لغرناطة بمساعدة قشتالة، إلا أن حكمه لم يطل إذ كان شيخاً مريضاً فتوفي بعد ستة أشهر^(٢).

أعيد الأيسر إلى الحكم للمرة الثالثة [٨٣٥ - ٨٤٥هـ / ١٤٣١ - ١٤٤١م]^(٣)، وعقد الهدنة مع ملك قشتالة، ولكن القشتاليين ما لبثوا بالرغم من عقدها أن أغاروا على أراضي غرناطة الشرقية؛ فردّهم المسلمون واستمر الصراع بضعة أعوام سجالاتاً بين المسلمين والنصارى، ولما رأى النصارى كثرة خسائرهم وعقم محاولاتهم لجأوا إلى السكينة حيناً. وأرسل السلطان الأيسر في أواخر عهده إلى مصر سفارة يرجو فيها سلطان مصر الإنجاد والغوث لما رآه من اشتداد وطأة النصارى على أراضي مملكته، وهذه أول مرة تتجه فيها مملكة غرناطة إلى الاستنجاد بمصر. وقد كانت حتى ذلك الحين تتجه دائماً إلى ملوك العدو، ولكن الدولة المرينية كانت قد دخلت يومئذٍ في دور انحلالها^(٤).

كانت حوادث غرناطة عندئذ تنذر بتطورات جديدة مزعجة، ذلك أن السلطان الأيسر بالرغم من حسن بلائه ضد النصارى لم يحسن السيرة في الداخل، ولم ينجح في اجتذاب شعبه، فظهر

(١) انظر: المصدر نفسه، ص ١٥٨.

(٢) انظر: محمد عبد الله عنان، نهاية الأندلس، ص ١٦٠.

(٣) انظر: عبد الرحمن الحججي، التاريخ الأندلسي، ص ٥٦٥.

(٤) انظر: محمد عبد الله عنان، نهاية الأندلس، ص ١٦١.

محمد (العاشر) بن نصر بن محمد (الخامس) (الأحنف) الذي نجح في دخول غرناطة سرّاً مع نفر كبير من أنصاره وأخذ يعمل على إذكاء الفتنة، فلما آنس سنوح الفرصة ثار في عصبته واستولى على الحمراء والحصون المجاورة لها، وقبض على الأيسر وآله وزجهم في السجن، ونادى بنفسه ملكاً على غرناطة وذلك سنة (٨٤٥هـ / ١٤٤١م) .

لكن الفتنة لم تهدأ ولم تستقر الأمور، فكان يعارض ولاية الأحنف فريق قوي من الزعماء والشعب، ولم يمض قليل على توليه الحكم حتى سار الأمير يوسف (الخامس) ابن الأحمر المقيم في بلاط قشتالة ومعه سرية من الفرسان النصارى أمده بها ملك قشتالة، فتغلب على الأحنف واحتل الحمراء، وحكم مدى أشهر قلائل . ولكن الأحنف عاد فتغلب عليه واستردّ عرشه سنة (٨٤٩هـ / ١٤٤٦م)، ثم خلع سنة (٨٦٣هـ / ١٤٥٨م) ^(١) .

تولى الحكم بعده سعد بن محمد [٨٦٣-٨٦٧هـ / ١٤٥٨-١٤٦٢م]، ثم عزل وأعيد السلطان يوسف (الخامس) الذي حكم حتى أواخر سنة (٨٦٨هـ) ^(٢) . وكان السلطان يوسف (الخامس) أميراً عاقلاً حازماً عادلاً محباً للإصلاح والأعمال الإنشائية، فعكف على ضبط الأمور وتوطيد الأمن وإقامة الأبنية وتحصين القواعد والثغور . شهد عهده سقوط ثغر جبل طارق في يد النصارى سنة (٨٦٧هـ)، وكان سقوط هذا الثغر المنيع في يد النصارى أول خطوة ناجعة في سبيل قطع علائق مملكة غرناطة بعدوة المغرب، والحول دون قدوم الإمداد إليها من وراء البحر ^(٣) .

ثم صار الحكم إلى أبي الحسن علي بن سعد (الغالب بالله) (٨٦٨-٨٨٧هـ / ١٤٦٣-١٤٨٢م) . وكان أبو الحسن أميراً وافر الشجاعة والعزم، يعشق الحرب والجهاد، وما كاد يستقر في عرشه

(١) انظر: محمد عبد الله عنان، نهاية الأندلس، ص ١٦٤ .

(٢) انظر: عبد الرحمن الحججي، التاريخ الأندلسي، ص ٥٦٥ .

(٣) انظر: محمد عبد الله عنان، نهاية الأندلس، ص ٦٥ .

حتى أبدى همّة فائقة في تحصين المملكة وتنظيم شؤونها، وبث فيها روحاً جديدة من القوة والطمأنينة^(١).
 "واستقل السلطان أبو الحسن على ما بقي بيد المسلمين من بلاد الأندلس وجاهد المشركين، واقتح عدة
 أماكن، ولاحت بارقة الكفرة على العدو الكافر وخافوه وطلبوا هدمته"^(٢).

وفي أوائل حكمه خرج عليه أخوه أبو عبد الله "الزغل" وكان يومئذ والياً لمالقة. كان يضارعه
 في الشجاعة والجرأة وحب النضال. ولجأ الزغل إلى عون ملك قشتالة هنري الرابع يستنصره على
 أخيه، ولقيه في محله في ظاهر أرشذونة سنة (٨٧٤هـ)، فوعده بالعون والتأييد، وبادر
 السلطان أبو الحسن من جانبه بالإغارة على أراضي قشتالة واتزع من التصاري بعض المواقع التي
 استولوا عليها. وشغل أبو الحسن في الأعوام الثلاثة التالية بمحاربة أخيه أبي عبد الله الزغل الثائر
 عليه، وكان النضال سجالاً بينهما. وشغل أبو الحسن بذلك عن غزو أرض النصارى، وشغل
 القشتاليون أنفسهم بما نشب بينهم من الخلاف الداخلي. وذلك حتى وفاة ملكهم هنري الرابع سنة
 (٨٧٩هـ).

وفي تلك الأثناء خرجت مالقة عن طاعة أبي الحسن، حيث ثار بها القائد محمد الفرسوطي،
 وانضم إليه كثير من القواد والأجناد، واستدعى القواد الثائرون أخاه أبا عبد الله محمد بن سعد
 (الزغل) وكان يومئذ بقشتالة، وأعلنوه ملكاً عليهم، فانقسمت المملكة إلى شطرين
 متخاصمين^(٣).

~~~~~

(١) انظر: المصدر نفسه، ص ١٩٢.

(٢) المقرئ، نقح الطيب، ج ٤، ص ٥١١.

(٣) انظر: محمد عبد الله عنان، نهاية الأندلس، ص ١٩٢.







الصرع إلى أن ذهب بصره، ولما تعذر أمره قدم أخاه أبا عبد الله "الزغل" ودفع له نفسه واستقل أخوه أبو عبد الله الزغل بالملك بعده ١٨٨٩هـ / ١٤٨٤م<sup>(١)</sup>.

أطلق سراح أبي عبد الله الصغير في أواخر سنة ٨٩١هـ، بعد أن أخذ عليه ملكا قشتالة سائر العهود والمواثيق التي تكفل تحقيق سياستهما في القضاء على مملكة غرناطة. وكان مما سرّع في سقوط غرناطة الحرب الأهلية واضطراب الفتنة داخل غرناطة. وتمكن أبو عبد الله الصغير من التربع على عرش غرناطة سنة ٨٩٢هـ / ١٤٨٦م، ولكنه لم يحكم تلك المدة سوى مملكة صغيرة.

وفي أواخر سنة ٨٩٦هـ، حاصرت قشتالة غرناطة، وأفسدت الزرع، وهدمت القرى؛ فقل الطعام واشتدّ الغلاء، وأدرك الجوع كثيراً من الناس<sup>(٢)</sup>. واشتدّ الحصار بالمسلمين، "واستولى العدو على أكثر الأماكن خارج البلاد، ومنع المسلمين من الحرث والسبب وضاق الحال، وبان الاختلال، وعظم الخطب، وذلك أول عام سبعة وتسعين وثمانمائة، وطمع العدو في الاستيلاء على غرناطة، بسبب الجوع والغلاء دون الحرب"<sup>(٣)</sup>. وكان لهم هذا وسقطت غرناطة آخر معقل للعرب في الأندلس سنة ٨٩٧هـ / ١٤٩٢م.

جاء سقوط غرناطة نتيجة حتمية للحال التي وصل إليها الحكم فيها، فقد كان كل ملك يطمع أن يبقى السلطان والحكم له، فاتبع كل الوسائل لتحقيق ذلك، فقد حارب بعضهم بعضاً وكاد بعضهم لبعض، وقد اضطروا أحدهم لمعاهدة قشتالة لتقف بجانبه وتحافظ له على ملكه. يضاف إلى ذلك أن المسلمين بالأندلس استنجدوا بملوك المسلمين في أنحاء العالم من مغاربة ومصريين وأتراك، فلم يغيثوهم، ونظرت كل مملكة إلى نفسها واقتصرت على حل مشاكلها، في حين اتحد النصارى في وجه المسلمين، وتعاونوا على

~~~~~

(١) انظر: المقرئ، فتح الطيب، ج٤، ص ٥١٥.

(٢) انظر: مجهول، آخر أيام غرناطة، ص ١٢١.

(٣) المقرئ، فتح الطيب، ج٤، ص ٥٢٤.

طردهم من الأندلس وإعادتها مملكة نصرانية كما كانت فاجتمعت الألفة والقوة والحماسة على الضعف والفرق والتخاذل فكان سقوط غرناطة نتيجة طبيعية لهذا كله^(١).

الحياة الاجتماعية:

تكوّن المجتمع الغرناطي من عناصر بشرية متعددة أهمها: العرب، والبربر، واليهود، والتصارى والمستعربون، والمولدون، والصلابة. وكان بغرناطة جملة من فقراء العجم استوطنوها لشبهها ببلادهم، منهم الحاج أبو عبد الله السمرقندي، والحاج التبريزي والحاج إبراهيم الفونوي وغيرهم^(٢).

وقد ازداد عدد السكان في مملكة غرناطة ازدياداً كبيراً بسبب سيل المهاجرين إليها من مسلمي بلنسية، ومرسية، وجيان، وإشبيلية، وقرطبة وغيرها من قواعد الأندلس التي كانت تسقط في يد الإسبان^(٣)، ومن المرجح أن مملكة غرناطة كانت تضم في عصورها الأخيرة زهاء خمسة أو ستة ملايين من الأنفس، وكانت غرناطة وحدها تضم أكثر من نصف مليون نفس^(٤).

وقد كان للمجتمع الأندلسي ميزات باهرة وصفات طيبة تميزه عن كثير من المجتمعات الإسلامية الأخرى ما بين علم ودين، وثقافة، وعمل ونظافة، وأناقة وترتيب في أحوال المعيشة، وحبّ للعدل وإنكار للفوضى وإجلال للعلماء إلى غير ذلك من الصفات الحميدة التي إن توفرت في شعب من الشعوب وضعته في مرتبة سامية ودفعت به إلى مدارج التقدم والازدهار^(٥).

~~~~~

(١) انظر: أمين، أحمد، ظهر الإسلام، ط ٢، دار النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٩م، ج ٣، ص ٤٦-٤٧.

(٢) انظر: ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ص ٧٦٨.

(٣) انظر: أحمد الطوخي، مظاهر الحضارة في الأندلس، ص ٧٠.

(٤) انظر: محمد عبد الله عنان، نهاية الأندلس، ص ٧٠.

(٥) انظر: الشكعة، مصطفى، الأدب الأندلسي: موضوعاته ومقاصده، دار النهضة، بيروت، ١٩٧٢م، ص ٦٩.

لم يعرف المجتمع الأندلسي التعصب الديني من جانب المسلمين، فقد تركوا أهل الكتاب من نصارى ويهود حريّة العقيدة والتعبّد، وقد وجدوا في الأندلس ما وجدته بنو جلدتهم في المشرق من سماحة الإسلام وحسن المعاملة وفسح الفرص أمامهم في كل اتجاه. وقد ساهم اليهود في النشاط الاقتصادي لمملكة غرناطة خاصّة في صناعة الحلي وأدوا دور التّجار الوسطاء بين سكان غرناطة والتجار الجنوبيين الذين نشطت تجارتهم مع مملكة غرناطة<sup>(١)</sup>.

كذلك حال النصارى، فقد كان لهم دور بارز في الحركة التجاريّة رغم قلة عددهم، واستقرّ أغلب التّجار منهم في المناطق الحدوديّة وساهموا في تنشيط الحركة التجاريّة فيها خاصّة المرية<sup>(٢)</sup>. كما احتل كثير من النصارى واليهود مراكز سامية في الحكم وتسلّموا مراتب ممتازة في الحياة العامّة، فكان منهم الوزراء والشّعراء والأطباء والموسيقيون<sup>(٣)</sup>.

كان لباس أهل غرناطة الغالب في الشّتاء الملف المصبوغ، أمّا في الصّيْف فكانوا يرتدون الكتّان والقطن والمآزر المشفوعة. قال ابن الخطيب في ذلك: "ولباسهم على طبقاتهم الفاشي بينهم الملف المصبغ شتاء، تتفاضل أجناس البز من منه بتفاضل الجدات والمقادير. والكتان، والحريّر، والقطن، والمرعزي، والأردية، الإفريقية والمقاطع التونسية، والمآزر المشفوعة صيفاً. فتبصرهم في المساجد أيام الجمع كأنهم الأزهار المفتحّة في البطاح الكريمة تحت الأهوية المعتدلة"<sup>(٤)</sup>.

(1) انظر: أحمد الدوسري، الحياة الاجتماعية في غرناطة، ص ٨٥.

(2) انظر: المصدر نفسه، ص ٧٤.

(3) انظر: مصطفى الشكعة، الأدب الأندلسي، ص ٧١.

(4) لسان الدين ابن الخطيب، اللحمة البدريّة، ص ٣٨-٣٩؛ الإحاطة، ج ١، ص ١٣٤-١٣٥.

أما اليهود، فقد جعل لهم لباس يميزهم عن سائر الناس من المسلمين فكانوا يعتمرون "قلنسوة صفراء؛ إذ لا سبيل ليهودي أن يتعمم البتة"<sup>(١)</sup>.

وكان الشعب الغرناطي يتمتع بصفات أخلاقية طيبة، كما وُصف بالبرقة والحلاوة، "وطاعتهم للأمرء محكمة، وأخلاقهم من احتمال المعاون الجبائية جميلة، صورهم حسنة وأنوفهم معتدلة غير حادة، وشعورهم سود مرسلة، وقدودهم متوسطة معتدلة إلى القصر، وأوانهم زهر مشربة بجمرة، وألسنتهم فصيحة عربية يتخللها غرب كثير وتغلب عليهم الإمالة، وأخلاقهم أيبة في معاني المنازعات وأنسابهم عربية، وفيهم من البربر والمهاجرة كثير"<sup>(٢)</sup>.

وعرف الغرناطيون برقة الطباع، والميل إلى اللهو والمرح، والتمتع بمباهج الحياة، وأغرموا بالغزل، وحضور حفلات الأنس والطرب<sup>(٣)</sup>. وكثرت الاحتفالات التي كانت تستغرق شطراً كبيراً من الليل، وذلك في مواسم الأعياد ومناسبات الزفاف وغيرها ف"أعيادهم حسنة مائلة إلى الاقتصاد، والغناء بمدينتهم فاش حتى بالدكاكين التي تجمع كثيراً من الأحداث"<sup>(٤)</sup>.

تميّزت المرأة الغرناطية بالجمال، والتعومة، والرائحة الطيبة، وخفة الحركة، وحسن المحاوره "وحریمهم حریم جمیل، موصوف باعتدال السمن، وتنعم الجسوم، واسترسال الشعور، وتقاء الثغور، وطيب الشذا، وخفة الحركات ونبل الكلام، وحسن المحاوره. إلا أن الطول يندر فيهن، وقد بلغن من

~~~~~

(١) المقرئ، فح الطيب، ج١، ص ١٢٣.

(٢) لسان الدين ابن الخطيب، اللحة البدرية، ص ٣٨؛ الإحاطة، ج١، ص ١٣٤.

(٣) انظر: يازجي، سراب (١٩٩٢م)، الغزل في الشعر الأندلسي في ظل بني الأحمر، رسالة دكتوراه غير منشورة،

جامعة دمشق، دمشق، سوريا، ص ١٦-١٧.

(٤) لسان الدين ابن الخطيب، اللحة البدرية، ص ٤٠.

الأشجار والمحاصيل كالقطن، والأرز، وقصب السكر، والزعفران والنخيل، إضافة إلى ما كان فيها من القمح، والزيتون، والبرتقال، والتوت والكروم. واشتهرت المرية ومالقة بالبرتقال، ووادي آش باللوز، وغرناطة بالرمّان، والمنكب بالتين، والجزيرة بالتمور، ومرتفعات المملكة بالتفاح والأجاص والكرز والجوز والكستناء، كما كثر جنائ الموز وقصب السكر في المرج والسهول المحاذية للشاطئ. .

وكان للزراعة نظامها المعروف الذي كان يطبق في معظم المناطق الأندلسية، فكانت تُقام العقود بين صاحب الأرض والمزارع لعدة سنوات، وذلك وفق شروط معينة منها أن يقدم المالك للمزارع الأرض والبذر، وبالمقابل يتعهد المزارع بتأمين التفقات وشراء الحيوانات ودفع أجور العمال وتأمين الحراثة والزراعة والحصاد واقتسام المحصول منصفة وغير ذلك^(١).

وكانت هذه العقود والاتفاقات على أنواع منها: "المزارعة" التي شملت الحبوب من قمح وشعير وذرة وغيرها. و"المغارسة" التي اهتمت بالأشجار المثمرة والبساتين على أنواعها، و"المساقاة" التي عنيّت بالخضار والمزروعات الموسمية التي تحتاج إلى الري^(٢).

واهتم الغرناطيون بتربية الماشية واشتهرت مزارع الخيول العربية الأصيلة التي أ ولاها الغرناطيون عناية خاصّة، كما اهتموا بسائر الحيوانات كالبقر، والغنم، والنحل، والطيور على أنواعها وخاصة الدجاج والحمام^(٣).

وفي مجال الصناعة، استطاع الغرناطيون المحافظة على كثير من الصناعات الأندلسية القديمة، وتفردوا بمجقول لم يعرف أسرارها سواهم، فاستمرت غرناطة مركزاً عظيماً لصناعة الأسلحة والخناجر

.....

(1) انظر: يوسف فرحات، غرناطة في ظل بني الأحمر، ص ١٤٣.

(2) انظر: محمد عبد الله عنان، نهاية الأندلس، ١٤٤.

(3) انظر: يوسف فرحات، غرناطة في ظل بني الأحمر، ص ١٤٢؛ أحمد الدوسري، الحياة الاجتماعية في غرناطة،

وتعدّ الأسماك من الثروات الطبيعية التي كانت مصدر رزق لسكان الشواطئ الأندلسية. كما أنّ إنتاج الطون كان من الصناعات المعروفة في مالقة، لكن وسائل الصيد البدائية لم تجعل من السمك مورداً حيوياً كافياً لسدّ حاجات السكان المعيشية^(٢). وكانت غرناطة تضطر لاستيراده خاصة عندما اقتربت من نهايتها بسبب ضغط التصاري الذين أصبحت سفنهم تجوب السواحل المتوسطية والمضيق^(٣).

كما عرفت غرناطة صناعة الخشب، فقد اشتهرت مدينة المرية بصناعة السفن والمراكب من خشب أشجار الصنوبر التي كانت تكسو جبل الثلج. ووجد فيها دار لصناعة السفن في عهد دولة بني نصر. وبالإضافة إلى صناعة السفن من الخشب، صنعت المنابر وأسقف قصور الحمراء والنوافذ وغيرها. كما اشتهرت مدينة البيرة بصناعة السكر لتوافر مادة قصب السكر فيها^(٤).

كانت التجارة في العهد النصري نوعان داخلية وخارجية. ونعني بالتجارة الداخلية هي المعاملات التجارية التي تتم بين مختلف مدن مملكة غرناطة، حيث تعرض كل منها بضائعها تبعاً لشهرتها في سلعة من السلع أو صناعة من الصناعات في أسواق منتظمة داخلية. وكانت غرناطة العاصمة من أكبر الأسواق التجارية، وكانت فيها أسواق تعرف باسم "القيسارية"، وهي سوق مسقوفة تباع فيها الأقمشة والمنسوجات الحريرية الأندلسية الرفيعة^(٥).

أمّا التجارة الخارجية فقد بلغت شأواً بعيداً في غرناطة، وذلك لحسن موقعها وكثرة ثغورها وتوسطها بين أوروبا وإفريقيا وانتظام صلاتها البحرية مع سائر ثغور البحر المتوسط، وكانت علاقتها

(١) انظر: يوسف فرحات، غرناطة في ظل بني الأحمر، ص ١٤٣.

(٢) انظر: المصدر نفسه، ص ١٤٥.

(٣) انظر: أحمد الدوسري، الحياة الاجتماعية في غرناطة، ص ٢٩٤.

(٤) انظر: أحمد الدوسري، الحياة الاجتماعية في غرناطة، ص ٣٠٤.

(٥) انظر: المصدر نفسه، ص ٣٠٦.

نستنج مما سبق أن الحياة الاقتصادية في مملكة غرناطة كانت مزدهرة، ولكن الحروب المتواصلة مع الإسبان جعلت الضرائب تثقل كاهل الناس وترهق التجار فيصاب الاقتصاد بهزات تعيق ازدهاره^(١).

الحياة الثقافية:

مرّت الحياة الثقافية في غرناطة في أوائل القرن السابع في مرحلة من عدم الاستقرار والتصدّع، وذلك بسبب هجرة كثير من العلماء والمفكرين منها، لما كانت تعيشه من أوضاع سياسية مضطربة، وسقوط العديد من القواعد الأندلسية في يد النصارى، ولاشتعال الفتن الداخلية فيها إلى أن قامت مملكة غرناطة على يد محمد بن يوسف ابن الأحمر، فأعاد لها الحياة واستعادت الحياة الثقافية قوتها وازدهارها^(٢). ومما ساعد على بث الحياة من جديد في الحياة الثقافية في غرناطة ما عُرف عن بني الأحمر من حبّ للعلوم والآداب، وتشجيعهم للعلماء والأدباء، إضافة إلى انضمام كثير من العلماء والأدباء الذين سقطت بلادهم في يد النصارى إلى أهل غرناطة^(٣).

كان ملوك غرناطة جرياً على سنن ملوك الأندلس السابقين من حماة العلوم والآداب. وكان أمراء بني الأحمر أنفسهم في طليعة العلماء والأدباء، واشتهر عميدهم ومؤسس دولتهم محمد ابن الأحمر (٦٣٥ - ٦٧١هـ) بحمائه للعلم والآداب، فقد كان الشاعر صالح بن شريف الرندي من خاصّة شعرائه والأثير لديه^(٤).

وكان الأمير محمد الفقيه (٦٧١ - ٧٠١هـ) يرفع العلماء والشعراء، وعرف باسم الفقيه لدراسته الفقه أيام أبيه وشغفه به. ومما يدلّ على حبه للعلم بمختلف فروعه استقدامه لمحمد بن

(١) انظر: يوسف فرحات، غرناطة في ظل بني الأحمر، ص ١٥١.

(٢) انظر: بهجت منجد مصطفى، الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، دار الكتب للطباعة والنشر،

الموصل، ١٩٨٨م، ص ١٩٣.

(٣) انظر: الركابي، جودت، في الأدب الأندلسي، دار المعارف، مصر، ص ٥٨.

(٤) انظر: محمد عبد الله عنان، نهاية الأندلس، ص ٤٦٠.

إبراهيم الأوسي ومحمد بن أحمد الرقوتي من مرسية كي يدرّسا للطلاب في غرناطة العلوم الطبيّة والفلسفيّة^(١).

وبلغت الحركة الفكرية والأدبية ذروة ازدهارها في مملكة غرناطة في عصر السلطان أبي الحجاج يوسف بن إسماعيل النصرى (٧٣٣-٧٥٥هـ)، وولده السلطان محمد الغني بالله (٧٥٥-٧٩٣هـ). وكان السلطان أبو الحجاج نفسه عالماً أديباً يشغف بالفنون^(٢)، وقد أنشأ لأول مرة في غرناطة مدرسة سمّاها المدرسة النصرية^(٣).

واشتهر الأمير أبو الوليد إسماعيل بن السلطان يوسف الثاني "ابن الأحمر" (٨٠٧هـ) بأدبه وبارع نثره، وهو صاحب كتاب "نثر الجمان في شعر من نظمني وإياه الزمان"، الذي يترجم فيه لأعلام عصره^(٤).

وأبرز العلوم التي حظيت بعناية الحكّام ومؤازرتهم لأصحابها، العلوم الإسلاميّة المختصّة بالقرآن الكريم والحديث الشريف كعلوم القراءات والتفسير والفقّه. فمن علماء التفسير ابن جزى الكلبي الغرناطي (٧٤١هـ)، وأبو حيّان الغرناطي (٧٤٥هـ). وقد اشتهر بالعلوم الدينية محمد بن عاصم القيسي الغرناطي، وله مؤلفات كثيرة^(٥). كما ظهر محمد بن علي أبو بكر الطائي، المعروف بابن عربي (٦٣٨هـ)، وكان أعظم متصوفة الأندلس وله ثبت حافل في المصنّفات الجليلة منها كتاب الفتوحات المكيّة^(٦).

~~~~~

(١) انظر: شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، عصر الدول والإمارات في الأندلس، ط٢، دار المعارف، القاهرة، د.ت، ص ٦٩.

(٢) انظر: محمد عبد الله عنان، نهاية الأندلس، ص ٤٦١.

(٣) انظر: ضيف، شوقي، تاريخ الأدب العربي، ص ٦٩.

(٤) انظر: محمد عبد الله عنان، نهاية الأندلس، ص ٤٦١.

(٥) انظر: منجد مصطفى، الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، ص ١٩٣.

(٦) انظر: محمد عبد الله عنان، نهاية الأندلس، ص ٤٥٨.

وفي مجال التاريخ نبغ الوزير لسان الدين ابن الخطيب (٧٧٦هـ)، كانت له كتابات عديدة مثل "اللمحة البدرية في الدولة النصرانية" و"الإحاطة في أخبار غرناطة" و"نفاضة الجراب وعلالة الاغتراب" وغيرها . كما ألف أبو البركات البليقي كتابه "تاريخ المرية وباجة"، وألف ابن الأحمر "روضة النسر في دولة بني مرين" وابن خاتمة الأنصاري (٧٧٠هـ) الذي ألف "مزينة المرية على غيرها من البلاد الأندلسية"<sup>(١)</sup> .

ونالت كتب التراجم غايتها من الرعاية والاهتمام فألف ابن الخطيب "الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المئة الثامنة" و"الإحاطة"، وألف ابن الأحمر "نثر الجمان" و"نثر فرائد الجمان"، وألف القاضي التباهي (بعد ٧٩٢هـ) "المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا"<sup>(٢)</sup> .

أما في أدب الرحلات فنجد أبا البقاء خالد بن عيسى البلوي (بعد ٧٦٧هـ) الذي دون رحلته في كتاب سماه "تاج المفرق في تحلية علماء المشرق"<sup>(٣)</sup> .

وفي مجال الجغرافية: قدم كثير من المؤرخين الأندلسيين لمؤلفاتهم عن تاريخ الأندلس أو عن رجالها بمقدمات جغرافية . فقد قدم ابن سعيد (ت ٦٨٢هـ) للقسم الأندلسي من كتابه "المغرب في حلى المغرب" بمقدمة جغرافية نفيسة سقطت أوراقها منه، غير أن المقرئ احتفظ بها في النسخ . وله في الجغرافيا كتاب مجمل سماه "كتاب بسط الأرض في الطول والعرض" .

وللسان الدين ابن الخطيب مقدمات جغرافية في وصف غرناطة لكتابه "الإحاطة في تاريخ غرناطة" و"اللمحة البدرية في الدولة النصرانية" . كما ألف محمد بن عبد المنعم الحميري (٩٠٠هـ) كتابه "الروض المعطار في خبر الأقطار" الذي يعدّ معجماً جغرافياً<sup>(٤)</sup> .

(١) انظر: النقراط، علي محمد، ابن الجياب الغرناطي، حياته وشعره، ط١، الدار الجماهيرية، د. ت، ص ٨٢ .

(٢) انظر: المصدر نفسه، ص ٨٢ .

(٣) انظر: أحمد الدوسري، الحياة الاجتماعية في غرناطة، ص ٢٥٦ .

(٤) انظر: شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، ص ٩٠-٩١؛ الداية؛ محمد رضوان، في الأدب الأندلسي، ط١،

دار الفكر، بيروت، ودار الفكر، دمشق، ٢٠٠٠م، ص ٤٦ .











وابتغاء مرضاته أملاً في إيقادهم مما هم فيه من حياة الضنك والشدة، وأحسوا بتفاهة الحياة فارتقوا بأنفسهم عن مباحج الحياة وزينتها، وعكفوا على أنفسهم يطهرونها من مفاسد الحياة المادية الزائلة<sup>(١)</sup>. ولم يعرف المجتمع الغرناطي التعصب الديني من جانب المسلمين، فقد تركوا لأهل الكتاب من نصارى ويهود حرية العقيدة والتعبّد<sup>(٢)</sup>.

يتجلى لنا من خلال هذه الجولة السريعة في مختلف نواحي الحياة في غرناطة خلال القرنين ونصف القرن الأخيرين، أن غرناطة عرفت في عصر بني الأحمر ازدهاراً عصورها، فقد لقيت الحياة الاقتصادية تقدماً وازدهاراً في مختلف مجالاتها الزراعية والصناعية والتجارية، كما امتاز عصرهم بالاهتمام بالحياة الفكرية وشهد ولادة أشهر رجال الفكر والأدب والعلم. كل هذا الازدهار والتقدم كان في أجواء سياسية مضطربة فهي تارة أجواء مستقرة هادئة وتارة أخرى أجواء مضطربة تشتعل فيها الحروب والفتن.

(١) انظر: مصطفى الشكعة، الأدب الأندلسي، ص ٥٤.

(٢) انظر: المصدر نفسه، ص ٧٣.

## الفصل الأول

تصوير الشعر الأندلسي الحياة الأسرية



فيها الإنجاب . والأسرة الفقيرة التي يكتفي الرجل فيها بامرأة واحدة لعدم قدرته على إعالة امرأتين أو أكثر<sup>(١)</sup> . إلا أنه من المرجح أن الغالبية العظمى من الأندلسيين كانوا يكتفون بزوجة واحدة تعمل بالتعاون مع الرجل داخل البيت وخارجه لتوفير الحياة الكريمة للأسرة . وقد يعزز هذا الترجيح ما ذكره ليثي بروفنسال عن الأندلسيين المهاجرين إلى المغرب أن نساءهم لا يعانين، أكثر الأوقات، من وجود ضرة إلى جانبهن<sup>(٢)</sup> .

وكان هناك من لا يشجع على الزواج ولا يحث عليه، ويرى فيه ذلاً ومهانة للرجل، فهذا الشيخ الخطيب أبو عبد الله بن حربلة<sup>(٣)</sup> ينصح العازب بعدم التورط بالزواج حتى لا يذل نفسه تعودت العز والفرح، يقول<sup>(٤)</sup>:

ياعازباً لا تذل نفسك      عودتها العز والفرح  
بزوجة فالزواج ذل      لو زوج الكلب ما نبح

وقد وجه لسان الدين ابن الخطيب<sup>(٥)</sup> أشد أنواع الاستنكار والتقنيد له، ويرى أنه

~~~~~

(1) انظر: يوسف فرحات، غرناطة في ظل بني الأحمر، ص ١٢٠ .

(2) انظر: بروفنسال، ليثي، حضارة العرب في الأندلس، ترجمة ذوقان قرقوط، دار مكتبة الحياة، بيروت، د . ت، ص ٢٦ .

(3) أبو عبد الله بن حربلة: شيخ متطلب، خطب وأم، وعرج بربع الفضل، وتوفي عن خزانة كتب أسفارها عديدة، وأغراضها سديدة، وكان له شعر نزر . انظر: لسان الدين ابن الخطيب، الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المئة الثامنة، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، د . ت، ص ص ٥٣-٥٤ .

(4) لسان الدين ابن الخطيب، الكتيبة الكامنة، ص ص ٥٣-٥٤ .

(5) هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني اللوشي الأصل، الشهير بلسان الدين ابن الخطيب (٧١٣-٧٧٦هـ)، وزير ومؤرخ وأديب، نشأ في غرناطة وكان وزير بني الأحمر فيها وكاتبهم وشاعرهم، شعر بسعي حاسديه في الوشاية به فترك الأندلس إلى المغرب واستقر بفاس هو وأهله، اتهم بالزندقة وسلوك مذهب الفلاسفة، فسجن ودخل عليه بعض الأوغاد السجن ليلاً وخنقوه ودفن في مقبرة "باب المحروق" بفاس، له مؤلفات ورسائل وأشعار زادت على الستين مؤلفاً . انظر: ابن خلدون، التعريف بابن خلدون ورحلته شرقاً وغرباً، ج ١٤، ص ٩٥٩-؛ المقري، فح الطيب، الأجزاء ٥، ٦، ٧؛ لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة، ط ٤، ص ص ٤٣٨-٤٦٠ .

يوسف الثالث^(١) لوالده يتجلى لنا هذا الدور، يقول وقد بدأ قصيدته متسائلاً عن الصبر لفقده والده^(٢):

خليلي أين الصبرُ منّا ويوسف وأين أياديهِ الكريمة تُصْرَفُ
وأين ليالٍ بالسبيكة نمتُّها ولا منظمٌ للدهرِ نحوي يُطْرَفُ
عليّ ظلالٌ من عناية يوسف ودوني حسامٌ للخلافة مُرَهْفُ
تباكرني تبرى عوارفهِ ضحى ويتأبني تسألُهُ والتعرفُ
فلاهمة للقلب فيها تهمم ولا كلفة للنفس فيها تكلفُ
وحاجاتُ نفسٍ لم أراقبُ مكانها فكان لها منه الرضا والتعطفُ

كما صور لنا الشعر الأب الأندلسي حنوناً عطوفاً حادباً على أولاده، فلسان الدين ابن الخطيب وهو الوزير الكبير والسياسي القدير يتهج بما يلاحظه على طفله من نشاط ويتأسى عما سرقه منه الدهر من قوة وشباب^(٣). يقول مقدماً لشعر: "وقلت أعجبني نشاط ولدي وهو في سنّ الطفولة"^(٤):

سَرَقَ الدَّهْرُ شَبَابِي مِنْ يَدِي فَوَادِي مُشْعَرٌ بِالْكَمَدِ
وَاحْتَمَلْتُ الْأُمْرَ إِذْ أَبْصَرْتُهُ بَاعَ مَا أَفْقَدْتَنِي مِنْ وَكْدِي

~~~~~

<sup>(١)</sup> وهو السلطان أبو الحجاج يوسف بن يوسف حفيد السلطان الغني بالله محمد الخامس، ولد عام ٧٧٨هـ ونشأ في رعاية الغني بالله وتلقى ثقافة علمية وأدبية عالية وقرأ على بعض الشيوخ من بني جزري وغيرهم، وهو شاعر من ملوك غرناطة، لما توفي أبوه كان ولي عهده فابعد أخاه أصغر منه واسمه محمد وحبسه في قلعة في شلوانية من أعمال غرناطة نحو ١٤ سنة، تولى الحكم بعد وفاة أخيه محمد سنة ٨١١هـ ودام حكمه ٩ أعوام، تعد من الصفحات الزاهية في تاريخ مملكة غرناطة، توفي عام ٨٢٠هـ، وله ديوان شعر. انظر: ابن فركون، أبو الحسين بن أحمد، ديوان ابن فركون، ط١، تقديم محمد ابن شريفة، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، المغرب، ١٩٨٧م، مقدمة الديوان، ص ١٩-٩٥.

<sup>(٢)</sup> يوسف الثالث، أبو الحجاج يوسف بن يوسف (٧٧٨-٨٢٠)، ديوان ملك غرناطة يوسف الثالث، ط٢، حققه وقدم له عبد الله كنون، مكتبة الأنجلو، القاهرة، ١٩٦٥م، ص ١٤٤.

<sup>(٣)</sup> انظر: الطرابلسي، حسناء بوزوينة، حياة الشعر في نهاية الأندلس، ط١، دار محمد علي الحامي، تونس، ٢٠٠١م، ص ٥٤٤.

<sup>(٤)</sup> لسان الدين ابن الخطيب، ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام، ص ٤٤٥.

فكان قوته التي سلبها الدهر منه منحها لولده، ولذا فهو سعيد بنشاطه فرح بقوته وقوته،  
وقديماً قالت العرب: "من سره بنوه ساءت نفسه"<sup>(١)</sup>.

ويبكي شوقاً لابنه عبد الله عندما طال به المقام في جبل الفتح، وقد شبهه بفرخ القطاة الذي  
انفرد عن جماعته، يقول<sup>(٢)</sup>:

تذكرُته فرخَ القطاةِ فأسرعتُ      دُموعيَ تهْمِي ويُلها لانفِرادِه<sup>(٣)</sup>

وقد خلف فقدان الأب أسمى كبيراً في نفوس أبنائه وشعوراً بالوحدة والضياع، فوجد لسان  
الدين ابن الخطيب يائساً من الحياة بعد أن فقد والده وأخاه (الذين استشهدا في معركة طريف  
٧٤١هـ)، فهو لم يعد يرى الدنيا جميلة ولم يعد يرى معنى للعيش ولا غاية، يقول<sup>(٤)</sup>:

لا حُسْنَ للدُّنيَا لِدِيَّ ولا أرى      في العيشِ بعدَ أبي وصنويِّ مَأْرَبَا

### الزوج:

كان للزوج الأندلسي الساطة المطلقة على نسائه وأولاده وخدمه في منزل كان يشكل عالماً  
مقفلًا يحكمه وفق القوانين التي توافق طبعه والتي يستمدّها من العادات المتوارثة المستوحاة من الدين.  
وفي غيابه يتحرر البيت وأحياناً تدبّ الفوضى ويمتلئ البيت ضجيجاً وصياحاً، وإذا عجزت ربة

<sup>(١)</sup> الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد (ت ٥١٨هـ / ١١٢٤م)، مجمع الأمثال، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد،  
مكتبة السنة المحمدية، ١٩٥٥م، ج ٢، ص ٣٠٠.

<sup>(٢)</sup> لسان الدين ابن الخطيب، ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام، ص ٤١٣.

<sup>(٣)</sup> القطاة: نوع من اليمام يؤثر الحياة في الصحراء. ويتخذ أفحوصه في الأرض ويطير جماعات ويقطع مسافات  
شاسعة، ويضه مرقط. انظر: أنيس، إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، ط ٢، ٢م، دار الفكر، د. ت، مادة  
قطا.

<sup>(٤)</sup> لسان الدين ابن الخطيب، ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام، ص ٢٥١.



البيت عن فرض هيبته لا تجد حلاً إلا في انتظار عودة السيد الذي بدخوله يعود الهدوء ويستتب النظام<sup>(١)</sup>.

حمل الزوج الأندلسي هموم الحياة عن زوجته، وكان يقوم نحوها بأكبر الواجبات الزوجية من إعالة وحماية ورعاية. كما كان يقوم بأصغر الواجبات، فقد كان منهم من يحمل العجين إلى الأفران، ومنهم من يقوم عنها بواجب جلب المواد وضرورات الحياة من السوق<sup>(٢)</sup>.

وقد أبدى الزوج كثيراً من فنون التعلق بزوجه، ومن صور تعلق الأندلسي بزوجه ما كان يديه من أسى للمفارقة الأبدية بوفاتها، ثم ما كان يأخذ به نفسه من ألوان الحرمان من متع الحياة بعد رحيلها وفاءً لذكراها وإخلاصاً لها<sup>(٣)</sup>. فنجد أبا حيان<sup>(٤)</sup> لا يرجو الحياة بعد فقد زوجته زمرد، فقد كانت بمثابة الغذاء للروح، وخلف فراقها حزناً عظيماً في نفسه، فيتساءل قائلاً<sup>(٥)</sup>:

أَرْجُو حَيَاةً بَعْدَ فُقْدِ زُمْرَدٍ      وَكَانَتْ بِهَا رُوحِي تَلْدُ وَتَقْتَذِي  
زُمْرَدٌ قَدْ خَلَفَتْ لِلصَّبِّ لَوْعَةً      وَحُزْنًا بَقَلْبِي آخِذَا كُلُّ مَا خَذِ

~~~~~

(١) انظر: يوسف فرحات، غرناطة في ظل بني الأحمر، ص ١٢٠.

(٢) انظر: حسن النوش، التصوير الفني للحياة الاجتماعية، ص ١٣٢.

(٣) انظر: المصدر نفسه، ص ١٣٥.

(٤) محمد بن يوسف بن حيان، أثير الدين (٦٥٤-٧٤٥هـ)، أصله من قبيلة نفزة بالمغرب الأقصى، ولد ونشأ بغرناطة، ثم رحل إلى المشرق واستقر بمصر، وكان ممن طال عمره وحسن عمله، وكان عالماً باللغة وإماماً في النحو والتفسير والحديث والفقه، صنف كتاب "البحر المحيط" و"تحفة الأريب"، وكان له شعر جيد، توفي بمنزله خارج باب البحر بالقاهرة. انظر: الصفدي، خليل بن أيبك (ت ٧٦٤هـ / ٣٦٢م)، أعيان العصر وأعوان النصر، ط ١، ج ٦، تحقيق علي أبو زيد وآخرون، دار الفكر، دمشق، ودار الفكر، بيروت، ١٩٩٨م، ج ٥، ص ٣٢٥؛ المقري، فتح الطيب، ج ٢، ص ٥٣٥؛ لسان الدين ابن الخطيب، الكتيبة الكامنة، ص ٨١-٨٦.

(٥) أبو حيان، محمد بن يوسف الغرناطي (ت ٧٤٥هـ / ١٣٤٤م)، ديوان أبي حيان، ط ١، تحقيق أحمد مطلوب وخديجة الحديشي، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٦٩م، ص ١٦٧.

ولابد لنا قبل الحديث عن المرأة كأم وزوجة أن نعرِّج على ذكر المرأة الأندلسية ومكاتها في المجتمع ودورها في تنميته. فعلى الرغم من أن هذا الموضوع نال حظاً وافراً من الدراسة والبحث^(١)، إلا أن الضرورة تقتضي إيراد هنا بشيء من الإيجاز إتماماً للفائدة.

حظيت المرأة الغرناطية بمكانة مرموقة تميّزت بها عن كثير من نساء البلدان الأخرى آنذاك. يقول هنري بييرس في كتابه الشعر الفصيح في القرن الحادي عشر الميلادي: "إن المرأة الأندلسية كانت تتمتع بوضعٍ أكثر ليبرالية من وضعية أخواتها في المشرق. وقد لاقت المرأة الأندلسية تكريماً عزّ نظيره في المجتمعات الأخرى"^(٢).

فقد تمتعت بقسط وافٍ من الحرية لم تصل إليه أختها المشرقية، إذ كانت النساء بغرناطة يخرجن وحدهن دون أن يصحبهن أحد، فكُن يذهبن إلى الحمام الذي كان له أهمية خاصة لهن، فهو لم يكن مكاناً للاغتسال والتدليك وصبغ الشعر فحسب، بل كان مكاناً يمكنهن من لقاء صديقاتهن في فضاءاته والاستمتاع بلحظات جميلة من الأناقة والضحك، وتبادل الأحاديث الطويلة^(٣). وتحرّرت المرأة الغرناطية بيد وجلياً في وصف ابن الخطيب رحلة السلطان يوسف الأول أبي الحجاج التي تفقد فيها أحوال المدن والقرى في مملكته؛ إذ خرجت نساء وادي أش للمشاركة في استقبال السلطان وقد اختطن بالرجال. قال: "... واختلط النساء بالرجال، والتقى أرباب الحجاب بربات الحجال، فلم تفرّق بين السلاح والعيون الملاح، ولا بين حمر البنود وحمر الحدود"^(٤).

""""""""""

⁽¹⁾ انظر مثلاً: المرأة في الشعر الأندلسي عصر الطوائف، رسالة ماجستير، سلمى سلمان، كلية الآداب، الجامعة المستنصرية، ١٩٨٦م. وصورة المرأة في الأدب الأندلسي في عصر الطوائف والمرابطين، د. محمد صبحي أبو حسين، عالم الكتب الحديث، الأردن ٢٠٠٣م.

⁽²⁾ الجيوسي، سلمى الخضراء، الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، ط ٢، ٢م، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٨م، ص ٩٨٠.

⁽³⁾ انظر: أحمد الدوسري، الحياة الاجتماعية في غرناطة، ص ٣٢٩.

⁽⁴⁾ لسان الدين ابن الخطيب، مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب، تحقيق أحمد مختار العبادي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٨٣م، ص ٥٠.

وعلى الرغم من هذه الحرية التي تمتعت بها المرأة الغرناطية إلا أنه كان يعرف عنها كثرة الاستقرار في منزلها لا تخرج إلا في مناسبات معينة كالأعياد والصلوات وارتياح الحمامات الخاصة بالنساء^(١).

وفي داخل البيوت كانت المرأة تعامل معاملة كريمة مهذبة، وقد لاحظ هذا الليثي بروفنسال عندما هاجر كثير من الأندلسيين إلى المغرب وقد حملوا معهم هذه الصورة الطيبة من المعاملة للمرأة ومشاركتها في الأمور العائلية. يقول: "إن نمط حياتهم داخل بيوتهم قد بقي محافظاً على طابعه الأندلسي، وإن زوجاتهم يعاملن معاملة أفضل، ويدخلن في المناقشات العائلية، ولا يعانين -أكثر الأوقات- من وجود ضرة إلى جانبهن. وطريقتهن في تهيئة أنواع الطعام تختلف اختلافاً بيناً عن طرائق سائر البلاد"^(٢).

وفي الأسر الميسورة كانت المرأة تنعم بحياة ناعمة رغدة، فكان منهن من تنام حتى الضحى لوجود من يخدمها ويقوم بأعباء المنزل عنها. يقول الشاعر الملك يوسف الثالث في معرض غزله في إحداهن^(٣):

طَرَقَتْ حَمَاهُمْ عَلَى غِرَّةٍ وَكَمْ سَرَّ لَيْلٍ وَسَاءَ الصَّبَاحُ
وَكَمْ مِنْ كَسُولٍ نَوْمِ الضُّحَى تَصْبِحُهَا وَهِيَ دُونَ اصْطَبَاحِ

.....

(١) انظر: حسن النوش، التصوير الفني للحياة الاجتماعية، ص ١٣٠.

(٢) ليثي بروفنسال حضارة العرب في الأندلس، ص ٢٦.

(٣) يوسف الثالث، ديوان الملك يوسف الثالث، ص ٢٥.

كما أكد عبد الكريم القيسي^(١) أنها كانت مدللة منعمة، فقد كان جسمها كالفضة البيضاء
تثير إعجاب الناظرين إليها، وكان غضاً طرياً إذا ما لمست يد تركت فيه آثاراً وندباً^(٢):

أفدي التي لم تزل تُبدي محاسنها للناظرين إليها منظرًا عجبًا
جسم من الفضة البيضاء معتدل تخالته مشرباً من حسنه ذهبًا
إذا يد لمسته من غضاضته وحسن نعمته أبت به ندبًا

حظيت المرأة الغرناطية وخاصة في الطبقة الخاصة الغنية على تربية حسنة وثقافة عالية على
غرار ما كانت تتلقاه المرأة القرطبية أيام بني أمية، والإشبيلية أيام بني عباد^(٣)، ونالت حظاً وافراً من
التعليم. وقد أشار ابن الخطيب في الإحاطة إلى أن محمد بن علي بن محمد الفخار^(٤) كان يدرس في
مسجد مالقة وكان يخصص فترة ما بعد العصر لتعليم النساء^(٥).

~~~~~

(١) هو عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم القيسي، البسطي، يغلب على الظن أنه ولد في العقد الأول من القرن  
٩٩هـ / ١٥م في بسطة، شاعر وفقيه، عمل إماماً في مدينة برجة، ثم تولى خطة التوثيق، أسره النصارى في مدينة  
آبره مدة كانت طويلة نسبياً، وأحرق حانوته، وعُزل عن بعض الخطط، فانعكست هذه الحالة في شعره فلام،  
وعاتب، وذم، ونقد وشكا، لانعرف تاريخاً محددًا لوفاته، وليس مستبعداً أن يكون قد عاصر سقوط غرناطة.  
انظر: القيسي، عبد الكريم بن محمد (؟)، ديوان عبد الكريم القيسي، تقديم جمعة شيخة، ومحمد عبد الهادي  
الطرابلسي، بيت الحكمة، قرطاج، ١٩٨٨م، المقدمة، ص ٧-١٥.

(٢) عبد الكريم القيسي، ديوان عبد الكريم القيسي، ص ٣٩٦.

(٣) انظر: يوسف فرحات، غرناطة في ظل بني الأحمر، ص ١٢٢.

(٤) هو محمد بن (علي) عبد الرحمن بن الفخار، الجذامي، يكنى أبا بكر، عالم بالفقه والعربية، ولد ونشأ في أركش،  
وتعلم بشرش وروى بها عن علمائها، ثم انتقل إلى الجزيرة الخضراء فدرس بها، وعبر البحر إلى سبتة ثم عاد  
واستوطن مالقة وتوفي بها عام (٧٢٣هـ)، وكانت جنازته مشهورة، له تأليف كثيرة في فنون مختلفة، وشعره غريب  
النزعة. انظر: لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة، ج ٣، ص ٩١؛ ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ج ٤،  
ص ٨١.

(٥) انظر: لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة، ج ٣، ص ٩٢.

وقد عرف مجتمع بني الأحمر عدداً من النساء اشتهرت أسماءهن في ميادين السياسة والعلم والأدب والفن . نذكر منهن على سبيل المثال مريم أم إسماعيل التي كانت محظية لدى يوسف الأول وكان لها الدور البارز في خلع السلطان محمد الخامس، وعائشة الحرة زوجة أبي الحسن علي ابن الأحمر وصراعها على النفوذ والسلطة مع زوجته الثانية ثريا، مما أوقع الخلاف بين طلاب العرش ودفع ملك بني الأحمر نحو الهاوية<sup>(١)</sup> .

ومن النساء اللواتي اشتهرن في اللغة والأدب: أم الحسين بنت أبي جعفر الطنجالي<sup>(٢)</sup> الطبيب المشهور التي لمع اسمها في حقل الطب والأدب<sup>(٣)</sup> .

كما فاقت زوجة أحد قضاة لوشة العلماء في معرفة الأحكام والنوازل، ويحكى أنه كان في مجلس قضائه تنزل به النوازل فيقوم إليها، فتشير عليه بما يحكم به . مما جعل بعض أصحابه يرسل إليه مداعباً بقوله<sup>(٤)</sup> :

بَلُوشَةَ قَاضٍ لَهْ زُوجَةٌ      وَأَحْكَامُهَا فِي الْوَرَى مَاضِيَةٌ  
فِي آيَتِهِ لَمْ يَكُنْ قَاضِيًّا      وَيَا لَيْتَهَا كَانَتْ الْقَاضِيَّةُ

""""""""""

(1) انظر: يوسف فرحات، غرناطة في ظل بني الأحمر، ص ١٢٢ .

(2) وهي أم الحسن بنت القاضي أبي جعفر الطنجالي، من أهل لوشة نبيلة حسبية، تجيد قراءة القرآن، أخذت علوم الطب عن أبيها ففهمت أغراضه وعلمت أسبابه وأعراضه، وكانت تنظم أبياتاً من الشعر . انظر: لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة، ج ١، ص ٤٣٠ .

(3) انظر: لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة، ج ١، ص ٤٣٠ .

(4) المقرئ، نفع الطيب، ج ٤، ص ٢٩٤ .

وقد عرض عليها حتى في هذا الأمر الأخير، شأنه في المسائل الأخرى، فكتبت رداً في الحال فيه تحقير ووعيد لهذا الصاحب الساخر<sup>(١)</sup>. نقول<sup>(٢)</sup>:

هـو شِيخٌ سُوءٌ مُزْدَرِيٌّ      لَـهُ شَيْـُوبٌ عَاصِيَةٌ  
كَـلًّا لَـئِن لَّمْ يَنْتَهُ      لِنَسْفَعَا بِالنَّاصِيَةِ

فقد كان إذا استعصى عليه الفصل في قضايا الناس يدخل إلى زوجته يستنجد برأيها فتشير عليه بما يحكم<sup>(٣)</sup>.

أما ما يخص مساهمة نساء غرناطة في الميدان الاقتصادي، فقد كانت النساء في الأسر الفقيرة تساعد الزوج فتغزل الصوف وتحيك الملابس داخل البيت<sup>(٤)</sup>، وكان منهن من يعملن كمربيات للأطفال ومعلمات لهم<sup>(٥)</sup>.

ويمكننا الانتهاء إلى القول إن المرأة الغرناطية لم تكن بوجه الإجمال في عزلة تامة عن مجتمعها، فكانت تتمتع بوضع نسبي جيد ويقدر من الحرية، وكانت عنصراً فعالاً ونشطاً في المجتمع. وقد استطاعت ولوج ميادين العلم والمعرفة وأظهرت كفاءتها واستطاعت بذلك أن تحظى بمكانة مرموقة في مجتمعها<sup>(٦)</sup>.

كان لا بد من هذا العرض السريع لأحوال المرأة الغرناطية لنذكر كيف كان دورها داخل الأسرة أما وزوجة.

""""""""""

(1) انظر: حسن النوش، التصوير الفني للحياة الاجتماعية، ص ١٣٤.

(2) المقري، نفع الطيب، ج ٤، ص ٢٩٤.

(3) انظر: مصطفى الشكعة، الأدب الأندلسي، ص ٤٥.

(4) انظر: يوسف فرحات، غرناطة في ظل بني الأحمر، ص ١٢١.

(5) انظر: أحمد الدوسري، الحياة الاجتماعية في غرناطة، ص ٣٣٨.

(6) انظر: المصدر نفسه، ص ٣٤٤.



## الأم:

اهتمت الأم الغرناطية بتربية أولادها وتوفير الغذاء والراحة الجسدية لهم، فهي كما صوّرها أبوحيان الأم الحنون الشفوق على أولادها وأحفادها، تحضّر لهم ما لذ وطاب من الطعام، يقول<sup>(١)</sup>:

وكانت لهم أمًا حنونًا وجدةً شفقًا تُشهِهِم بِكُلِّ تَلِذْذِ

إنّ الشعر الذي يصوّر لنا دور الأم وعلاقتها بأبنائها في الأسرة الأندلسية في هذه الحقبة الزمنية قليل جداً، ولم أجد إلا البيتين اللذين رثا فيهما ابن الأزرق أمه، ونستنج منهما أنّ الأم كانت تحبّ أولادها وتحاف عليهم. ففي هذين البيتين يصوّر لنا أمه تبكي لا خوفاً من الموت وأهواله فهي ذاهبة لرب رحيم إنما تبكي لفراقها إياه وبعدها عنه. وقد بناهما على الحوار بين نفسه المكلومة وبين أمه الفقيدة، فقال<sup>(٢)</sup>:

تَقُولُ لِيْ وَدُمُوعُ الْعَيْنِ وَآكْفَةٌ مَا أَفْطَعَ الْبَيْنَ وَالتَّرْحَالَ يَا وَلَدِي  
فَقُلْتُ أَيْنَ السُّرْمَى قَالَتْ لِرَحْمَةٍ مَنْ قَدْ عَزَّيْ فِي الْمَلِكِ لَمْ يُوَلِّدْ وَلَمْ يَلِدْ

## الزوجة:

احتلت الزوجة في النظام الأسري الذي بناه العرب في الأندلس مكانة مرموقة استمدتها من نظرة الإسلام إلى الزوجة؛ إذ كرمها في أكثر من آية كريمة، قال تعالى: "يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبثّ منهما رجالاً كثيراً ونساءً"<sup>(٣)</sup>.

""""""""""

(١) أبوحيان، ديوان أبي حيان، ص ١٧٠.

(٢) المقرئ، فصح الطيب، ج ٢، ص ٧٠٣.

(٣) النساء، الآية ١.

وكان الزواج في المجتمع الأندلسي يتم في سن مبكرة، ولفتاة الحق في اختيار زوجها، ويؤخذ رأيها في هذا الزواج وتم استشارتها وتؤخذ موافقتها عليه<sup>(١)</sup>. فالمرأة جارية كانت أم حرة صاحبة الأمر في قبول الزواج أو رفضه<sup>(٢)</sup>.

ولم تكن الزوجة في الأسر الميسورة تخرج من منزلها الزوجي إلا عند الضرورة، فكانت تقضي الساعات الطويلة في التبرج، ولا تبدل رتابة العيش داخل المنزل إلا عند استقبال الزائرات. أما أوقات التسلية القليلة خارج البيت فكانت زيارة الأهل والأقرباء وارتياح الحمامات العامة مرة أو مرتين في الشهر، وعند زيارتها المقابر نهار الجمعة. أما في الأسر الفقيرة ولدى طبقات العمال والحرفيين فكانت الزوجة تساعد زوجها في تحمّل أعباء المنزل، فتغزل الصوف وتحيك الملابس<sup>(٣)</sup>. وأحبّ الرجل الأندلسي زوجته حباً شديداً، وعاملها معاملة حسنة كريمة، وشاركها في أمور حياته كلها<sup>(٤)</sup>.

وقد بثّ أبو حيان لوعته وحبّه لأم حيان في أشعاره وتحدّث عنها وحنّ بها، فقال<sup>(٥)</sup>:

جُنُنتُ بِهَا سَوْدَاءَ لَوْنٍ وَنَاظِرٍ      وَيَا طَالَمَا كَانَ الْجَنُونُ بِسَوْدَاءِ  
وَجَدْتُ بِهَا بَرْدَ النَّعِيمِ وَإِنْ يَكُنُّ      فُوَادِي مَنُهَا فِي جَحِيمٍ وَأَوَاءِ<sup>(٦)</sup>

وشَاهَدْتُ مَعْنَى الْحُسْنِ فِيهَا مُجَسِّدًا      فَأَعْجَبُ لِمَعْنَى صَارَ جَوْهَرَ أَشْيَاءِ

(١) انظر: ابن حزم، طوق الحمامة، ص ٩٥.

(٢) انظر: أبو حسين، محمد صبحي، صورة المرأة في الأدب الأندلسي في عصر الطوائف والمرابطين، عالم الكتب الحديثة، الأردن، ٢٠٠٣م، ص ٣٩٠.

(٣) انظر، يوسف فرحات، غرناطة في ظل بني الأحمر، ص ١٢١.

(٤) انظر: ليثي بروقنسال، حضارة العرب في الأندلس، ص ٢٦.

(٥) المقرئ، فح الطيب، ج ٢، ص ٥٦٩.

(٦) اللأواء: الشدة وضيق المعيشة، لسان العرب، مادة لأوي.

وقد اختلط الغزل بالمديح والإعجاب في هذه الأبيات، ولا غرو في ذلك فقد أحبها وهام بها،  
فهي أنيسه في الغربة وسميره في الوحشة ورفيقه في حله وترحاله، فيقول<sup>(١)</sup>:

كانت أنسي في وُحْدَتِي واغْتِرابِي      وَمَنَامِي وَيَقْظَتِي وَسِفَارِي  
وَنَدِيمِي فِي رِحْلَتِي وَمَقَامِي      وَزَمِيلِي فِي حِجَّتِي وَاغْتِمَارِي  
وكانت الزوجة بمثابة السكن للنفس، توفر الأمان والطمأنينة لزوجها . وقد رُوِّعت قلوب  
الشعراء لوقوع مصيبة الموت بزوجاتهم، وفقدت الحياة بهجتها . فقد بكى الشاعر الملك يوسف  
الثالث زوجته - وهو الملك وله غيرها من الأزواج وما شاء من الجواري - بدموع حرى ورثى طويلاً  
هذه الفقيده<sup>(٢)</sup>، يقول<sup>(٣)</sup>:

جفا أجفان مُقْلَتِي السُّهَادُ      فَهَلْ سَاعَدَتْ يَوْمًا سَعَادُ  
تَوَادَعْنَا فَعَزَّ بِهَذَا لِقَاءُ      وَأَحْكَمَ عَقْدَ فُرْقَتَنَا الْبِعَادُ  
فَوَأَسَفًا عَلَى سَكْنِ صَفِيٍّ      سَجِيئُهُ خُلُوصٌ وَاِعْتِقَادُ  
فَغَيْبٍ فِي الثَّرَى نَجْمُ الثَّرِيَّا      وَأَقْفَرْتُ الرُّوَابِي وَالْوَهَادُ  
فقد جفاه النوم بفقده زوجته، التي بموتها فقد سكنه الصفي بصفاء السجية والإخلاص،  
وأصبحت حياته جدياء مقفرة كما هي حال الروابي والوهاد في غياب المطر .

ومما وصل إلينا من نصوص شعرية تبين من خلالها أن نصيب الزوجات من الرثاء كبير . فقد  
أصبح هذا اللون عزاء الشعراء ممن صدقوا في حبهم زوجاتهم اللاتي غيبهن الموت وغدون تحت  
الثرى، فلم يبق للزوج إلا ذكر خصال زوجته الحميدة كالعفاف والخلق الحسن والتقوى . فقد كانت

~~~~~

(١) أبو حيان، ديوان أبي حيان، ص ١٩٣ .

(٢) انظر: حسناء الطرابلسي، حياة الشعر في نهاية الأندلس، ص ٣٢١ .

(٣) يوسف الثالث، ديوان الملك يوسف الثالث، ص ٥٥ . انظر أيضاً: ص ٢٦ .

زوجة أبي حيان زمرد رزينة العقل، دمثة الأخلاق، عفيفة اللسان، راوية للحديث النبوي، وقد أخذت العلم من علماء مصر والشام والعراق وتلمذت طلبه العلم عليها، وكانت حسنة الصورة، ماهرة في الطهي عطوفة على أولادها وأحفادها، قال^(١):

وحازت لحسن الخلق خلقاً مدمشاً
جميلة خلق سهل الخلق ليناً
وروت بيت الله والقدس ما روت
وكانت لهم أمًا حنوناً وجدةً
ولن كلام طاهر ليس بالبيدي
رقيقة قلب ثاقب الذهن أحوذي^(٢)
لمصري أو شامي أو متبغد
شفا تشهيهم بكل تلذذ

ويبقى الزوج وفياً لذكرى زوجته، فهي وإن أودعت في الثرى سيبقى محلها في القلب ما دام

حيًا ولن يمحي الدهر حبها الثابت في قلبه، يقول^(٣):

لئن أودعوها في الثرى فمحلها
وهيات يمحو الدهر ثابت ودها
من القلب محمي بطول حياته
وما رسمت أيدي الهوى في حصاته

وقد حفظ الزوج كرامة زوجته حتى بعد موتها، فهو في رثائه لها لم يذكر اسمها ولم يصف

خلقتها، إنما كان يعدد محاسنها وخلالها فقط، وبدل أن يذكر اسمها أورد جملة من الأسماء فهي سلمى

وسعاد ويلي وكلها أسماء وهمية أراد بها زوجته، فقد رثى الشاعر الملك يوسف الثالث زوجته

واستعار لها اسمًا غير اسمها، فهي تارة سعاد وأخرى سلمى^(٤)، يقول^(٥):

~~~~~

(١) أبو حيان، ديوان أبي حيان، ص ١٦٨ - ١٧٠ .

(٢) الأحوذي: المشر في الأمور القاهر لها الذي لا يشذ عليه منها شيء، وهو الذي يحسن سياق الأمور، لسان

العرب، مادة: حوذ .

(٣) يوسف الثالث، ديوان الملك يوسف الثالث، ص ١٦ .

(٤) انظر: حسناء الطرابلسي، حياة الشعر في نهاية الأندلس، ص ٣٢٦ .

(٥) يوسف الثالث، ديوان الملك يوسف الثالث، ص ٥٥ .

جفا أجفان مُقلتي السهادُ      فهلا سَاعَدْتُ يوماً سَعَادُ  
ويقول<sup>(١)</sup>:

أعيذ الحمى أن يُخيَّبُ راجيها      تذكر من سلمى حبيباً مُناجيا

### صورة الأبناء في الشعر الأندلسي:

كان ميلاد الطفل في الأسرة الأندلسية أياً كان جنسه - ذكراً أم أنثى - يشكل حدثاً سعيداً وعيداً حقيقياً يبعث البهجة والسرور في محيط الأسرة، فتقام من أجله الحفلات وتقبل الأسرة - وعلى رأسها الأب - التهنة المقرونة بالأمانى المتقائلة<sup>(٢)</sup>.

وقد جرت العادة عند شعراء الأندلس تقديم التهنة للآباء السعداء بأبنائهم وبناتهم، مع إضفاء الصفات المحببة لدى مجتمعهم على حديثي الولادة، كالسيادة والوسامة والشجاعة<sup>(٣)</sup>. وقد هنا ابن سهل الإسرائيلي<sup>(٤)</sup> أحدهم بمولود له<sup>(٥)</sup>:

~~~~~

(١) يوسف الثالث، ديوان الملك يوسف الثالث، ص ١٦٥.

(٢) انظر: حسن النوش، التصوير الفني للحياة الاجتماعية، ص ١٤١.

(٣) انظر: المصدر نفسه، ص ١٤٤.

(٤) هو إبراهيم بن سهل الإشبيلي، أبو إسحاق (٦٠٥ - ٦٤٩هـ)، شاعر، كان يهودياً وأسلم، وتلقى الأدب وقال الشعر فأجاده، أصله من إشبيلية وسكن سبتة بالمغرب الأقصى، وكان مع ابن خلاص (والي سبتة) في زورق فانقلب بهما فغرقا، له "ديوان شعر" صغير. انظر: الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ٦، ص ٥؛ الكتيبي، محمد بن شاعر (٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م)؛ فوات الوفيات، ٦م، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، د. ت. ج ١، ص ٢٠.

(٥) ابن سهل الإسرائيلي، إبراهيم بن سهل (ت ٦٤٩هـ / ١٢٥١م)، ديوان ابن سهل الإسرائيلي، تحقيق قوبعة، الجامعة التونسية، تونس، ١٩٨٥م، ص ٥٥، ٥٦.

هي طَّلَعَةُ السَّعْدِ الْأَغْرِبِ فَمَرْحَبًا وَسَنَا الرِّئَاسَةَ قَدْ أَضَاءَ فَلَاحِبًا
 فَرَعٌ أَزَاهِرُهُ الْمَنَاقِبُ نَابِتٌ فِي الْمَعْلُوتِ ^(١) الشُّمِّ ^(٢) لَا شُمَّ الرَّبِّي
 هَشَّتْ لِمَطْلَعِهِ الْأَسْرَةَ وَالْأَسْنَ نَةً وَالْمَحَافِلُ وَالْجَحَافِلُ وَالظُّبِّي
 لَا تَحْمَلُوهُ عَلَى الْمُهْودِ فَإِنَّهُ لِيَرَى ظُهُورَ الْخَيْلِ أَوْ طَأْمَ مَرْكَبَا
 وَتَنْقُطُوهُ عَنِ اللَّبَّانِ فَإِنَّهُ لِيَرَى دَمَ الْأَبْطَالِ أَحْلَى مَشْرَبَا

فهو فرعٌ من أصل كريم شامخ، فرحت بولادته أسنة الرماح والسيوف ومجالس الرجال، فهو الفارس الذي لا يحمل إلا على ظهور الخيل، والشجاع الذي لا يرتوي إلا من دم الأبطال.

كما هنا ابن فركون ^(٣) الملك يوسف الثالث بمولودة وهبت له على أثر وفاة مولود له، مُبِينًا أَنَّ شرف قدومها وصل إلى أقاصي البلاد لسمعة أبيها الطيبة، فقال ^(٤):

هنيئاً هنيئاً إمام الهدى وغوث الوجود وغيث التدى
 وبشرى بوافدة قد أتت لها شرفٌ حاز أقصى المدى
 لقد طلعت هذه عند ما رأت سيفه في الثرى أغمداً

~~~~~

(١) المعلوات من العُلا أي الرفعة والشرف، المعجم الوسيط، مادة علا.

(٢) الشُّمُّ، جمع شَمٍّ، وشَمَّ الرجل أي ترفع وتكبر، المعجم الوسيط، مادة شَمَّةٌ.

(٣) هو أبو الحسين بن أحمد بن سليمان القرشي، المعروف بابن فركون، أصله من المرية، وانتقل جدّه إلى غرناطة، كان أبوه قاضياً فقيهاً وأديباً شاعراً، أدرك أبو الحسين مكانة كبيرة في عهد السلطان يوسف الثالث ملك غرناطة، فكان كاتب سرّه وشاعر دولته، ولد أبو الحسين حوالي عام (٧٨١هـ) ولم يعرف له تاريخ وفاة. انظر: ابن فركون، أبو الحسين بن أحمد القرشي (?)، ديوان ابن فركون، ط١، تقديم وتعليق محمد ابن شريفة، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، المغرب، ١٩٨٧م، المقدمة، ص ٩-١٩.

(٤) ابن فركون، ديوان ابن فركون، ص ١٣٧.

فأَيْنَ وَأَسْعِدُ بِهَا طُلْعَةً وَأَعْظِمُ وَأَكْرِمُ بِهِ مَوْلِدًا

لم تر الأسرة الأندلسية عندما كانت الأندلس في أوج ازدهارها وقوتها أن هناك كبير فرق بين الذكر والأنثى من أبنائها فكلاهما سواء، فقد هتأ ابن عمّار<sup>(١)</sup> الأندلسي المعتمد بن عباد وقد ولد له مولودان ذكر وأنثى، فقال<sup>(٢)</sup>:

إِهْنَأُ بِبَنْجَلِيكَ مِنْ أَنْثَى وَمِنْ ذَكَرٍ لَا تَعْدَمُ الضُّوْءَ بَيْنَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ

وقد اختلف الأمر بعض الشيء في عصر الطوائف وما بعده وخاصة بين الفئات الفقيرة؛ إذ إن ما حصل من صراعات ونزاعات بين الممالك، وما كان يهدّد الأندلس من خطر خارجي قد دفع كثيراً من الآباء إلى الخوف على بناتهم والخشية من وقوعهن بيد الأعداء وانتهاك حرمتهم، فكان الآباء يفضلون الذكور على الإناث<sup>(٣)</sup>.

وفي عصر بني الأحمر شهدت غرناطة اضطرابات سياسية خطيرة، مما جعل الآباء يفرحون بالمواليد الذكور أكثر من الإناث، وذلك لحاجتهم إلى من يقف في وجه تهديدات النصارى<sup>(٤)</sup>. ومع ذلك

""""""""""

(١) هو محمد بن عمّار المهدي الأندلسي، الشليبي، أبو بكر وزير، وشاعر هجاء، يلقب بذي الوزارتين، جعله المعتمد ابن عباد وزيراً له ومشيراً وجليسا، ثم خلع عليه خاتم الملك ولقبه بالإمارة، واستنابه على مرسية فعصى بها وتملكها، فتحيل المعتمد عليه وسدّد سهام المكاييد له حتى قتله في قصره ليلاً بيده وذلك سنة (٤٧٧هـ)، ودفن بإشبيلية. انظر: ابن خلكان، أحمد بن محمد (٦٨١هـ / ١٢٨٢م)، وفيات الأعيان، ٨، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، د. ت، ج٤، ص ٦٦٩.

(٢) ابن بسام الشنتري، أبو الحسن علي بن بسام (٥٤٢هـ / ١١٤٧م)، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٩م، ق٤/م١، ٢٩٨.

(٣) انظر: المشهداني، محمد مولود (١٩٩٠م)، الشعر الاجتماعي في الأندلس من الفتح إلى نهاية عصر الطوائف، رسالة دكتوراه، غير منشورة، الجامعة المستنصرية، ص ٦٦.

(٤) انظر: ظاهر، حمزة محمد (٢٠٠٣م)، صورة المرأة في الشعر الأندلسي في ظل بني الأحمر، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن، ص ٨٧.

فقد ربّت الأسرة الأندلسية ابنتها تربية صالحة، وحرصت على تنشئتها نشأة عربية إسلامية، كان من أثرها أن صارت فيما بعد أمّاً صالحة وعالمة فاضلة وأديبة بارعة .

حرصت الأسرة الأندلسية - ولا سيما العريقة منها - في اختيار اسم المولود على إبقاء الأصالة والحفاظ على طوابع موروثه من شأنها إعلاء قدر الأسرة فاختر بنو الأحمر لأبنائهم أسماء الآباء والأجداد من كانوا في أساس عظمة الأسرة، لهذا كثرت بينهم أسماء محمد وإسماعيل ونصر ويوسف، أما بناتهم فحملن أسماء عربية مشهورة في الإسلام كفاطمة وعائشة وخديجة<sup>(١)</sup> .

وفي اليوم السابع لولادة الطفل تذبح له العقيقة، ويحلق شعره لأول مرة، ويُسمى في هذا اليوم<sup>(٢)</sup>، ومن عاداتهم في تسمية المولود أن من يسميه يهب له هبة، فقد طلب ابن فركون من الملك يوسف الثالث تسمية أبنائه راجياً أن ينعم عليه بجزيل عطائه .

يقول ابن فركون: "كُتبت لمقامه الكريم بالحضرة معلماً بولادة ولدي أبي الطاهر هداه الله وذلك

يوم الأحد . . . فسماه أيداه الله ووهبه مثل أخيه شكر الله نعمته، وأبقى عنايته وحرّمته"<sup>(٣)</sup>:

|                                                |                                                 |
|------------------------------------------------|-------------------------------------------------|
| أَمْوَالِي إِنْ الْعَبْدَ قَدْ زَادَ عِنْدَهُ  | خَدِيمٌ لِمَا شَاءَتْ عُجْلَاكَ أَعَدَّهُ       |
| أَتَى وَافِداً مِنْ عَالَمِ الْكَوْنِ رَاجِياً | نَدَاكَ الَّذِي تَسْتَمْطِرُ السُّحْبُ عَهْدَهُ |
| يُثِيرُ سُروراً فِي النُّفُوسِ بِكَوْنِهِ      | يُؤَيِّرُ مِنْكَ الْجَاهُ وَالْعِزُّ مَهْدَهُ   |
| بِتَسْمِيَةِ يَبْقَى مَدَى الدَّهْرِ ذِكْرُهَا | يُشَرِّفُ مَوْلَانَا بِذَلِكَ عِبْدَهُ          |

ومن عاداتهم أيضاً تعليق التعاويذ والتمايم الوقائية بعد فطام المولود<sup>(٤)</sup> .

~~~~~

(١) انظر: يوسف فرحات، غرناطة في ظل بني الأحمر، ص ١٢٣ .

(٢) انظر: حسن النوش، التصوير الفني للحياة الاجتماعية، ص ١٤٥ .

(٣) ابن فركون، ديوان ابن فركون، ص ٢٤٢ - .

(٤) انظر: يوسف فرحات، غرناطة في ظل بني الأحمر، ص ١٢٣ .

وفي سنٍّ متأخرة يحتفل الأب باختان ابنه فتقام الاحتفالات والمهرجانات وتقدّم الولائم بهذه المناسبة ويدعى إليها الناس من كل حدب وصوب^(١).

كما اهتم الآباء بتعليم أبنائهم وتربيتهم، وجاء في العديد من المصادر أن الأندلسيين أولوا تعليم أبنائهم في سن مبكرة اهتماماً بالغاً كان سبب نبوغ عدد منهم ووصوله إلى درجة عالية من العلم ومراتب راقية في المجتمع^(٢).

وكانت صلة الابنة بأبيها في الأسرة الأندلسية تقوم على أسس متينة من الودّ والاحترام. واهتم الأب في تنشئة ابنته على الخير والصلاح ومكارم الأخلاق كما اهتم بتعليمها، فقد كانت نزار ابنة أبي حيان عالمة معربة ومؤدبة حضرت على الدمياطي، وسمعت من شيوخ مصر، وكانت تقرأ وتكتب، وقد خرجت لنفسها جزءاً من الأحاديث ونظمت شعراً، وكانت تعرب جيداً^(٣). وقد أشاد أبو حيان بعلمها وفطنتها وذكاؤها، فقال^(٤):

ذاتُ اِرْتِيَاحٍ إِلَى الْقُرْآنِ تَسْرُدُهُ طَوْرًا وَتَسْرُدُ طَوْرًا بَعْدَهَا السُّنَنَا
فَقِهَ وَنَحْوِ تَارِيخٍ وَمَعْرِفَةٍ وَلِحَظِّ فَكْرٍ إِلَى نَيْلِ الْعُلُومِ رَبَّنَا
قَدْ نَوَّرَ اللَّهُ بِالْتَقْوَى بَصِيرَتَهَا فَلَمْ يُضَيِّعْ لَهَا فِي غَيْرِهَا الزَّمَانَا
فَصِيحَةٌ ثَقَّتْ بِالنَّحْوِ مَنْطِقَهَا فَلَنْ تُرَى فِيهِ لَأَلْحَنَا وَلَا لَكْنَا

وكانت نزار مصدر فخر لأبيها إذ يقول: "ليت أخاها حيان مثلها"^(٥).

~~~~~

(١) انظر: حسن النوش، التصوير الفني للحياة الاجتماعية، ص ١٦١.

(٢) انظر: أحمد الدوسري، الحياة الاجتماعية في غرناطة، ص ٣٣٦.

(٣) انظر: أبو حيان، ديوان أبي حيان، المقدمة، ص ٦٩.

(٤) المصدر نفسه، ص ٤٠٠، ٤٠١.

(٥) المصدر نفسه، ص ٦٩.





والجارية هي كل امرأة أوقاة أخذت أسيرة في الحرب أو نقلت قسراً من بلاد العدو<sup>(١)</sup>. وقد كان عدد الجوارى في الأندلس يزيد أو ينقص تبعاً لقوة أو ضعف الحكام هناك، فإذا كان الحاكم قوياً استطاع أن يصد هجمات الفرنجة وأن يغزو أرضهم ويسبي نساءهم، أما إذا كان الحاكم ضعيفاً فإنه يبقى داخل حدود مملكته ولا يغزو العدو فيقل عدد الجوارى<sup>(٢)</sup>.

عرفت الأندلس نوعين من الجوارى هما الأسود والأبيض<sup>(٣)</sup>، فالجوارى السود كن حبشيات الأصل، وكان يؤتى بهن من المشرق، وقد عرفن بقلّة في الأندلس. وكان عبد الرحمن الداخل هو أول من مهدّ لهنّ السبيل في الأندلس، وذلك عندما جلب إليها عدداً منهنّ من المدينة المنورة، وأفرد لهنّ حجرات في قصره عُرفت بـ "دار المدينيات"<sup>(٤)</sup>.

أما الجوارى البيض فكانّ من الأرمن والصقالبة واليونان وفرنسا، وقد انتشرن بكثرة في الأندلس عن طريق السبي أو الشراء<sup>(٥)</sup>.

وقسمت الجوارى حسب وظيفتهنّ في البيوت إلى قسمين: جوار شعبيّة أو جوارى الخدمة، وهؤلاء كنّ لا يميزن بميزة حسنة تذكر من جمال أو علم أو صغر سن. ومهمتهن الخدمة في البيوت، وشراء ما يحتاج إليه البيت من السوق. وكنّ بأعداد متفاوتة في القصور والبيوت حسب مستوى ربّ البيت الاقتصادي، وهنّ يعملن تحت رئاسة واحدة منهنّ يطلقون عليها اسم "قهرمانة"، وهؤلاء كنّ يعرضن للبيع في الأسواق<sup>(٦)</sup>.

""""""""""

(١) انظر: عبد النور، جبّور، الجوارى، دار المعارف، مصر، ١٩٤٧م، ص ١١٠.

(٢) انظر: وائل أبو صالح، الجوارى في الأندلس، ص ١٣.

(٣) انظر: المصدر نفسه، ص ١٩.

(٤) انظر: المقرئ، نوح الطيب، ج ٣، ص ١٤٠؛ وائل أبو صالح، الجوارى في الأندلس، ص ٢٠.

(٥) انظر: وائل أبو صالح، الجوارى في الأندلس، ص ٢٠.

(٦) انظر: المصدر نفسه، ص ٢٠.

وجوار خاصة أو جوارى اللذة، وهؤلاء كن صغيرات السن وعلى درجة من الجمال والعلم<sup>(١)</sup>. وكان تجار الرقيق يهتمون بتعليمهن<sup>(٢)</sup>، فالجارية المتعلمة أغلى ثمناً من الجارية الأمية<sup>(٣)</sup>. وكن يتلقين مختلف ضروب العلم والمعرفة وفنون الأدب حتى صار منهن "عالمات حكيما منطقيات فلسفيات هندسيات موسيقيات... نحويات أدبيات خطاطيات...".<sup>(٤)</sup> وهؤلاء كن يعرضن للبيع في بيوت التجار الخاصة<sup>(٥)</sup>.

ومن هؤلاء الجوارى كان الملوك والأثرياء يختارون المعلمة والمربية والمغنية والحبيبة والزوجة<sup>(٦)</sup>. وكان للجوارى الصغيرات السن الجميلات دور في مجالس اللهو والشراب والغناء. فكن يصفين على هذه المجالس سحراً وروعة، بجمالهن الفن، وجودة عزفهن، وجمال رقصهن. وقد وصف ابن الخطيب إحداهن في مجلس لهو، وقد عمت فيه أجواء اللهو والرقص والسرور من حولها<sup>(٧)</sup>. فقال<sup>(٨)</sup>:

وَفَاتِنَةُ اللَّحَاظِ إِذَا تَتَنَّنَتْ      رَأَيْتَ الْغُصْنَ يَمْرُحُ فِي الْبُرُودِ  
غَزَالَةَ رَبِّ<sup>(٩)</sup> وَمَهَاهُ قَفْرِ      تَعَوَّدَ طَرْفُهَا صَيْدَ الْأُسُودِ

(١) انظر: وائل أبو صالح، الجوارى في الأندلس، ص ٢٠.

(٢) انظر: المصدر نفسه، ص ٢٠.

(٣) انظر: أحمد أمين، ظهر الإسلام، ج ٣، ص ٣٠.

(٤) ابن بسام الشنتري، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ق ٣، م ١، ص ٣٢٠.

(٥) انظر: وائل أبو صالح، الجوارى في الأندلس، ص ٢٠.

(٦) انظر: المصدر نفسه، ص ٢٠.

(٧) انظر: سراب يازجي، الغزل في الشعر الأندلسي في ظل بني الأحمر، ص ٦٥.

(٨) لسان الدين ابن الخطيب، ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام، ص ٤١٤.

(٩) ررب: الررب هو القطيع من بقر الوحش، وقيل من الضباء، ولا واحد له، لسان العرب، مادة: ررب.

إِذَا مَا اسْتُنْطَقَتْ نَعَمَ الْمَثَانِي (١) ثَيْنًا هَزَّةً قُضِبَ الْقُدُودِ

حَمَدْتُ يَدَ الزَّمَانِ عَلَيَّ لَمَّا نَعِمْتُ بِهَا عَلَيَّ رَغَمَ الْحَسُودِ

وقد غدت الجواربي حاجة ملحة لا غنى عنها بالنسبة لكثير من الرجال، فيها هولسان الدين ابن الخطيب الذي أحب زوجته وأم أولاده وحن حزناً شديداً لوفاتها، وبكاها بكاءً مرثياً وشعراً، نجده يبعث بأبيات شعرية إلى سلطان المغرب في ذلك الوقت "أبي عمر تاشفين الموسوس" يطلب إليه جارية إسبانية ممن اشتمل عليهن قصره، ولم يرض علي وفاة زوجته سوى شهرين (٢). يقول (٣):

قَصَدْتُ إِلَى الْمَوْلَى أَبِي عُمَرَ الرِّضَا غَدْتُ بِالَّذِي يُرْضِي الْمَشِيئَةَ جَارِيَهُ

وَطُوفَانُ هَمِّي قَدْ طَغَى لِيَجِيرَتِي وَتُرْكِبَتِي الْآوَةُ فَوْقَ جَارِيَهُ

وَإِنِّي لِرَاضٍ بِالَّذِي يَرْتَضِيهِ لِي وَلَوْ عَبَدْتُ أَبَاؤَهَا شُنْتُ مَارِيَهُ (٤)

ولعل ابن الخطيب أراد من وراء ذلك أن يملأ بعض الفراغ الذي يعانيه في منفاه بعد فقد زوجته، وحاجته الملحة إلى امرأة تشرف على خدمته وخدمة أولاده الصغار (٥).

ويتكرر الأمر نفسه مع صديق ابن الخطيب الحميم ابن خلدون (٦) فعندما زار ابن خلدون

غرناطة سنة (٧٦٤هـ) تسرى هناك بجمارية إسبانية تدعى "هند" (٧). وعندما عاد إلى المغرب بعث

إلى ابن الخطيب يطلبها (٨).

~~~~~

(١) المثاني: من أوتار العود، الذي بعد الأول، واحدها مثنى، لسان العرب، مادة: ثني .

(٢) انظر: وائل أبو صالح، الجواربي في الأندلس، ص ٣٦ .

(٣) لسان الدين ابن الخطيب، نفاضة الجراب، ص ٢٨٢ .

(٤) شنت مارية: المقصود بها مريم العذراء، أي حتى لو كانت الجارية نصرانية .

(٥) انظر: لسان الدين ابن الخطيب، نفاضة الجراب، مقدمة الناشر، ص ٣٥ .

(٦) انظر: وائل أبو صالح، الجواربي في الأندلس، ص ٣٧ .

(٧) المقري، نفع الطيب، ج ٦، ص ١٧٤ .

(٨) انظر: وائل أبو صالح، الجواربي في الأندلس، ص ٣٧ .

إن الفتنة التي قامت في الأندلس وأدت إلى هذه النهاية المؤلمة كانت الجوارى من أسبابها المباشرة. فقد تزوج أمير غرناطة أبو الحسن بجزارية نصرانية اسمها "ثريا"، وكان اسمها النصراني "إيزابيلا" وأنجب منها سعدا ونصراً، وكانت قد أسرت واتخذت مولاة في دار أبي الحسن. وهو بهذا الزواج قد سطر نهاية الأندلس بعد أن مزق وحدة شعبه، وذلك لأنه مال إلى جاريتيه وفضلها على زوجته الحرة وابنة عمه عائشة وأولادها أبي عبد الله، وأبي الحجاج يوسف^(١). فما كان من ثريا إلا أن تدخلت في شؤون الدولة، وعرفت بالدَّهاء وسعة الحيلة، فأخذت بطرح بذور الشقاق بين أفراد العائلة، وأصبح البيت المالك بذلك قطعة من نار؛ الزوجة تكره ضررتها، وأولاد كل زوجة يعادون أولاد الزوجة الأخرى. وما لبثت غرناطة نفسها أن انقسمت انقسام البيت المالك، حتى أصبح أبو عبد الله يعادي أباه ويعمل لمناهضته وكذلك يفعل الأب، وكل يستنصر بملوك النصارى ليعاونوه على خصمه. ولكثرة الدسائس التي قامت بها الزوجة النصرانية "ثريا" لا يستبعد أحمد أمين في كتابه "ظهر الإسلام" أنها كانت جاسوسة على البيت الغرناطي المالك للنصارى المحاربين حناناً إلى أصلها^(٢).

مما تقدّم رأينا أنه كان للجوارى دور كبير في حياة المجتمع الأندلسي عامة وفي حياة الأسرة الأندلسية خاصة.

(١) انظر: وائل أبو صالح، الجوارى في الأندلس، ص ٧٢.

(٢) انظر: أحمد أمين، ظهر الإسلام، ج ٣، ص ٤٦.

الفصل الثاني

تصوير الشعر الأندلسي عادات المجتمع وتقاليد وأخلاقه

الصدق ويدعو إلى الالتزام به، لما فيه من عزّة للنفس وهيبة، محذراً من الكذب وعواقبه، فيقول^(١):

الصدق عزُّ فلا تعدل عن الصدق واحد من الكذب المذموم في الخلق
من لازم الصدق هابتُهُ الورى وعلا فالزمه دأباً تفز بالعز والسبق

يعتبر الكرم من أبرز صفات المجتمع العربي منذ القدم، فقد ظهر فيه في كل عصر ومصر أقطاب اشتهرت بالكرم، وروي عنهم مواقف عظيمة في الجود والسخاء، وكان من أبرزهم حاتم الطائي الذي كان مضرب المثل بالكرم. وقد جاء الإسلام وأمر بالكرم والإنفاق في سبيل الله وحث عليه، ووعد صاحبه بالأجر العظيم يوم القيامة، وبالعطاء الجزيل في الدنيا.

والكرم من المثل الأخلاقية التي حثّ عليها الشعراء الأندلسيون، فهذا ابن خاتمة الأنصاري^(٢)

يدعو إلى الجود والكرم ويرى فيه تخليداً لذكرى الإنسان، يقول^(٣):

إذا وجدت فجوداً للناس قاطبةً فالحال تفتنى ويبتقى الذكر أحوالا
لا سيما ورسول الله ضامنُهُ أنفق ولا تخش من ذي العرش إقلالا

""""""""""

(١) المقري، نفع الطيب، ج ٥، ص ٥٦٥-٥٦٦.

(٢) وهو أحمد بن علي بن محمد بن خاتمة، أبو جعفر الأنصاري الأندلسي، يعرف بابن خاتمة (ت بعد ٧٧٠هـ)، طبيب، ومؤرخ، وأديب محدث، من الأدباء البلغاء من أهل ألمرية بالأندلس، تصدر للإقراء فيها بالجامع الأعظم، وزار غرناطة مرات، وكانت بينه وبين لسان الدين ابن الخطيب مراسلات، ذكرها المقري في النسخ، من كتبه "مزية ألمرية على غيرها من البلاد الأندلسية"، و "رائق التحلية في فائق التورية"، وله ديوان شعر. انظر: لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة، ج ١، ص ٢٣٩؛ ابن الجزري، أبو الخير محمد بن محمد (ت ٨٣٣هـ / ١٤٢٩م)، غاية النهاية في طبقات القراء، ط ٣، ٢، غني بنشره ج. برجستراسر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٢م، ج ١، ص ٨٧.

(٣) المقري، نفع الطيب، ج ٧، ص ١٥٩.

والكرم من الصفات التي يفتخر بها ابن زمرك^(١)، فهو جُبِلَ على الكرم أولاً، ولا يرى الشح يحد

الإنسان، يقول^(٢):

ألائمةً في الجود والجودُ شيمَةٌ جُبِلْتُ على إيثارها يوم مولدي
ذريني فلو أتي أخلدُ بالغنى لَكُنْتُ ضنيناً بالذي ملكت يدي
وأكد الشعر ذم الأندلسيين البخل وأهله . وقال ابن خاتمة في ذم البخل والحرص وقد نعى على
البخلاء حبّ المال وإنفاق عمرهم في جمعه^(٣):

يا مَنْ غدا يُنفقُ العُمَرَ الثمينَ بلا جدوى سوى جمع مال خيفة العدمِ
ارْجِعْ لِنَفْسِكَ وانظُرْ في تخلصِها فقد قذفت بها في لجة العدمِ
ومن الأخلاق الحميدة التي أشار إليها الشعر الأندلسي وعدّها من صفات الكمال صفة

التواضع، فهو سبب الرفعة في الدنيا والآخرة فما تواضع أحد لله إلا رفعه، فيقول^(٤):

دِنٌ بالتواضع والإخبات^(٥) محسباً تقُّ على أهل السِّاداتِ

.....

(١) وهو محمد بن يوسف بن محمد الصريحي، أبو عبد الله، المعروف بابن زمرك (٧٣٣- بعد ٧٩٧هـ)، وزير من كبار الشعراء والكتاب بالأندلس، ولد ونشأ في روض البيازين بغرناطة وتعلم على شيوخها ومنهم لسان الدين ابن الخطيب، تولى الكتابة لسلطين غرناطة الغني بالله وابنه يوسف الثاني، وكتب عن السلطان أبي سالم المريني في المغرب، أظهر جرأته على أولي الأمر فاضطر يوسف الثاني إلى سجنه، وعندما تولى محمد السابع الحكم أبقى على ابن زمرك وزيراً لفترة قصيرة ثم عزله، وأرسل رجالاً دهموه في بيته وقضوا عليه، وكان قد وشى بأستاذه لسان الدين ابن الخطيب فلقي جزاء عمله، وقد جمع السلطان ابن الأحمر شعر ابن زمرك وموشحاته في مجلد ضخيم . انظر: المقرئ، فحح الطيب، ج٧، ص ص ١٤٥-٢٨١؛ لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة، ج٢، ص ٣٠٠؛ ابن القاضي، أحمد بن محمد المكناسي (ت ١٠٢٥هـ/١٦١٦م)، جذوة الاقتباس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، ١٩٧٣م، ج١، ص ٣١٢.

(٢) المقرئ، فحح الطيب، ج٧، ص ١٥٩.

(٣) ابن خاتمة الأنصاري، ديوان ابن خاتمة، ص ١٥٦.

(٤) المصدر نفسه، ص ١٥٤.

(٥) أخبت: خشع وتواضع، لسان العرب، مادة: خبت.

فَأَتْرُبُ لِمَا غَدَّ لِلرَّجُلِ مُتَطَّأً تَمَسَّحَ النَّاسُ مِنْهُ فِي الْعِبَادَاتِ
 إذ يدعون ابن خاتمة في هذين البيتين إلى التواضع محتسباً بذلك الثواب من الله سبحانه وتعالى،
 فالتواضع يسمو بالإنسان ويعلوه، ضارباً بذلك مثلاً التراب الذي تدوسه الأرجل وفي الوقت ذاته له
 مكانة عالية؛ إذ يتييم به الناس عند الضرورة عوضاً عن الماء الذي جعل الله منه كل شيء حي .
 ومن المثل الأخلاقية التي استمدتها الأندلسيون من تعاليم الدين الإسلامي رعاية حق الجار
 وحُسن معاملته . فقد وصَّى الله سبحانه وتعالى بالجار ودعا إلى الإحسان إليه . قال تعالى:
 ﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي
 القربى والجار الجنب﴾^(١) . وحث ابن ليون التجيبي على حُسن معاملة الجار وتحمل أذاه والتجاوز
 عن سيئاته وزلاته، عملاً بأمر الله سبحانه وتعالى، فقال^(٢):

لِلْجَارِ حَقٌّ فَاعْتَمِدْ بِرَّهُ واحْمِلْ أَذَاهُ مَغْضِيًّا سَاتِرًا
 فَالْهُدَى قَدْ وَصَّى بِهِ فَاعْتَقِرْ زَلَلَهُ الْبَاطِنَ وَالظَّاهِرَا
 وجملة القول إن هذه الأخلاق والمثل التي ورد ذكرها في الشعر وأخرى لم يرد ذكرها، اتَّسَمَت بها الحياة
 الاجتماعية في غرناطة، وتزيَّنت بها نفوس النَّاس وتهدَّبت طباعهم^(٣) .

الآفات الاجتماعية:

انتشرت في غرناطة بعض العادات السيئة التي جاءت نتيجة طبيعية لحياة الترف واللهو
 والحضارة التي عاشها أهل غرناطة، ومن هذه العادات السيئة:

~~~~~

(١) النساء، الآية ٣٦ .

(٢) المقرئ، نفع الطيب، ج٥، ص ٥٤٨ .

(٣) انظر: محمد مشهداني، الشعر الاجتماعي في الأندلس من الفتح إلى نهاية عصر الطوائف، ص ٨٣ .

## - انتشار تعاطي المخدرات والحشيش:

وقد انتشر تعاطي المخدرات والحشيش انتشاراً واسعاً في المجتمع الغرناطي بعد النصف الأول من القرن الثامن الهجري، والدليل على هذا ما حدث به صاحب شرطة السلطان أبي سعيد البرميخو إذ قال: "أطريته باجتئاب الناس الخمر في أيامه، وتحت استداده، وطهارة بلده من قاذوراتها، فقال لي في الملاء المشهود: والحشيش كيف حالها؟ قلت: ما عثرت على شيء منه. فقال: هيهات، انزل إلى بيت فلان وفلان وفلان، وعدّ كثيراً من الساسة والأوغاد والصفّاعين... (١)، قال: وانصرفت إلى ما ذكر فوالله ما أخطأت شيئاً مما رسمه، ولا فقدت شيئاً مما ذكره" (٢).

وفي بيتين للشاعر ابن الوحيد (٣) مجّد فيهما الحشيش وتعاطيها وفضلها على تعاطي الخمر، مستمداً الحجة من واقع تأثيرها القوي، الممتع للمتعاطي. قال (٤):

وخضراء لا تفعل الخمر فعلها      لها وثبات في الحشا وثبات  
توجب ناراً في الحشى وهي جنة      وتبدي لذيذ العيش وهي نبات

(١) الصفّاعين: جمع صفعان ومصفعاني وهو المهرج الذي يصفع كثيراً. نقاضة الجراب: هامش: ١٨٣.

(٢) لسان الدين ابن الخطيب، نقاضة الجراب، ص ١٨٣.

(٣) وهو محمد بن شريف بن يوسف الزرعي، ابن الوحيد (٦٤٧-٧١١هـ)، خطاط كان يضرب المثل بحسن خطه له نظم ورسائل كثيرة، ولد بدمشق، وتلمذ لياقوت المستعصي بالعراق واتصل بخدمة بيبرس الجاشنكير قبل السلطنة وكانت وفاته بالقاهرة. انظر: ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ج ٣، ص ٤٥٣؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ٣، ص ١٥٠؛ الكتيبي، فوات الوفيات، ج ٣، ص ٣٩٠.

(٤) ابن القاضي، أحمد بن محمد (ت ١٠٢٥هـ/١٦١٦م)، درة الحجال في أسماء الرجال، تحقيق محمد الأحدي أبو النور، دار التراث، القاهرة، ١٩٧٢م، ج ٢، ص ٣١٠.

وقد رويت أبيات أخرى في الحشيش منسوبة للشاعر الغرناطي محمد الحجري الرعيني المعروف بابن خميس<sup>(١)</sup> يدعوا فيها للتمتع بالحشيش بدلاً من الخمر، وقد أثبت لها كثيراً من المناقب المادية والمعنوية التي تجعلها مفضلة على الخمر، قال<sup>(٢)</sup>:

دَعُ الخَمْرَ واشْرَبْ مِنْ مُدَامَةِ حَيْدِرٍ      مُعْتَقَةً خَضْرَاءَ لَوْنِ الزَّرْبَجَادِ  
هي البكر لم تُكْحَمْ بِمَاءِ سَحَابَةٍ      وَلَا عَصْرَتْ بِالرَّجْلِ يَوْمًا وَلَا الْيَدِ  
وَلَا عَبَثَ الْقَيْسِ يَوْمًا بِكَاسِهَا      وَلَا قَرَّبُوا مِنْ دَنِّهَا نَفْسَ مُلْحَدِ  
وَفِيهَا مَعَانٍ لَيْسَ لِلخَمْرِ مِثْلُهَا      فَلَا تَسْمَعُ فِيهَا كَلَامَ الْمُفْتَدِ

والأبيات نفسها منسوبة للشيخ حيدر مكتشف الحشيش في المشرق<sup>(٣)</sup>.

ونجد إشارة إلى هذه الآفة في شعر ابن الخطيب، إذ يقول (وقلت أيضاً أعرض بمن تناول نبات

القنب<sup>(٤)</sup> وكبت عنه بالربيع موافقة لكنية أبي المخاطب)<sup>(٥)</sup>:

أَتَى "ابن سُلَيْمَانَ" وَفِي الْفِكْرِ قُرَّةٌ      يُخَبِّرُ أَنَّ الْعَقْلَ جَدُّ مُغَيَّبِ  
فَقُلْتُ أَظُنُّ السَّيِّدَ اعْتَمَّ عَمَّةٌ      وَلَكِنَّهَا فِي الْأَصْلِ مِنْ كُنْيَةِ الْأَبِ

~~~~~

(١) هو محمد بن عمر بن محمد الرعيني، أبو عبد الله، المعروف بابن خميس (٦٥٠-٧٠٨هـ)، شاعر، عالم بالعربية، من أعيان تلمسان، رحل عن تلمسان إلى سبتة، فأقام بها مدة ثم استقر بقرطبة سنة (٧٠٣هـ)، وتوفي بها قتيلاً يوم عيد الفطر، له ديوان سمي "المنتخب النفيس في شعر ابن خميس". انظر: ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ج٤، ص١١٣؛ المقري، أزهار الرياض، ج٢، ص٣٠١-٣٠٤، وفيه نماذج كثيرة من شعره.

(٢) ابن القاضي، درة المجال، ج٢، ص٢٨.

(٣) انظر: حسن النوش، التصوير الفني للحياة الاجتماعية، ص٣١٥.

(٤) القنب: هونبات القنب الهندي وهو نوع يستخرج منه المخدر الضار المعروف بالحشيش، المعجم الوسيط، مادة قنب.

(٥) لسان الدين ابن الخطيب، ديوان لسان الدين ابن الخطيب، ج١، ص١٥٣.

- هوى الغلمان:

إنَّ شيوخ ظاهرة الكلف بالغلمان في غرناطة بكل ما تمثله من خطورة على الحياة الاجتماعية، ظاهرة يحار المرء في تعليلها في بيئة لا يعاني فيها المجتمع من الكبت ولا يُحرم فيه من الدفء الأنثوي، ولعل عمل الغلمان سقاة في مجالس الأُنس والغناء والطرب، مع ما اشتهروا به من ظرف وجمال ألب المشاعر والقلوب^(١). إلى جانب أن المجتمع الغرناطي في هذه الفترة بلغ من الحضارة والترف درجة يبدأ فيها في التحلل، ويكون التمتع بالغلمان أحد مظاهر هذا التحلل، باعتباره ضرباً من التنويع والتجديد في ألوان المتعة^(٢).

ولم تختص طبقة بعينها في هذا الضرب من الهوى بل انشغل به بعض الأمراء والوزراء والقواد والفقهاء^(٣).

ويبدو أن الأندلسيين كانوا بالغلمان السود مغرمين أكثر من البيض، فهذا لسان الدين ابن الخطيب يصف غلاماً حالك اللون معبراً عن جنونه به هوى وصبابة^(٤). فيقول^(٥):

قالوا كلفت به غلاماً حالكاً فأجبتهم لي فيه ما يشفي المهج
مهما جننت به هوى وصبابة علقت فوقى منه حرزاً من سبج^(٦)

~~~~~

(١) انظر: حسن النوش، التصوير الفني للحياة الاجتماعية، ص ٣٧٠.

(٢) انظر: المصدر نفسه، ص ٣٧٠.

(٣) المصدر نفسه، ص ٣٧١.

(٤) انظر: حسناء الطرابلسي، حياة الشعر في نهاية الأندلس، ص ٥٢٠.

(٥) لسان الدين ابن الخطيب، ديوان لسان الدين ابن الخطيب، ج ١، ص ٢١٦.

(٦) سبج: خرز أسود. لسان العرب، مادة: سبج.





وقد يكون من المستغرب وجود هذا النوع من الغزل الشاذ عند شاعر فقيه عدل كعبد الكريم القيسي، لكن من المحتمل أن يكون وجوده عند عبد الكريم القيسي وجوداً فنياً ليس غير، رغبة منه في استعراض ملكاته الشعرية وقدراته البلاغية<sup>(١)</sup>.

وقد بلغ التهتك في الغلمان لبعضهم حداً مسرفاً بحيث خرجوا على القيم الدينية سلوكاً، ومساساً بالعقيدة<sup>(٢)</sup>، على نحو ما يحكى عن الشيخ الخطيب الأستاذ أبي فرج بن قاسم بن لب<sup>(٣)</sup>،  
القائل<sup>(٤)</sup>:

وصالكِ يا مولاي بعثُ به ديني      فعبّله قبل الحين للصبِّ في الحين  
وصالكِ مطلوبِي وقربُك جنتي      وإن زينتُ بالحورِ عدنٌ وبالعين

وهكذا نجد أن عادة هوى الغلمان كانت ظاهرة اجتماعية متفشية في المجتمع الأندلسي أسرف في تصويرها الشعراء، حتى هؤلاء الذين ترتبط أسماؤهم بسمات من الوقار تورطوا في إنشاء شعر الغزل بالغلمان، بحيث يخيّل للمتابع الدراسة في حقل المجتمع الأندلسي أن هذه العادة الغريبة قد أصبحت جزءاً من كيان ذلك المجتمع<sup>(٥)</sup>.

""""""""""

(١) انظر: قاسم الحسيني، الشعر الأندلسي في القرن التاسع الهجري، ص ١٦١؛ حسن النوش، التصوير الفني للحياة الاجتماعية، ص ٣٧٠.

(٢) انظر: حسن النوش، التصوير الفني للحياة الاجتماعية، ص ٣٧٥.

(٣) هو فرج بن قاسم بن أحمد بن لب التغلبي يكنى أبا سعيد، من أهل غرناطة، له اضطلاع بالفقه والعربية واللغة والقراءات والتفسير، شارك في الفرائض والأدب، ينظم وينثر، وله تأليف وفتاوى، جاء في الإحاطة أنه من أهل الخير والطهارة، والذكاء والديانة، وحسن الخلق، وأنه كان معظماً عند الخاصة والعامة. انظر: لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة، ج ٤، ص ٢٥٣؛ المقرئ، نفع الطيب، ج ٥، ص ٥٠٩.

(٤) لسان الدين ابن الخطيب، الكتيبة الكامنة، ص ٦٩.

(٥) انظر: مصطفى الشكعة، الأدب الأندلسي موضوعاته ومقاصده، ص ٩.



## - انقلاب القيم:

فقد أصبح الجاهل عندهم في منزلة العالم<sup>(١)</sup>، كما جاء في قول عبد الكريم القيسي<sup>(٢)</sup>:  
 قَدِ اسْتَوَى فِي بَسْطَةِ جَاهِلٍ      فَدَمٌ<sup>(٣)</sup> مَعَ الْحَبْرِ<sup>(٤)</sup> الذَّكِيِّ اللَّيْبِ

والفاسق من الوري أصبح عزيزاً والورع منهم أضحى ذليلاً<sup>(٥)</sup>، كما جاء في قول القيسي<sup>(٦)</sup>:  
 عَجَبًا لِمَادِحِ بَسْطَةِ مَنْ جَاهِلٍ      عَمَّا بِهِ فِي النَّاسِ عَيْبَةٌ لَاهٍ  
 وَعَزِيْزُهُ هَذَا الْفَسِقُ عَزَّ لَفْسِقِهِ      وَذَلِيلُهُهَا تَالِ كِتَابِ اللَّهِ  
 وغير الكفء من العدول هو الذي تناط بعهدته الأحكام ويبقى الكفء معزولاً عنها  
 بعيداً<sup>(٧)</sup>، قال الشاعر<sup>(٨)</sup>:

رَأَيْتُ عَظِيمَةً أَشْفَقْتُ مِنْهَا      وَشِيمَةً سَيِّدِي دَفَعُ الْعِظَائِمُ  
 عُدُولُكَ فِي حَوَاتِهِمْ قَعُودُ      وَغَيْرُ الْعَدْلِ بِالتَّحْلِيْفِ قَائِمُ  
 وأصبح الدرهم المقياس في تقييم الناس<sup>(٩)</sup>، يقول الشاعر<sup>(١)</sup>:

.....

(1) شيخة، جمعة، ١٩٩٥م، النقد السياسي والاجتماعي في الشعر الأندلسي، ديوان القيسي نموذجاً، حوليات الجامعة التونسية، ع(٣٧)، ص ٣٩.

(2) عبد الكريم القيسي، ديوان عبد الكريم القيسي، ص ٢١٢.

(3) فدم: العيب عن الحجة والكلام مع ثقل ورخاوة وقلة فهم، لسان العرب، مادة: فدم.

(4) الحبر: العالم، لسان العرب، مادة: حبر.

(5) انظر، جمعة شيخة، النقد السياسي والاجتماعي في الشعر الأندلسي، ص ٥٠.

(6) عبد الكريم القيسي، ديوان عبد الكريم القيسي، ص ٣١٢.

(7) انظر: جمعة شيخة، النقد السياسي والاجتماعي في الشعر الأندلسي، ص ٥٠.

(8) عبد الكريم القيسي، ديوان عبد الكريم القيسي، ص ٣٤٤.

(9) انظر: حسناء الطرابلسي، حياة الشعر في نهاية الأندلس، ص ٥٤٧.

أنا للناس أخ ما      دأماً عندي وابن عم  
وإذا لم يك عندي      هجروني دون جرم

- فساد الأخلاق:

ومن مظاهر فساد الأخلاق التي نشأت في غرناطة وصورها الشعر الأندلسي، أذكر ما يأتي:  
١- التكالب على اللذة والانغماس فيها، وما ينتج عن ذلك من انحلال في الأخلاق، وخور في العزيمة، وجبن في مواجهة العدو<sup>(٢)</sup>.

ويبدو الشاعر السلطان يوسف الثالث متبرماً ضجراً من هذه الآفة ويرى فيها الخطر كله على

مصير الإسلام في الأندلس<sup>(٣)</sup>. يقول<sup>(٤)</sup>:

قد أشربوا حب الحياة فهُمْ لَهَا      يَسْعَوْنَ لِلْإِسْلَامِ بِالِاتِّتْلَافِ  
كَمْ أَسْهَرُوا الْجَفْنَ الصَّرِيحَ بِفَعْلِهِمْ      كَمْ أُرْسَلُوا مِنْ دُمْعِي الْوَكَّافِ<sup>(٥)</sup>  
مَا مِنْهُمْ مَنْ أَرْضِيهِ لِحَطَّةٍ      إِلَّا وَقَابَلَنِي بِفَعْلٍ جَافٍ  
جَاهَدْتُ جُهْدِي فِي سَبِيلِ صِلَاحِهِمْ      وَرَضِيْتُ مِنْهُمْ بِالْمُطِيعِ الْوَافِي

٢- شيوخ الحسد والبغضاء بين أبناء المجتمع الغرناطي، إذ أصبحت العلاقات الاجتماعية

مقامة أساساً على التحاسد والتباغض<sup>(٦)</sup>.

قال القيسي يهجو أهل بسطة وهم نموذج من المجتمع الأندلسي في عصره<sup>(١)</sup>:

~~~~~

(١) عبد الكريم القيسي، ديوان عبد الكريم القيسي، ص ٦٢.

(٢) انظر: ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ص ١٦٨.

(٣) شيخة، جمعة، الفتن والحروب وأثرها في الشعر الأندلسي، ط ١، المطبعة المغاربية، تونس، ١٩٩٤م، ص ٣٤٣.

(٤) يوسف الثالث، ديوان يوسف الثالث، ص ١٤٤.

(٥) الوكاف: وكف الدمع أي سال، لسان العرب، مادة: وكف.

(٦) انظر: جمعة شيخة، النقد السياسي والاجتماعي في الشعر الأندلسي، ص ٥١.

أَيُّ لَيْثٍ بَسِطَةٌ قَدْ تَقْضَى لِرَعَايَا بَهَائِمٍ فِي مَفَازِهِ
 مَنَعَ الْجَائِزَ الْمُبَاحَ رِيَاءً وَالْحَرَامَ الْمُحْظُورَ شَرْعاً أَجَازَهُ
 وَمَضَى حُكْمَهُ بِذَلِكَ مَضَاءً لَيْسَ مِنْهُ فِي نَفْسِهِ مِنْ حَزَازِهِ
 يَرْتَشِي دَائِمًا وَيُبِيدِي لِمُرْشٍ عِنْدَ لُقْيَاهُ هَشَّةً وَاهْتِزَازِهِ

ونراه يبيح للرجل الزواج من بنات الزوجة أو حفيداتها^(١):

تَقَدَّ ابْنُ الْأَحْوَلِ مَا رَأَى شَيْخُنَا مُسْتَعْمِلًا وَمُتَمِّمًا عَقْدَ الْهَبَةِ
 سُحْقَالَهُ فَنِكَاحُ بِنْتِ رَبِيبِهِ^(٢) بَعْدَ الدُّخُولِ بِالْأُمِّ أَضْحَى مَذْهَبَهُ^(٣)

كما أباح القاضي ابن مفضل نكاح المحلل، وهو أن يتزوج الطفل الصغير مثلاً المطلقة ثلاثاً زواجاً شكلياً ثم يطلقها حتى يتمكن زوجها الأول من البناء بها ثانية^(٤)، وفيه يقول الشاعر^(٥):

أُمُّبُوتَةٌ^(٦) تَهْوَى الرَّجُوعَ لِرُجُوعِهَا عَلَيْكَ^(٧) بِقَاضِي بَسِطَةِ ابْنِ مُفْضَلٍ
 تَجِدُ قَاضِيًا ذَا مَذْهَبٍ غَيْرِ ضَيْقٍ يُجِيزُ بِلَا تَقْوَى نِكَاحَ الْمُحْلِلِ

.....

(١) عبد الكريم القيسي، ديوان عبد الكريم القيسي، ص ٤١٧.

(٢) ريبه: ريبية الرجل بنت امرأته من غيره، لسان العرب، مادة: ريب.

(٣) شرعاً يحرم على الرجل الزواج من بنات الزوجة أو حفيداتها من غيره، حتى بعد موتها أو طلاقها.

(٤) انظر: عبد الكريم القيسي، ديوان عبد الكريم القيسي، هامش، ص ٢٤٥.

(٥) المصدر نفسه، ص ٢٤٥.

(٦) المبتوتة: هي المطلقة ثلاثاً. لسان العرب، مادة: بتت.

(٧) هناك التقات. إذ انتقل الشاعر من مخاطبة المرأة إلى مخاطبة الرجل.

النظافة والحمامات:

انتشرت الحمامات في غالبية الدول العربية والإسلامية، وهو تقليد سار عليه المسلمون في المدن. وفي الأندلس انتشرت الحمامات الخاصة والعامة بشكل واسع؛ إذ اهتم الأمراء والخلفاء ببناء الحمامات الخاصة في القصور، كما اهتم الناس ببنائها قرب الأسواق والمساجد^(١).

ومما يفسر لنا عناية الأندلسيين الفائقة ببناء الحمامات الخاصة والعامة حبهم للنظافة وتفضيلها في كثير من الأحيان على الأكل والشرب. كما جاء في حديث المقرئ عنهم: "وأهل الأندلس أشد خلق الله اعتناءً بنظافة ما يلبسون وما يفرشون، وغير ذلك مما يتعلق بهم، وفيهم من لا يكون عنده إلا ما يقوته يومه، فيطويه صائماً ويتعاصب بوناً يغسل به ثيابه، ولا يظهر فيها ساعة على حالة تنبو العين عنها"^(٢).

ولعل اهتمام الأندلسيين بالذهاب إلى الحمامات راجع في المقام الأول إلى أهميتها من الناحية الدينية، فعادة الاستحمام عندهم هي عادة مرتبطة ومتصلة بالإسلام الذي يدعو إلى النظافة والتطهر، لذلك كانت الحمامات عادة ما تكون بالقرب من المساجد حتى ييسر للمسلمين التطهر قبل الدخول إلى المسجد^(٣). وإضافة إلى ذلك فإن الحمامات تعتبر ظاهرة اجتماعية تقليدية لدى الأندلسيين حيث يجتمع فيها عدد من الناس يتسامرون ويتعارفون^(٤).

""""""""""

(1) انظر: القاسمي، جاسم، تاريخ الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، مصر،

١٩٩٩م، ص ٧٠.

(2) المقرئ، نوح الطيب، ج ١، ص ٢٢٣.

(3) انظر: أحمد الدوسري، الحياة الاجتماعية في غرناطة: ١١٠.

(4) انظر: جاسم القاسمي، تاريخ الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، ص ٧٠.

وفي مملكة غرناطة حمامات خاصة بنيت في مساكن الأمراء وأبناء الطبقة الأرستقراطية، وأخرى عامة بنيت للطبقات الرقيقة الحال مثل ذلك الحمام الذي أنشأه السلطان محمد الثالث وأوقفه على مسجد الحمراء^(١). ومن الحمامات العامة أيضاً حمام أبي العاص^(٢)، وحمام باب الفخارين^(٣) في غرناطة. وفي الحمّة شاهد ابن بطوطة في رحلته حماماً للرجال وآخر للنساء، يقول: "ثم سافرنا إلى الحمّة وهي بلدة صغيرة... وهناك بيتٌ لاستحمام الرجال وبيتٌ لاستحمام النساء"^(٤). وحمام بسطة الذي لا مثيل له في اعتدال هوائه كما يرى الشاعر عبد الكريم القيسي، ففيه من النعم والرفاهية ما لا يوجد في غيره، يقول^(٥):

حَمَامٌ بِسَطَّةٍ فِي اعتِدَالِ هَوَائِهِ مَا مِثْلُهُ فِي بَلَدَةِ حَمَّامٍ
مَاءٌ وَنَارٌ عَنْهُمَا اعتَدَلَ الهَوَى فَتَنَعَمْتُ بِدُخُولِهِ الأَجْسَامِ

وتروي المصادر أنه كان في كل مدينة وقريّة في المملكة حمامات عامة^(٦).

ومن عادة أهل غرناطة عند الذهاب إلى الحمام دعوة الأصدقاء لمرافقتهم كي يتسامروا ويتبادلوا أطراف الحديث. وقد دعا الشاعر عبد الكريم القيسي أحد أصدقائه لمرافقته إلى الحمام^(٧):

~~~~~

<sup>(1)</sup> انظر: لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة، ج ١، ص ١٣٧؛ اللوحة البدرية، ص ٦٣.

<sup>(2)</sup> انظر: المصدر نفسه، ج ١، ص ٤٨٣.

<sup>(3)</sup> لوثينا، لويس سيكودي، وثائق عربية غرناطية من القرن التاسع الهجري، ط ١، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، ١٩٦١م، ص ١٣٠.

<sup>(4)</sup> ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة، ج ٤، ص ٢٢٠.

<sup>(5)</sup> عبد الكريم القيسي، ديوان عبد الكريم القيسي، ص ٤٥٨.

<sup>(6)</sup> انظر: أحمد الطوخي، مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر، ص ١٠٧.

<sup>(7)</sup> عبد الكريم القيسي، ديوان عبد الكريم القيسي، ص ٢٤٦.



الساعات في الحمامات، وفيها كن يخرجن عن الحياة الرتيبة التي كانت تسود حياتهن في المنزل<sup>(١)</sup>. وقد تغزل أبو البقاء الرندي<sup>(٢)</sup> بإحداهن وهي خارجة من الحمام فشبهها في احمرار وجنتيها وشدة سواد شعرها كأنها شمس الضحى المنيرة تخرج من بين السحاب الأسود. فقال<sup>(٣)</sup>:

بَرَزَتْ مِنَ الْحَمَّامِ تَمَسِّحُ وَجْهَهَا      عَنِ مِثْلِ مَاءِ الْوَرْدِ بِالْعُنَّابِ  
وَالْمَاءُ يُقَطِّرُ مِنْ ذَوَائِبِ شَعْرِهَا      كَالطَّلِ يَسْقُطُ مِنْ جَنَاحِ غُرَابِ  
فَكَأَنَّهَا الشَّمْسُ الْمُنِيرَةُ فِي الضَّحَى      طَلَعَتْ عَلَيْنَا مِنْ خِلَالِ سَحَابِ

وكان يقصد الحمام المرضى والمعلون من كل مكان، ويبقوا فيه إلى أن تستقل عليهم ويشفوا من أمراضهم<sup>(٤)</sup>. فقد كان في بعض الحمامات كحمام الحمة مثلاً عين ينبع منها ماء حار تشفى به العليل.

وكان من أهل الأندلس من يعتقد بوجود الجن في الأرحاء والحمامات ليلاً فكانوا لا يأتون إليها منفردين. وقد سخر أبو البركات البليقي من هذه الفئة من الناس وقلل من قدر عقولهم، فقال<sup>(٥)</sup>:

زَعَمَ الَّذِينَ عَقُولُهُمْ قَدْرُهَا      إِنْ عُرِضَتْ لِلْبَيْعِ غَيْرَ ثَمِينِ  
أَنَّ الرَّحَامَ مَمْرُورَةً بِالْجَنِّ وَالْحَمَّامِ عِنْدَهُمْ [كَذَا] بَيْقِينِ

(١) حسن النوش، التصوير الفني للحياة الاجتماعية، ص ٢٠٤.

(٢) هو صالح بن يزيد (شريف) بن صالح، يكنى بأبي الطيب وأبي البقاء، الرندي (٦٠١-٦٨٤هـ)، شاعر أندلسي من قبيلة نفزة البربرية، كان فقيهاً حافظاً متقناً في النثر والنظم، له معرفة وعلم بالحساب والفرائض، كان كثير التردد على غرناطة لطلب الاسترفاد، اجتمع بلسان الدين ابن الخطيب، له تأليف أدبية وقصائد زهدية، وله كتاب اسمه الوافي (أو الكافي) في نظم القوافي. انظر: لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة، ج ٣، ص ٣٦٠؛ المقرئ، نفع الطيب، ج ٤، هامش ص ٤٨٦؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج ١٦، ص ٢٧٧.

(٣) لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة، ج ٣، ص ٣٧١.

(٤) انظر: أحمد الدوسري، الحياة الاجتماعية في غرناطة، ص ١١١.

(٥) لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة، ج ٢، ص ١٦١.

وإن كان ما قالوه حقاً فاحضروا      للحرب هذا اليوم من صفتين  
فلئن حضرتم فاعلموا بحقيقة      بأني مصارعٌ قيسِ المجنون  
ولم تقتصر الحمّامات في غرناطة على المسلمين فقط، بل كان لليهود والنصارى حمّامات خاصة بهم. لكن بعد سقوط غرناطة في أيدي النصارى حرمتهم الكنيسة من استعمالها، وأغلقت غالبية الحمّامات فيها<sup>(١)</sup>.

### التهادي بالورد:

من أهم مظاهر الترف والرقّة الأندلسية شغف أهل الأندلس بالأزهار فهم يعددون أصنافها وألوانها ويتقنون في ذكر أوصافها، ويتهادونها مرفوقة بالأشعار تزيدها جمالاً على جمال، فتبادل الهدايا، ولا سيما الأزهار من أخصّ خصائص هذا العصر<sup>(٢)</sup>.

إن الأندلسي بطبعه محبّ للأزهار، يستمتع بها الغني في حدائقه، ويشترها الفقير بالمال ليجمّل بها بيته<sup>(٣)</sup>. وقد عدّ الشاعر عبد الكريم القيسي الأزهار ضمن حاجات بيته اليومية التي لا غنى له عنها، مثلها مثل اللحم والدقيق والسمن. فقال<sup>(٤)</sup>:

وَدَقِيقٌ أَشْتَرِيهِ      مَعَ مِلْحٍ ثُمَّ لَحْمٌ  
ثُمَّ عَسَلٍ مَعَ سَمْنٍ      ثُمَّ خَلْعٍ<sup>(٥)</sup> مَعَ شَحْمٍ  
ثُمَّ صَابُونٍ لِنَفْسِي      ثُمَّ أَزْهَارٍ لَشَمِّ

(١) انظر: أحمد الدوسري، الحياة الاجتماعية في غرناطة، ص ١١٥.

(٢) انظر: حسناء الطرابلسي، حياة الشعر في نهاية الأندلس، ص ٥٤٩.

(٣) انظر: المصدر نفسه، ص ٥٣٨.

(٤) عبد الكريم القيسي، ديوان عبد الكريم القيسي، ص ٦١.

(٥) خلع: التقديد المشوي واللحم يطبخ بالتوابل، لسان العرب، مادة: خلع.

ورأى أهل الأندلس في الورد دليل محبة فيما بينهم، فتهادوا به تأكيداً لما انطوت عليه أنفسهم من خير وما طبعت عليه أخلاقهم من حب للناس . وقد صحب الشعر هدايا الورد في كثير من الأحيان فزادها جمالاً، يقول ابن خاتمة أبياتاً "بعث بها مع مطيب خيري"<sup>(١)</sup> إلى سيد سري"<sup>(٢)</sup>:

وَدُونَكُهُ أَذْكَى نَدِيمٍ مُسَاعِدٍ      عَلَى الْأَنْسِ فِي جَوْفِ الدُّجُونِ وَأَكْتَمَا  
يُنَاجِيكَ مَا أَمْتَدَّ الظُّلَامُ بِسِرِّهِ      فَإِنْ لَاحَ وَاشِ الصُّبْحِ أَبْدَى تَكْتَمَا  
قَدْ أَحْمَرْتُكُمْ [أَصْفَرَ]<sup>(٣)</sup> لَا عَنُ ضَغِينَةٌ      وَلَكِنَّهُ هَابَ الْعُلَا إِذْ تَقَدَّمَا  
فَمَهْدَلُهُ جُنْبَ السُّرُورِ تَفْزُبُهُ      عَلَى قَلَّةِ النَّدْمَى نَدِيمًا مُسَلَّمَا

وأشعار الهدايا تماثل أشعار النقوش في كونها تتضمن وصف الهدية وإبراز صفاتها . فنفهم من هذه الأبيات في وصف الخيري أنه زهر لا تتفتح أكمامه ولا يتضوع شذاه إلا ليلاً . لذلك فهو من أحسن الندماء، مساعد على الأنس في جوف الظلام، كقوم للسرّ، تغلق أزهاره ويحتفي عطره حالما يتبدى نور الصباح كأنه مثل العشاق يخشى الوشاة والرقباء<sup>(٤)</sup> .

والورد من الأزهار المحبوبة لدى الأندلسي، وقد أهداها أصدقاءه تعبيراً عن صداقته وودّه لهم، وتزداد قيمة هذه الورد إذا كانت من البواكير . يقول ابن خاتمة مع باكورة ورد أهداها أحد أصدقائه<sup>(٥)</sup>:

~~~~~

(١) خيري: نبات يعرف في المشرق بالمنثور، وله زهر مختلف الألوان إما أبيض أو أصفر . انظر: ابن خاتمة الأنصاري،

ديوان ابن خاتمة، ص ١٢٥ .

(٢) ابن خاتمة الأنصاري، ديوان ابن خاتمة، ص ١٢٦ .

(٣) انظر: حسناء الطرابلسي، حياة الشعر في نهاية الأندلس، ص ٥٤٩ .

(٤) انظر: المصدر نفسه، ص ٥٤٩ .

(٥) ابن خاتمة الأنصاري، ديوان ابن خاتمة، ص ١٢٦ .

حَيْتِكَ بِكُرِّ مِنْ بِنَا
 طَلَعْتُ لَغَيْرِ وَأَنْهَى
 جَاءَتْكَ مُنْبِئَةٌ يَاقُ
 مَخْفُوفَةٌ بِالْأَسِ مِنْ
 فَكَانَهَا مَا بَيْنَهُ
 تِ الرُّوضِ أَعْجَلَهَا ابْتِكَارُ
 فَلِذَلِكَ مَا اصْفَرَ الْبَهَارُ^(١)
 بِالرَّبِيعِ لَهَا ابْتِدَارُ
 هُ عَلَى مَحَاسِنِهَا خِمَارُ
 خَدُّ أَحَاطَ بِهِ عِذَارُ

وشبهه ابن خاتمة باكورة الورد هذه وقد حفها الآس الأخضر، بالخدود الحمر التي أحاط بها العذار، وقد اصفر البهار غيرة وحسداً من جمال هذه الباكورة.

وقد وجد أهل الأندلس في الأزهار هدية تليق بمقام السلاطين والملوك، فهذا ابن زمرك يقدم للسلطان الغني بالله أزهاراً، وقد كتب له معها هذه الأبيات^(٢):

أَمْوَالِي تَقْبِيلِي لِيَمْنَاكَ شَاقِنِي
 وَكَمَا رَأَيْتُ الدَّهْرَ مَا طَلَنِي بِهَا
 بَعَثْتُ لَكَ الزُّهْرَ الْجَنِّي لَعَلَّهَا
 وَلَا يُنْكِرُ الظُّمَانُ شَوْقًا إِلَى الْبَحْرِ
 وَشَوْقِي مِنْ حَيْثُ أُدْرِي وَلَا أُدْرِي
 يُقْبِلُهَا عَنِّي تُغْوِرُ مِنَ الزُّهْرِ

وبالإضافة إلى إهداء الورد، فقد تنوعت الهدايا، فمنها التفاح^(٣)، واللوان الفواكه والطعام^(٤)، والملابس^(٥) وغيرها.

~~~~~

(١) البهار: زهر طيب الريح، ينبت أيام الربيع ويقال له العرار، المعجم الوسيط، مادة: بهرة.

(٢) ابن زمرك، محمد بن يوسف الصريحي (بعد ٧٩٧هـ / ١٣٩٥م)، ديوان ابن زمرك الأندلسي، ط١، تحقيق محمد

توفيق النيفر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٧م، ص ٤٢١.

(٣) انظر: المصدر نفسه، ص ٧٥.

(٤) انظر: المصدر نفسه، ص ٨٨، ١٠٢، ٢٤٥.

(٥) انظر: المصدر نفسه، ص ٤٢١.

## الأطعمة والأشربة:

ليس هناك من شك أنّ الحديث عن الغذاء - أهم مطالب الحياة - صفته وأوانه، وطرق إعداده وطبخه، وكيفية تقديمه، له أهميته القصوى للتعرف على وجه أساسي من وجوه الحياة الاجتماعية في غرناطة<sup>(١)</sup>.

وطبقاً لما ورد في "كتاب الطبخ في المغرب والأندلس في عهد الموحدين" للمؤلف مجهول، نستطيع القول إنّ الأندلسيين قد عرفوا أواناً راقية من الأطعمة والمشروبات تنفق وما وصلوا إليه من حضارة ورقية<sup>(٢)</sup>.

والشعر الأندلسي وإن كان لا يعيننا على وضع قائمة كاملة بالمأكولات الأندلسية، إلا أنه يجعلنا نتصور الكثير من ألوان الطعام وطرق طهيّه. ومن هذا الشعر قصيدة أنشأها الشاعر القاضي أبو عبد الله محمد بن علي ابن الأزرق<sup>(٣)</sup>، وكان قد رحل عن الأندلس إلى المشرق في نهاية القرن التاسع الهجري<sup>(٤)</sup>، وقد أثاره الحنين إلى غرناطة وطعامها وشرابها<sup>(٥)</sup>، فنظم قصيدته هذه التي يحكي فيها تشوّقه إلى ألوان مشتهة من الأطعمة المنوّعة.

~~~~~

(1) انظر: حسن النوش، التصوير الفني للحياة الاجتماعية، ص ١٧٣.

(2) المصدر نفسه، ص ١٧٤.

(3) هو محمد بن علي بن محمد ابن الأزرق، أبو عبد الله (ت ٨٩٦هـ) عالم اجتماعي سلك طريقة ابن خلدون، من أهل غرناطة، تولى القضاء بها إلى أن استولى عليها الإفريج، فانتقل إلى تلمسان ثم إلى المشرق يستنفر ملوك الأرض لنجدة صاحب غرناطة، له كتب منها: "الإبريز المسبوك في كيفية آداب الحلوب" و "شفاء الغليل في شرح مختصر خليل في فقه المالكية. انظر: المقرئ، نفع الطيب، ج ٢، ص ٦٩٩؛ أزهار الرياض، ج ٣، ص ٣١٧.

(4) المقرئ، نفع الطيب، ج ٢، ص ٦٩٩.

(5) انظر: أحمد الطوخي، مظاهر الحضارة في الأندلس، ص ٨٩.

فيذكر اللحم، وطوابق الكبش، والبيض المقلي، والدجاج المشوي، يقول^(١):

وَاللَّحْمَ مَعَ شَحْمٍ وَمَمْعٍ طَوَابِقِ الْكَبْشِ^(٢) الثَّيِّبِ
وَالْبَيْضَ فِي الْمَقْلَةِ بِالْـ زَيْتِ اللَّذِيذِ الدَّهْنِ
وَجِلْدَةَ الْفَرُوجِ مَشْـ وَيَا كَثِيرَ السَّمَنِ

ثم يعبر عن مشاعر الهيام بالثرائد، والإسفننج والشواء، والرقاق والأرز باللبن... يقول^(٣):

هَلْ لِلثَّرِيدِ^(٤) عَوْدَةٌ إِلَيَّ قَدْ شَوَّقَنِي
تَقُوصُ فِيهِ أُنْمَلِي غَوْصَ الْأَكُولِ الْمُحْسَنِ
وَلِي إِلَى الْإِسْفَنْجِ^(٥) شَوْ قُ دَائِمٌ يُطْرَبُنِي
وَلِلْأُرْزِ الْفَضْلُ إِذْ تَطْبُخُهُ بِاللَّبَنِ^(٦)
وَلِلشَّوَاءِ وَالرَّقَا قُ^(٧) مِنْ هِيَامِ أَثْنِي
وَاسْكُتْ عَنِ الْجَيْنِ فَإِنَّ بُنْتَهُ تَذْهَلُنِي

.....

(١) المقرئ، فحح الطيب، ج٣، ص ٣٠٠.

(٢) وكان الكبش يُحشى بالدجاج وفراخ الحمام والعصافير واليمام جميعاً، انظر: مجهول، كتاب الطبخ في المغرب والأندلس في عهد الموحدين، صحيفة الدراسات الإسلامية في مدريد، المجلدان التاسع والعاشر، ١٩٦١-١٩٦٢، ص ٣١.

(٣) المقرئ، فحح الطيب، ج٣، ص ٣٠٠.

(٤) الثريد: وهو عبارة عن خبز يفتت يُسقى بماء اللحم المتبل. انظر: مجهول، كتاب الطبخ، ص ١٦٥.

(٥) الإسفننج: وهي فطيرة من العجين الرقيق المخمر تقلى بالزيت، وتؤكل مع العسل. انظر: دوزي، رينهارت، تكلمة المعاجم العربية، وزارة الثقافة والفنون، العراق، ١٩٨٧، ج١، ص ١٣٣، وكتاب الطبخ، ص ٧٤.

(٦) الأرز المطبوخ باللبن: نوع من الحلويات يطبخ فيه الأرز مع الحليب ويضاف إليه السكر والقرفة. انظر: مجهول، كتاب الطبخ، ص ١٧٠.

(٧) الرقاق: خبز منبسطة مرقق، وهو ضرب من الفطائر المحشوة أو من الطلم (الجاتق). انظر: دوزي، رينهارت، تكلمة المعاجم العربية، ج٢، ص ١٨١.

ظَاهِرُهَا كَالْوَرْدِ أَوْ بِأَطْنِهَا كَالسُّوسَنِ
 وَهَاتِ ذَكَرَ الْكَسْكَسُو^(١) فَهُوَ شَرِيفٌ وَسَنِي
 لِأَسِيْمَا إِنْ كَانَ مَصْرًا نَوْعًا بِقَتْلِ حَسَنِ
 وَإِنْ ذُكِرَتْ غَيْرَ ذَا أَطْعِمَةً فِي الْوَطَنِ
 فَابْدَأْ مِنَ الثُّومَا ت^(٢) بِالْجَبْنِ الْمَمْكَنِ
 مِنْ فَوْقِهَا الْفَرْجَ قَدْ أَنْهِيَ فِي التَّسْمَنِ
 وَثِنْ بِالْعَصِيدَةِ^(٣) الـ تِي بِهَا تُطْرَبُ
 كَذَلِكَ الْبَلِيَاطُ^(٤) بِالز يَتِ الَّذِي يَقْنَعُنِي
 تُطْبَخُهُ حَتَّى يُرَى يَحْمَرُّ فِي التَّلْوُنِ
 وَالزَّبْزَبِنْ^(٥) فِي الصَّحَا فِ حَسْبِ أَهْلِ الْبَطْنِ

~~~~~

(١) الكسكسو: وهو عبارة عن برغل يطبخ على البخار ثم يسقى بالحساء على اختلاف أنواعه. انظر: مجهول،

كتاب الطبخ، ص ١٦٧.

(٢) الثومات: صلصة تتكون من الثوم والملح والفلفل والقرفة تضاف فوق لحم الدجاج. انظر: مجهول، كتاب

الطبخ، ص ٣٢.

(٣) العصيدة: قمع يسلق بالماء ثم يسقى باللبن الحليب ثم يضاف إليه عسل منزوع الرغوة وشيء من دسم اللحم

المطبوخ مع شحمه ثم يضاف إليه زبد وسكر مدقوق وقرفة. انظر: مجهول، كتاب الطبخ، ص ١٨٠.

(٤) البلياط: ضرب من الحساء تؤكل مع الزيت. انظر: دوزي رينهارت، تكملة المعاجم العربية، ج ١، ص ٤٤١.

(٥) الزبزين: هو عند فوتير (كما جاء في تكملة المعاجم العربية) طعام متبل من البندق المدقوق والخبز الفطيت

والعسل. انظر: دوزي رينهارت، تكملة المعاجم العربية، ج ٢، ص ٢٨٤.

وفي قصيدة للسان الدين ابن الخطيب وجهها وهو ببلاد العدو في بعض أسفاره إلى شيخه ابن الجياب يذكر فيها تشوقه إلى اللحم المعروف بالمبرد، وهو لحم يطبخ بماء وملح<sup>(١)</sup>، يقول<sup>(٢)</sup>:

يا واحد العلياب بلا إلباس  
واعلم بأنني لأقلد مذهبي  
وكجد من شرح الكتاب<sup>(٥)</sup> تحيضي  
فأبعث به طيباً بكل خفيّة  
أبعث بسهم من أبي العباس<sup>(٣)</sup>  
سفيان<sup>(٤)</sup> يوماً خيفة الوسواس  
هذا إذا اختلف أتماء الناس  
كالطيف في جنح الظلام الغاسي

فقد وري عن اللحم المبرد بكنية أبي العباس المبرد النحوي الشهير (ت ٢٨٦ هـ)، وورى عن لحم الثور بسفيان الثوري معبراً عن عدم ميله إليه فهو لا يحب لحم الثور ويفضل عليه لحم الخروف مكنياً عنه "بجد من شرح الكتاب"<sup>(٦)</sup>.

كما استخدم أهل غرناطة التوابل في طهي الطعام لتحسين مذاقه وقد عدّها عبد الكريم القيسي ضمن حاجات منزله اليومية. يقول<sup>(٧)</sup>:

وأنافي كل يوم  
ربُّ بيت أكثرية  
ودقيق أشترية  
ثم إيزار لإصلاح  
ربُّ إنفاق وغرم  
لعيالي مع كرم  
مع ملح ثم لحم  
مطاعيمي وأدم

(١) انظر: حسناء الطرابلسي، حياة الشعر في نهاية الأندلس، هامش، ص ٥٤٢.

(٢) لسان الدين ابن الخطيب، ديوان لسان الدين ابن الخطيب، ج ٢، ص ٧٢١

(٣) يقصد المبرد، والمراد هنا اللحم المذكور.

(٤) يقصد سفيان الثوري، والمراد هنا لحم الثور.

(٥) لعله يقصد شارح كتاب سيبويه ابن خروف، وأراد هنا لحم الخروف.

(٦) حسناء الطرابلسي، حياة الشعر في نهاية الأندلس، ص ٥٤٣.

(٧) عبد الكريم القيسي، ديوان عبد الكريم القيسي، ص ٦١.

وعرف الأندلسيون أنواعاً مختلفة من الأسماك، وكانوا يطلقون عليها اسم "الحوت"<sup>(١)</sup>، وقد

نصح الشاعر القيسي بأكل نوعٍ منها يسمى المص، فقال<sup>(٢)</sup>:

حَذَارِ مَنْ أَكَلَ الْحَوْتَ يَا أَحْمَدَ الرُّضَى      فِي أَكْلِهِ ضُرٌّ عَلِمْنَا بِهِ بِالتَّصِ  
فَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَوْمٍ يُحِبُّونَ أَكْلَهُ      فَأَفْضَلُهُ مَا مِنْهُ سُمِّيَ بِالمُصِّ

وزخرت المائدة الغرناطية بألوان عامرة من الحلوى اشتهر من بينها نوع يسمى "المجنبات" وهو

نوع من القطائف يضاف إليها الجبن في عجینها وتقلى بالزيت الطيب<sup>(٣)</sup>، وتفنن الشعراء في وصف

المجنبات تفنناً يدعو للإعجاب<sup>(٤)</sup>. فهذا الشاعر أبو البركات البلفيقي يصف شكلها وقد شبهها

بالشمس المشرقة لكنها سرعان ما تغرب في جوف الإنسان، فيقول<sup>(٥)</sup>:

وَمُصْفَرَةُ الخَدَّيْنِ مَطْوِيَةُ الحِشَا      عَلَى الجِبْنِ وَالمِصْفَرِيُّؤَذْنُ بِالخَوْفِ  
لَهَا بِهَجَّةٍ كَالشَّمْسِ عِنْدَ طُلُوعِهَا      وَلَكِنَّهَا فِي الحَيْنِ تُغْرُبُ فِي الجَوْفِ

وعرف الغرناطيون أنواعاً كثيرة من الفواكه منها العنب والتين والتفاح والخوخ والكمثرى والرمان

والموز وقصب السكر وغيرها .

فهذا لسان الدين ابن الخطيب يدعو أحدهم إلى تناول العنب والتوت معه، فيقول<sup>(٦)</sup>:

لَعَلَّكَ يَا حَبِيبَ القَلْبِ تَأْتِي      فَتَأْكُلُ عِنْدَنَا عِنْباً وَتُوتَا

~~~~~

(١) انظر: أحمد الطوخي، مظاهر الحضارة في الأندلس، ص ٩١ .

(٢) انظر: عبد الكريم القيسي، ديوان عبد الكريم القيسي، ص ٢٣٦ .

(٣) المقري، فح الطيب، ج ١، ص ١٨٤ .

(٤) انظر: ابن زمرك، ديوان ابن زمرك الأندلسي، ص ٨١، ١١٢، ٢٤٥ .

(٥) المقري، فح الطيب، ج ٥، ص ٤٧٨ .

(٦) لسان الدين ابن الخطيب، ديوان لسان الدين ابن الخطيب، ج ١، ص ١٨٧ .

ويصف رمانة^(١):

رُمانَةٌ راقٍ مِنْهَا مَنْظَرٌ عَجَبٌ تَرِيكَ صُورَتُهَا إِيدَاعَ بَارِيهَا
كأَنا حَبُّهَا دُرٌّ، وَظَاهِرُهَا حُقٌّ^(٢) وَمِنْ شَحْمِهَا قَطْنٌ يُوَارِيهَا

كما عرف أهل غرناطة البطيخ، وفيه يقول ابن زمرك^(٣):

وَقَوْرَاءُ قُرْصُ الشَّمْسِ مِنْ دُونَ حُسْنِهَا وَإِنْ قُسِمَتْ مِنْهَا الْأَهْلَةُ تُخَجَلُ
وكان الغرناطيون يجففون الفواكه ليأكلوها في المواسم التي تنقطع فيها الفواكه الطازجة. كما ذكر صاحب اللوحة البدرية^(٤) فقال: "وفواكههم اليابسة عامة العام، متعددة، يدخرون العنب سليماً من الفساد، إلى شطر العام، إلى غير ذلك من التين، والزبيب، والتفاح، والرمان، والقسطل، والبلوط، والجوز، واللوز، إلى غير ذلك مما لا ينفد، ولا ينقطع مدده إلا في الفصل الذي يُزهد في استعماله".
أمّا عن المشروبات التي كان يتناولها الغرناطيون فكانت اللبن، والماء المعطر بخلصة زهر الورد، والبرتقال، وشراب السفرجل، والتفاح، والتمر هندي، والجزر وغيرها^(٥).

وقد وصف ابن زمرك لبناً كان يشربه، فقال^(٦):

وَيُضَاءُ مِنْ صِنْفِ الشَّرَابِ أَدْرَتْهَا وَكَمْ أَخْشَ إِثْمًا أَوْ لَوْحًا كَفِي صَدْرِي
تَحْسَيْتُهَا صَرَفًا وَوَالَيْتُ شُرْبَهَا وَعُدْتُ بِشُكْرِ اللَّهِ فِيهَا مِنَ السُّكْرِ

(١) لسان الدين ابن الخطيب، ديوان لسان الدين ابن الخطيب، ج ٢، ص ٧٥٢.

(٢) الحق: وعاء صغير ذو غطاء يُتخذ من عاج أو زجاج أو غيرهما، المعجم الوسيط، مادة: حق.

(٣) ابن زمرك، ديوان ابن زمرك الأندلسي، ص ٢٤٥.

(٤) لسان الدين ابن الخطيب، اللوحة البدرية، ص ٤٠.

(٥) انظر: مجهول، كتاب الطبخ، ص ٢٢٤-٢٣٤.

(٦) ابن زمرك، ديوان ابن زمرك الأندلسي، ص ١١١.

وكان أهل غرناطة يميلون إلى الأناقة في الملبس ويستهنون الابتدال فيه^(١). وقد جعل ابن خاتمة حسن اللباس مؤشراً على نبل المرء ومكانته، فبه ينال أحسن المراتب، فقال^(٢):

تَحَرَّمَ مِنَ الْأَثْوَابِ أَرْفَعَهَا تَنْبُلُ أَعَزَّ حُلَّ تَرْتَقِي لِاتِمَاسِهِ
وَلَا تَبْغِ فِي أَمْرِ اللَّبَاسِ تَوَاضِعاً فَعَنَوَانِ بُبْلِ الْمَرْءِ حُسْنَ لِبَاسِهِ

فهو يبحث على اختيار الملابس الفاخرة وعدم التواضع في هذا الأمر.

أما أزياء النساء فكان طابعها الأناقة والنفاسة والتقنن في الأشكال والأنواع^(٣).

أنواع الملابس:

أولاً: ملابس الرأس

- العمامة:

ارتدى العرب الذين حلوا في الأندلس في بداية الفتح العمامة واتخذوها غطاءً للرأس، لكن الأمر اختلف فيما بعد، ففي عصر بني الأحمر كانت "العمائم تغل في زي أهل هذه الحضرة إلا ما شذ في شيوخرهم وقضاتهم وعلمائهم والجند الغربي منهم"^(٤).

فكان الغالب على أهل مملكة غرناطة، خاصة في شرقها، ترك العمامة كما جاء على لسان ابن سعيد الذي شهد قيام دولة بني الأحمر، وفي ذلك يقول: "وأما زي أهل الأندلس فالغالب عليهم ترك العمامة، لا سيما في شرق الأندلس، فإن أهل غربها لا تكاد ترى فيهم قاضياً ولا فقيهاً مشاراً إليه إلا"

⁽¹⁾ انظر: أحمد الطوخي، مظاهر الحضارة في الأندلس، ص ٧٤.

⁽²⁾ ابن خاتمة الأنصاري، ديوان ابن خاتمة، ص ١٦٢.

⁽³⁾ انظر: لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة، ج ١، ص ١٣٩.

⁽⁴⁾ لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة، ج ١، ص ١٢٦؛ اللوحة البدرية، ص ٣٩؛ انظر أيضاً: ابن فضل الله العمري، أحمد بن يحيى (ت ٧٤٩ هـ / ١٣٤٨ م)، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق عبد القادر خريسات وآخرون، الجزء الرابع، الممالك الإسلامية في اليمن والمغرب والأندلس وأفريقيا، مركز زايد للتراث والتاريخ، ج ٤، ص ١٣٤.

وهو بعمامة، وقد تساحوا بشرقها في ذلك، ولقد رأيت عزيز بن خطاب أكبر عالم بمرسية، . . . وهو حاسر الرأس، وشبيهه قد غلب على سواد شعره. وأمّا الأجناد وسائر الناس فقليل منهم من تراه بعمّة في شرق منها أو في غرب. وابن هود الذي ملك الأندلس في عصرنا رأته في جميع أحواله ببلاد الأندلس وهو دون عمامة، وكذلك ابن الأحمر الذي معظم الأندلس الآن في يده^(١).

والعمامة لباس خاص بالرجال وحدهم دون النساء^(٢). وقد حُرِّم على اليهود لبس العمائم؛ إذ "لا سبيل إلى يهودي أن يتعمّم البتّة"^(٣).

والعمامة هي قطعة القماش وحدها التي تلفّ عدّة لفات حول الطاقية^(٤). وكان أهل الأندلس يجعلون للعمامة ذؤابة يسدلونها من تحت الأذن اليسرى، أمّا العلماء فهم يرخونها ويصرفونها بين الأكاف^(٥).

ومن الذين كانوا يتعمّمون لسان الدين ابن الخطيب، فقد أنشده محمد بن عبد الرحمن الكرسوطي الفاسي^(٦) وهو بمالقة يحاول لوث^(٧) عمامته، وقد استعان بالغير على الإحكام لها، قال^(٨):

~~~~~

(١) المقرّي، فحح الطيب، ج ١، ص ٢٢٢.

(٢) دوزي، رينهارت، المعجم المفصّل بأسماء الملابس عند العرب، ترجمة أكرم فاضل، وزارة الإعلام، د. ت، ص ٢٥٤.

(٣) المقرّي، فحح الطيب، ج ١، ص ٢٢٢.

(٤) وكان يطلق عليها لفظ القلنُسوة. انظر: رينهارت دوزي، المعجم المفصّل بأسماء الملابس عند العرب، ص ٢٥١.

(٥) انظر: المقرّي، فحح الطيب، ج ١، ص ٢٢٢.

(٦) هو محمد بن عبد الرحمن الكرسوطي، الفاسي، يكنى أبا عبد الله (٦٩٠ - بعد ٧٦٠هـ)، نزيل مالقة، فقيه

محدث، متكلم، عروضي، ولد بفاس وقدم على الأندلس عام ٧٢٢هـ، ثم على مالقة وغرناطة، وله تأليف منها:

"الغرر في تكميل الطرر" و"الدرر في اختصار الطرر". انظر: لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة، ج ٣،

ص ١٣٠ -؛ ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ج ٣، ص ٤٩٨؛ المقرّي، فحح الطيب، ج ٦، ص ٩٧.

(٧) لوث: لاث الشيء لوثاً إذا رده مرتين كما تدار العمامة والإزار، ولاث العمامة على رأسه أي عصبتها، لسان العرب،

مادة: لوث.

(٨) المقرّي، فحح الطيب، ج ٦، ص ٩٦.

أُعَمِّمًا قَمْرًا تَكْمَلُ حُسْنُهُ      أَرُؤَى عَلَى الشَّمْسِ الْمُنِيرَةِ فِي الْبَهَا  
لَا تَلْتَمِسُ مَمَّنْ لَدَيْكَ زِيَادَةً      فَالْبَدْرُ لَا يَمْتَارُ<sup>(١)</sup> مِنْ نُورِ السُّهَا<sup>(٢)</sup>

وقد كان للعمامة دلالتها الصوفية في بعض الأحيان<sup>(٣)</sup>، فقد توجَّح الإمام الخطيب أبو عبد الله بن مرزوق<sup>(٤)</sup> الشَّاعر ابن زمرك عمامة بعد أن هداه إلى طريق الخطبة ومناهج الصوفية سنة (٧٥٣هـ)، وقد أبدى ابن زمرك كثيراً من الغبطة وارتجل بين يديه فيها، قوله<sup>(٥)</sup>:

تُوجِّتُنِي بَعَمَامَتِهِ      تُوجِّتُ تَاجَ الْكِرَامَةِ  
فَرَوْضُ حَمْدِكَ يُزْهِى      مَنِّي بِسَجْعِ الْحَمَامَةِ

ومن المتعارف عليه بين الناس أن لبس العمامة دلالة على الوقار، إلا أن الشيخ أبا البركات البليقي يرى أنها ليست قاعدة ثابتة<sup>(٦)</sup>. فقد يرتدي المرء العمامة وهو لا يتمتع بأدنى حد من الوقار، فالأصل بالوقار أخلاق المرء نفسه لا ما يرتديه<sup>(٧)</sup>:

.....

(١) يمتار: من الميرة وهي الطعام يمتاره الإنسان، أي يجلبه، لسان العرب، مادة: مير. والمقصود هنا أن القمر لا يستمد نوره من نور السُّهَا.

(٢) السُّهَا: كويكب صغير خفي الضوء في بنات نعش الكبرى، لسان العرب، مادة: السها.

(٣) انظر: حسن النوش، التصوير الفني للحياة الاجتماعية، ص ١٩٣.

(٤) هو محمد بن أحمد بن محمد بن مرزوق، العجيسي، التلمساني، يكنى أبا عبد الله (٧١٠-٧٨١هـ)، فقيه وخطيب من أعيان تلمسان، مشارك في فنون من أصول وفروع وتفسير، ينظم الشعر ويؤلف، رحل مع والده إلى المشرق، ثم عاد إلى المغرب، فقربه السلطان أبو الحسن منه وجعله كاتم سره وإمام جمعه، وأمين رسالته، قدم إلى غرناطة عام (٧٤٨هـ) واستقر بها وقصد بها للإقراء، وفي أواخر عام (٧٥٤هـ) رجع إلى المغرب واستقر بها ثم رحل إلى القاهرة واستمر قائماً فيها إلى أن توفي، من مؤلفاته "شرح عمدة الأحكام" و"شرح الأحكام الصغرى". انظر: المقرئ، فتح الطيب، ج ٥، ص ٣٩٠-٤١٩.

(٥) المقرئ، فتح الطيب، ج ٧، ص ١٦٦.

(٦) انظر: حسن النوش، التصوير الفني للحياة الاجتماعية، ص ١٩٥.

مَآكُلٌ مِنْ شَدَّ عَلَى رَأْسِهِ      عِمَامَةٌ يَحْظِي بِسَمْتِ الْوَقَارِ  
مَاقِيمَةُ الْمَرْءِ بِأَثْوَابِهِ      السَّرُّ فِي السُّكَّانِ لِأَيِّ الدِّيَارِ

- الغفارة:

وهي غطاء للرأس يلبسه الرجال والنساء، وهي للرجال طاقية<sup>(٢)</sup>، وغالباً ما تلبس بدون عمامة<sup>(٣)</sup>. وهي للنساء خرقة تكون على رأس المرأة تقي بها الخمار من الدهن<sup>(٤)</sup>. ولبس أهل الأندلس غفائر الصوف الحمراء والخضراء، واختص اليهود بلبس الغفائر الصفراء فقط<sup>(٥)</sup>.

وقد وصف ابن زمرك غفارة كان يلبسها، فقال<sup>(٦)</sup>:

وُلِيْتُ مِنْ زَمَنِي بَلْبُسَ غَفَارَةٍ      فَكَأَنَّمَا طَلَلْتُ مِنَ الْأَطْلَالِ  
أَكَلَ الزَّمَانُ قَدِيمَهَا وَحَدِيثَهَا      وَتَخَرَّبَتْ بِتَخَرُّبِ الْأَحْوَالِ  
لَوْ كَانَ لِي قَنْحٌ أَعَالَجُ طَحْنَهُ      لَمْ أَقْتَرُ مَعَهَا إِلَى غَرِبَالِ

- القناع، المقنع، المقنعة:

وهو كالحمار تستعمله النساء لتغطية الوجه تماماً، إذ يوضع شطر منه فوق الرأس تحت الإزار ويتدلى سائره من الأمام حتى الوسط فيخفي تحته الملامح والقسمات جميعاً، ولكنه مصنوع صنفاً مختلفاً لئلا يحول بين النساء وبين رؤيتهن مواقع أقدامهن في الطرقات<sup>(٧)</sup>.

~~~~~

(١) المقري، نفع الطيب، ج ٥، ص ٤٨١.

(٢) انظر: إبراهيم، رجب عبد الجواد، المعجم العربي لأسماء الملابس في ضوء المعاجم والتصوص الموثقة من الجاهلية حتى العصر الحديث، ط ١، دار الآفاق العربية، القاهرة، ٢٠٠٢م، ص ٣٤٤.

(٣) انظر: محمد مشهداني، الحياة الاجتماعية في الأندلس من الفتح إلى نهاية عصر الطوائف، ص ٢١٨.

(٤) انظر: دوزي رينهارت، المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب، ص ٢٥٥.

(٥) انظر: المقري، نفع الطيب، ج ١، ص ٢٢٢.

(٦) ابن زمرك، ديوان ابن زمرك الأندلسي، ص ٢٣٧.

(٧) انظر: دوزي رينهارت، المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب، ص ٣٠٥.

وارتداء المرأة لهذا القناع يحول دون رؤية الرجال وجوها والتمتع بحسنها وجمالها، كما يرى ابن

فركون^(١):

قَدْ يُجْتَلَى حُسْنُهَا لَوْلَا تَقْنَعُهَا وَيُجْتَنَى زَهْرُهَا لَوْلَا تَجَنِّيَهَا

وكان قناع المرأة موضع الفتنة والاستلهام عند كثير من الشعراء، فابن خاتمة يرى في قناع فتاته

ما يزيدا جمالاً وقتنة، يقول^(٢):

قَدْ كَانَ فِي حُمْرِ الْمَقَانِعِ مَقْتَعٌ لِضَلَالِ شَأْنِي وَأُنْهَمَالِ شُؤُونِي

حَتَّى دُهِيتُ بِحُمْرَةٍ فِي سُمْرَةٍ كَالْحَمْرَةِ الصَّهْبَاءِ فِي تَلْوِينِ

وقد لبس الرجال في الأندلس القناع أيضاً، وورد في شعر ابن فركون أن السلطان يوسف الثالث

كان يرتدي قناعاً منسوجاً من الذهب الخالص، يقول^(٣):

أَحْسَنُ بِهِ مِنْ قِنَاعٍ رَاقِ الْعِيُونِ جَمَالَا

مَنْ خَالِصِ التَّبْرِ^(٤) جَلَّتْ صِفَاتُهَا أَنْ تُنَالَا

شَمْسُ الْأَصِيلِ حَكُّهُ لُونَا وَحُسْنَانَا وَحَالَا

- النَّقَاب:

ارتدت المرأة الأندلسية النقاب وهو غطاء للرأس يشبه البرقع إلا أنها كانت تنقب منه موضع

العينين^(٥).

""""""""""

(1) ابن فركون، ديوان ابن فركون، ص ٢٦٠.

(2) ابن خاتمة الأنصاري، ديوان ابن خاتمة، ص ٦٨.

(3) ابن فركون، ديوان ابن فركون، ص ٢٦٧.

(4) التبر: الذهب، لسان العرب، مادة: تبر.

(5) انظر: دوزي رينهارت، المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب، ص ٣٤٢.

ويرى ابن خاتمة أن الثقب كان يخفي تحته جمال المرأة وحسنها، فيقول^(١):
 تزرُّ على البدر المنير جيوها فلاحسُن إلاضمن ذاك المتقب
 ويرى ابن جزى الكلبي^(٢) نساء غرناطة وقد خلعن ثقابهن كأنهن الشمس ضياءً ونوراً،
 فيقول^(٣):

شُموسُ إذا ما أمطن الثقبَ بُدورُ إذا ما حللن العقاصا^(٤)
 وكان الثقب لباس العروس أيضاً، فقد شبه ابن خاتمة الأنصاري الأرض وقد ارتوت من ماء
 السماء واخضوضرت وازينت وفاح عطرها واتثرت أزاهيرها كالعروس التي خلعت ثقابها وكشفت
 عن وجهها الجميل المشرق. يقول^(٥):

شَقَّتْ على الأرض السماء جيوها
 سَحَبَ السَّحَابُ بها فضول ذبوله
 فَالْمَحُ سَنَاهَا أو تَسَمَّ طيبها
 فَوَشَى أَباطِحَهَا ولم شعوبها
 فَآتَتْ كَمَا نَضَتْ العروس ثقابها
 وَجَلَّتْ عَنِ الوَجْهِ الجميل شروها

~~~~~

- (١) ابن خاتمة الأنصاري، ديوان ابن خاتمة، ص ٧٢.
- (٢) هو محمد بن محمد بن أحمد، ابن جزى الكلبي، أبو عبد الله (٧٢١-٧٥٧هـ)، من أهل غرناطة وأعيانها، شاعر من كتاب الدواوين السلطانية، ولد بغرناطة وله نظم ونثر، استكتبه أبو الحجاج يوسف ابن الأحمر، ثم ضربه بالسياط من غير ذنب اقترفه، وظلمه ظلماً مبيهاً، ففارقه وانتقل إلى المغرب وأقام بفاس، وحظي عند ملكها المتوكل أبي عنان المريني، وتوفي فيها، له كتاب في "تاريخ غرناطة" وقد أملى عليه ابن بطوطة رحلته فكتبها سنة (٧٥٦هـ). انظر: لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة، ج ٢، ص ٢٥٦؛ ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ج ٤، ص ١٦٥؛ المقرئ، نفح الطيب، ج ٥، ص ٥٢٦.
- (٣) انظر: ابن الأحمر، نثر فرائد الجمان، ص ٢٩٨.
- (٤) العقاصا: الضفائر، لسان العرب: مادة: عقص.
- (٥) ابن خاتمة الأنصاري، ديوان ابن خاتمة، ص ص ٤٥، ٤٦.



الاستعمال بين العامة والخاصة "ولا تجد في خواص الأندلس وأكثر عوامهم من يمشي دون طيلسان إلا أنه لا يضعه على رأسه منهم إلا الأشياخ المعظمون" (١).

وعرف أهل الأندلس البرنس، اتخذوه لباساً لهم في السفر (٢)، وهو رداء أو ثوب رأسه ملتصق به، أو رداء رأسه منه (٣). وقد اتخذ ابن الخطيب من شكل البرنس صورة يصف بها اكتساء جبل شلير بالثلج، يقول (٤):

هُوَ الشَّيْخُ أَبْرَدُ شَيْءٍ يُرَى إِذَا لَبَسَ الْبُرْنُسَ الْإَيْضَا

ثانياً: ملابس البدن:

- البرد:

عرف الأندلسيون البرد نوعاً من أنواع الألبسة، وشاع استعماله بين الرجال والنساء على حد سواء (٥). والبرد كما وصفه "لين" في ترجمته لكتاب ألف ليلة وليلة: "قطعة طويلة من القماش الصوفي السميك. وقد كان في العهود القديمة مخططاً على الدوام" (٦).

وقد أسرت إحداهن قلب الشاعر عبد الكريم القيسي إذ اكتست برداً موشى، فقال (٧):

تَرَدَّى رِدَاءَ الْحُسْنِ بُرْدًا مَفُوفًا (٨) فَمَالَتْ لَهُ بِالْحَبِّ مَنِّي الْجَوَارِحُ

.....

(١) المقري، نفح الطيب، ج ١، ص ٢٢٢.

(٢) انظر: يوسف فرحات، غرناطة في ظل بني الأحمر، ص ١٢٩.

(٣) انظر: رجب عبد الجواد إبراهيم، المعجم العربي لأسماء الملابس، ص ٦١.

(٤) لسان الدين ابن الخطيب، ديوان لسان الدين ابن الخطيب، ج ٢، ص ٦٤٣.

(٥) انظر: محمد مشهداني، الحياة الاجتماعية في الأندلس من الفتح إلى نهاية عصر الطوائف، ص ٢٢٢.

(٦) رجب عبد الجواد إبراهيم، المعجم العربي لأسماء الملابس، ص ٥٤.

(٧) عبد الكريم القيسي، ديوان عبد الكريم القيسي، ص ١٤٠.

(٨) البرد المفوف: الذي فيه خطوط بيض على الطول، لسان العرب، مادة فوف.

ولبس السلطان في غرناطة البرد أيضاً، كما جاء في رثاء ابن زمرك للغني بالله وتسلم ولي عهده يوسف الثاني السلطنة، فقال<sup>(١)</sup>:

وإن طَوَّتِ البرْدَ اليَمَانِيَّ يَدُ البَلْبِي  
فقد نُشِرَ البرْدُ الجَدِيدُ المَفُوفُ  
فذكر ابن زمرك البرد هنا وأراد به صاحبه .

#### - المرط:

ذكر الشعراء لباساً آخر عُرف بالمرط وهو كل ثوب غير مخيط ينسج من خز أو صوف أو كتان<sup>(٢)</sup> يُوتز به، وتلفع به النساء<sup>(٣)</sup>.

وكانت النساء في الأندلس يلتحفن بالمرط، إذ يعم المرط كامل الجسم كما ورد في قول لسان الدين ابن الخطيب<sup>(٤)</sup>:

وَأَلْحَفَ مِنْكَ اللهُ أُمَّةَ أَحْمَدٍ  
أما أنا كما يصفو على الغادة المرط

#### - الوشاح:

وهو نسيج عريض يرصع بالجواهر تشده المرأة بين عاتقها وكشحيها<sup>(٥)</sup>. ويرى دوزي أنه من منطقة عريضة من الجلد مزركش بالأحجار الكريمة تلبسه النساء<sup>(٦)</sup>.

وتغنى الشعراء من أهل الأندلس بوشاح المرأة، وفضلوه فضفاضاً على جسمها لأنه يدل على ضمور الخصر، وتلك صفة من صفات الجمال عند المرأة<sup>(٧)</sup>، يقول ابن خاتمة<sup>(٨)</sup>:

~~~~~

(1) ابن زمرك، ديوان ابن زمرك الأندلسي، ص ٤٤٠.

(2) انظر: رجب عبد الجواد إبراهيم، المعجم العربي لأسماء الملابس، ص ٤٦٤.

(3) المعجم الوسيط، مادة: مرط.

(4) لسان الدين ابن الخطيب، ديوان لسان الدين ابن الخطيب، ج ٢، ص ٤٥٩.

(5) المعجم الوسيط مادة: وشح. والكشح: ما بين الخاصرة والصلوع، المعجم الوسيط مادة: كشح.

(6) انظر: دوزي رينهارت، المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب، ص ٣٤٦.

(7) انظر: محمد مشهداني، الحياة الاجتماعية في الأندلس من الفتح إلى نهاية عصر الطوائف، ص ٢٢٩.

(8) ابن خاتمة الأنصاري، ديوان ابن خاتمة، ص ٧٢.

وهذا شاعرنا الملك يوسف الثالث يهب نفسه فداءً لصاحبة القرطق، فيقول^(١):

أَوْ مَا دَرَى أَنَّ الْهَوَىٰ أَحْكَامُهُ مُتَقَاضِيَةً
نَفْسِي فِدَاءً مُقَرَّطِقٍ يُدْنِيهِ حُسْنُ رَجَائِيَّةِ

-الإزار:

والإزار من ملابس النساء عند أهل الأندلس، كما ذكر ابن بسام "والإزار لمن أخلق، وبهن أليق"^(٢). والإزار لباس طويل فضفاض ترتديه النساء فوق فساتينهن وتخفي تحته ملابسهن، وهو الذي يسميه أهل غرناطة الملحفة^(٣).

وقد يصنع من الحرير أو الصوف مع زركشات وحواش من الجوانب مطوية طيات غاية في الذوق والإبداع بحيث تعلق بالصدر، بالإضافة إلى ترصيعها ببعض الحلقات والأقراط ومواد الزينة ويخترقها دُبوس، وهذه التحليات ذهبية كانت أم فضيية، إنما هي لدى الأغنياء، أما الطبقات الأخرى فهي من المعدن^(٤).

قال ابن خاتمة^(٥):

هيفاءٌ تُهْتَزُّ عَن قَضِيْبٍ وَتَجْلِي عَن سَنَاقِمِرٍ
شَدَّتْ إِزَارًا عَلَى كَثِيْبٍ لَوْ خَاتَمَهُ الْعُقْدُ لَانْفَطَرَ
فمعشوقته هيفاء مثل القمر تشدّ على قامتها إزاراً.

(١) يوسف الثالث، ديوان الملك يوسف الثالث، ص ١٦٢.

(٢) ابن بسام الشنتريني، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ق ٣، م ٢، ص ٣٧٨.

(٣) انظر: نصر، ثريا، تاريخ أزياء الشعوب، عالم الكتب، ١٩٩٨، ص ٣١٨.

(٤) انظر: دوزي رينهارت، المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب، ص ٣٥.

(٥) ابن خاتمة الأنصاري، ديوان ابن خاتمة، ص ١٧٤.

كما تغزل ملك غرناطة يوسف الثالث بصاحبه غزلاً عفيفاً، فقال^(١):

فَمِنْ غَمَزَاتِ الْحَاظِ وَكَفٍ وَمِنْ ضَمِّ إِلَى قَبْلِ لَطَافِ
وَمَا دُونَ الْإِزَارِ فَخَلَّ عَنْهُ فَإِنَّ الصَّوْنَ مِنْ شَأْنِ الظَّرَافِ

- الحُلَّة:

وارتدى أهل غرناطة الحُلَّة، وهي قطعتان من الثياب هما الإزار والرداء معاً، ولا تكون إلا بهما، وسميت حُلَّةً لأن كل واحد من الثوبين يحل على الآخر^(٢)، وهي على الأغلب مصنوعة من الحرير الموشى بجيوط ذهبية.

يقول ابن زمرق مادحاً الغني بالله وقد ارتدى حُلَّة حمراء^(٣):

طَلَعَ الْبَدْرُ جَانِبَ الْحُمْرَاءِ وَهُوَ يُزْهِى بِالْحُلَّةِ الْحُمْرَاءِ

وعرف أهل الأندلس الملاءة وهي نوع آخر من ملابس البدن ارتداه الرجال كما ارتدته النساء أيضاً. وهي إذا كانت للنساء تتألف من شقّي قطن منسوجتين تريعات زرقاء وبيضاء أو على هيئة خطوط مائلة منحرفة، مشوبة باللون الأحمر تستر بها النساء الجسم كله ويتشع بها الرجال فوق الكتفين أو حول البدن^(٤)، مع إبقاء الذراع اليمنى مكشوفة بغية استعمالها^(٥). كما لبس أهل الأندلس الحَبْرَةَ وهي رداء واسع مخطط. والجَبَّة التي صارت من البسة أهل الأندلس منذ أن سن لهم

~~~~~

(١) يوسف الثالث، ديوان الملك يوسف الثالث، ص ١٩٦.

(٢) انظر: رجب عبد الجواد إبراهيم، المعجم العربي لأسماء الملابس، ص ١٣٦.

(٣) ابن زمرق، ديوان ابن زمرق الأندلسي، ص ٢٧٧.

(٤) انظر: رجب عبد الجواد إبراهيم، المعجم العربي لأسماء الملابس، ص ٤٦٤.

(٥) انظر: دوزي رينهارت، المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب، ص ٣٣٠.

زرياب عادة لبس جباب الخزفي الربيع، ويبدو أنها إن كانت كذلك فهي لباس الأغنياء من الرجال والنساء . أما العامة فكانت الجبة عندهم من القطن أو الصوف<sup>(١)</sup> .

وارتدت المرأة في الأندلس السراويل . ويحكى أن أبا البركات البلقيعي "كان جالساً في دهليز بيته مع بعض الأصحاب، فدخلت زوجته من الحمام وهي بغير سروال تقرب الحمام من البيت، فانكشف ساقها فدخل خلفها مسرعاً، وغاب ساعة ثم خرج وأنشد:

كَشَفَتْ عَلَى سَاقٍ لَهَا فَرَأَيْتُهُ      مِثْلًا كَالْجَوْهَرِ الْبَرِّاقِ  
لَا تَعْجَبُوا إِنِّي قَامَ مِنْهُ قِيَامِي      إِنَّ الْقِيَامَةَ يَوْمَ كَشَفَ السَّاقِ"<sup>(٢)</sup>

وفيما يحض غطاء القدم، فقد كان الرجال والنساء في هذه الفترة يرتدون الجوارب الصوفية أو القطنية<sup>(٣)</sup>، وينتعلون أخفافاً سوداء طرفها الأمامي مستطيل ومعقوف . أما داخل البيت فقد اتعلوا الصندل الجلدي والقباق الحشبي<sup>(٤)</sup> .

ويستعمل الرجال والنساء على حد سواء القباق داخل الحمامات، غير أن النساء لا يلبسها إلا لتقادي تجرير أذيال أثوابهن على الأرض وبعضهن يستعملنها لإطالة قاماتهن<sup>(٥)</sup> . وكانت تصنع من الخشب وتكون أحياناً غنيّة بالزخارف ومرصعة بأصداف اللؤلؤ<sup>(٦)</sup> .

وفي أبيات للسان الدين ابن الخطيب يصف فيها قباق خشبية أهديت إليه، يقول<sup>(٧)</sup>:

~~~~~

(1) انظر: يوسف فرحات، غرناطة في ظل بني الأحمر، ص ١٢٩ .

(2) المقري، نفح الطيب، ج ٥، ص ٤٨٧ .

(3) انظر: ثريا نصر، تاريخ أزياء الشعوب، ص ٣١٨ .

(4) انظر: يوسف فرحات، غرناطة في ظل بني الأحمر، ص ١٢٩ .

(5) انظر: دوزي رينهارت، المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب، ص ٢٨١ .

(6) انظر: رجب عبد الجواد إبراهيم، المعجم العربي لأسماء الملابس، ص ٣٧٣ .

(7) لسان الدين ابن الخطيب، ديوان لسان الدين ابن الخطيب، ج ٢، ص ٥٩٦ .

إلى مطلع شهر أكتوبر، ويلبسون بقية السنة الثياب الملونة. وفي فصل الربيع يلبسون الملابس الملونة الزاهية التي لا بطائن لها، وفي نهاية الصيف وأوائل الخريف يلبسون المحاشي المروية والثياب المصممة وما شاكلها من خفائف الثياب الملونة ذوات الحشو والبطائن الكثيفة إلى أن يقوى البرد فينتقلون إلى أثخن منها من الملونات و صنوف الفراء^(١).

وبصرف النظر عن التزام أهل مملكة غرناطة بهذا المنهج أم لا، فقد كان اللون الأبيض أكثر ألوان الملابس شيوعاً فيها، بل أقربها لأذواق الناس في حياتهم الطبيعيّة وفي مناسباتهم الجليلة^(٢). ففي الاستقبال الذي خصّه أهل غرناطة للسُلطان أبي الحجاج يوسف الأوّل بوادي آش شمال شرق غرناطة، ذكر ابن الخطيب أنّ الأهالي استقبلوه استقبالاً رائعاً بملابسهم البيضاء "استقبلت البلدة حرسها الله في تبريز سلب الأعياد احتفالها، وغصبها حسنها وجمالها ونادي بأهل المدينة، موعدكم يوم الزينة. فسمحت المجال برباتها والقلوب بحباتها... فرأينا تزاحم الكواكب بالمناكب وتدافع البدور بالصّدور بيضاء كأسراب الحمام"^(٣).

ومن الألوان التي أقبل عليها أهل غرناطة اللون الأحمر، وكان لارتداء النساء لهذا اللون أثر كبير في نفوس الشعراء ممّا زادهم حبّاً وشغفاً بهنّ، فجاء على لسان الشاعر الملك يوسف الثالث^(٤):

تَاللّهِ مَا أَهْوَى سَوَى قَمَرٍ مُّوَرِّدِ الْجَلْبَابِ وَالْخَدِّ
وقد سخر أبو البركات البلفيقي من شيخ وقد صبغ شبيهه ولبس ثوباً أحمر^(٥):

(١) انظر: المقري، فح الطيب، ج ٣، ص ١٢٨؛ حسن النوش، التصوير الفني للحياة الاجتماعية، ص ١٩٧.

(٢) انظر: حسن النوش، التصوير الفني للحياة الاجتماعية، ص ١٩٨.

(٣) لسان الدين ابن الخطيب، مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب، ص ٢٨.

(٤) يوسف الثالث، ديوان الملك يوسف الثالث، ص ٤٥.

(٥) أبو البركات البلفيقي، شعر أبي البركات البلفيقي، ص ٢٧.

أَبْيَاضُ شَيْبٍ وَأَحْمَرَارُ ثِيَابِ أَيْنَ التَّنَاسُبِ يَا أَوْلِي الأَبَابِ
تُبْدِي الخَضَابَ وَقَدْ مَضَى زَمَنُ الصَّبَا وَقَضَى عَلَيْكَ بَفَرَقَةِ الأَحْبَابِ
وقال ابن زمرك في مدح الغني بالله وقد تحلى بحلة حمراء^(١):

طَلَعَ البَدْرُ جَانِبَ الحَمْرَاءِ وَهُوَ يَزْهِي بِالحُلَّةِ الحَمْرَاءِ
وللثياب الصفراء في شعرهم نصيب فقد ذكرها الشاعر الملك يوسف الثالث وأبدى إعجابه
بها، يقول^(٢):

مَنْ سَاحَبَ فِي فَجْرِهِ وَأَصِيلِهِ حُلَاكَاتٌ بِمُورِسٍ وَمُورِدِ
والمورس: هي الثياب التي صبغت باللون الأصفر.

كما ارتدى يهود غرناطة الغفائر الصفراء كما ذكر صاحب النفع^(٣)، وقد شبههم لسان الدين
ابن الخطيب وهم يؤدون صلاتهم بنبات البابونج وقد سقطت عنها أوراقها، فقال^(٤):

كَأَنَّ رُؤُوسَ القَوْمِ عِنْدَ صَلَاتِهِمْ وَقَدْ أَوْمَأَتْ للأَرْضِ صُفْرُ شَوَاشِيهَا
أَقَاحِ^(٥) أَمَالِهَا الرِّيَاحُ عَلَى التَّرِي وَقَدْ أَسْقَطَتْ عَنْهَا بَيَاضَ حَوَاشِيهَا

وقد كان بعض الأندلسيين يزينون ملابسهم بنقش الشعر عليها، وقد طرزت أبيات ابن زمرك
على ثوب سماوي جميل أهدها سلطان غرناطة الغني بالله إلى السلطان أبي العباس المريني سلطان
المغرب الأقصى، وهي بمقدار ما تمجد السلطان فإنها تعطي للثوب روعة وجمالاً خالداً^(٦):

""""""""""

(١) ابن زمرك، ديوان ابن زمرك الصريحي، ص ٢٧٧.

(٢) يوسف الثالث، ديوان الملك يوسف الثالث، ص ١٧١.

(٣) انظر: المقرئ، نفع الطيب، ج ١، ص ٢٢٢.

(٤) لسان الدين ابن الخطيب، ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام، ص ٦٥٢.

(٥) الأقاح: البابونج: وهونبات طيب الرائحة حواليه ورق أبيض ووسطه أصغر، الصحاح، مادة: قحا.

(٦) المقرئ، نفع الطيب، ج ٧، ص ٢٢٥، حسن النوش، التصوير الفني للحياة الاجتماعية، ص ٢٠١.

يقول لسان الدين ابن الخطيب^(١):

وَنَلْثَمُ مَا بَيْنَ التُّحُورِ إِلَى الطُّلَى وَإِنْ هِيَ غُصَّتْ بِالْحُلَى وَالْقَلَائِدِ

ويقول^(٢):

وَلَمْ أُنْسِ إِذْ عَاقَتْهَا لِدَاعِنَا فَخَالَطَ دُرَّ الْعِقْدِ جُوهَرًا دُمُوعَ

فقد وصف ابن الخطيب في هذين البيتين ما كانت تتحلّى به المرأة الأندلسيّة من قلائد وحلى

نقيسة وصورها بصور جميلة مستوحاة من حضارته وبيئته المترفة^(٣).

- الأقراط والشنوف:

اتخذت المرأة الأندلسيّة من الأقراط والشنوف زينة لأذنيها، فوضعت الأقراط في أسفل

الأذن، أما الشنوف فزينت بها أعلى الأذن.

وقد تميم ابن الخطيب بصاحبه وقد تحلّت بأقراط من ذهب خالص ممّا زادها حسناً

وجمالاً، فقال^(٤):

بِنَفْسِي غَزَالَ قَدْ غَزَتْنِي لِحَاظُهُ وَيَتِمُّ قَلْبِي حُسْنُهُ وَجَمَالُهُ
هُوَ الْبَدْرُ وَالْجُوزَاءُ^(٥) قَرَطُ مُعَسَّجِدٍ^(٦) وَجَنُحُ اللَّيَالِي فَرْعُهُ وَدَلَالُهُ

~~~~~

(١) لسان الدين ابن الخطيب، ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام، ص ٤٨٨.

(٢) المصدر نفسه، ص ٦١٧.

(٣) انظر: سراب يازجي، الغزل في الشعر الأندلسي، ص ١٢١.

(٤) لسان الدين ابن الخطيب، ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام، ص ٥٧٣.

(٥) الجوزاء: برج من بروج السماء.

(٦) العسجد: الذهب، لسان العرب، مادة: عسجد.

ومن الصفات التي أحبها الرجل الأندلسي في المرأة طول عنقها، وعبر الشعراء عن هذا بجولان القرطين ونطقهما، فقال لسان الدين ابن الخطيب<sup>(١)</sup>:

صَبوتُ وما قَلْبِي بِأَوَّلِ مَنْ صَبَا      لِنَاطِقَةِ الْقُرْطَيْنِ صَامَتَةِ الْقَلْبِ<sup>(٢)</sup>  
 وبلغت صاحبة ابن خاتمة درجة من الجمال مما جعلها تستغني عن التزين، يقول<sup>(٣)</sup>:  
 حَسَناءُ قَدْ جَلَّتْ بِفَضْلِ جَمالِها      عَن زِينَةٍ بِطَوِّقٍ وَتَشْتَفِ  
 وتغزل لسان الدين ابن الخطيب في إحداهن وقد سطع نور الشنف في أذنيها، فقال<sup>(٤)</sup>:  
 وَوَمِيضُ ثَغْرِكِ أُمِّ تَالِقِ بَارِقِ      وَشِهَابُ شَنْفِكَ ذَا أُمِّ الْجَوْزَاءِ

#### - الأساور والخواتم:

تزينت نساء غرناطة بالأساور والدمالج التي صنعت من الفضة والذهب ورصعت جنباتها بالأحجار الكريمة.

وتغنى لسان الدين ابن الخطيب بمعشوقته وقد شغله حسننها وجمالها عن ما كانت تتحلى به من زينة، فقال<sup>(٥)</sup>:

حَسَناءُ قَدْ عُنِيَتْ بِحُسْنِ صَفائِها      عَن دُمْلَجٍ وَقِلادَةٍ وَوَشاحِ  
 والدملج هو سوار يحيط بالعضد.  
 ويقول<sup>(٦)</sup>:

.....

(١) لسان الدين ابن الخطيب، ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام، ص ٢٧٢.

(٢) القلب: السوار يكون نظماً واحداً، المعجم الوسيط، مادة: قلب.

(٣) ابن خاتمة الأنصاري، ديوان ابن خاتمة، ص ٧٩.

(٤) لسان الدين ابن الخطيب، ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام، ص ٢٣١.

(٥) المصدر نفسه، ص ٣٧٤.

(٦) المصدر نفسه، ص ٢٧٢.



فلما عاين ذوو التحصيل تحذيفه هو وولده ونساؤه لشعورهم وتقصيرها دون جباههم، وتسويتها مع حواجبهم، وتدويرها إلى آذانهم، وإسدالها إلى أصداعهم - حسبما عليه اليوم الخدم الخصية والجواري - هوت إليه أفئدتهم، واستحسنوه" (١).

ولم يغفل الشعر الأندلسي عن وصف الشعر والتغني بحسنه وجماله، فقد وصف الشعراء أشكالاً من التسريجات والتصنيفات البديعة. ومن هذه التسريجات وصف الشعراء كيف كان يُسرح شعر الصدغ (٢)، فتارة يأتي على شكل حرف الواو وأخرى على هيئة ذنب العقرب وكأنه يحمي الخد من اللثم. يقول ابن خاتمة الأنصاري (٣):

أَقْمْتُ فِي الْحُبِّ شَاهِدَيْنِ      سَقَامَ جِسْمِي وَدَمْعَ عَيْنِي  
وَهَا أَنَا حَالِفٌ يَمِيناً      بَوْرْدَةَ فَوْقَ وَجْنَتَيْنِ  
قَدْ حَفَّهَا الْيَاسَمِينُ تُحْمَى      مِنْ عَطْفِ (٤) صُدُغِ بَعْقَرِيَيْنِ

فصاحبة ابن خاتمة جعلت من شعر صدغيها على شكل ذنب العقرب وكأنه جاء ليحمي ورد وجنتيها.

ويرد الشاعر الملك يوسف الثالث على عاذله الذي ينكر عليه ما أصابه في الحب، فيقول (٥):

إِنْ كُنْتُ تُنْكِرُ مَا بِي مِنْ جَوَى وَأَسَى      فَانظُرْ إِلَى دَعَجٍ فِي طَرْفِهِ السَّاجِي (٦)  
وَانظُرْ إِلَى عَقْرَبٍ بَادٍ بِوَجْنَتِهِ      كَأَنَّهُ لَأَمْ مَسُكٍ خُطْفِي عَاجٍ

.....

(١) المقري، نفع الطيب، ج ٣، ص ١٢٧.

(٢) الصدغ: هو ما بين العين والأذن، لسان العرب، مادة صدغ.

(٣) ابن خاتمة الأنصاري، ديوان ابن خاتمة، ص ١٤٣.

(٤) العطف: الجانب، لسان العرب، مادة: عطف.

(٥) يوسف الثالث، ديوان الملك يوسف الثالث، ص ١٨.

(٦) الساجي: ساجية الطرف: فاترة الطرف ساكنته، لسان العرب، مادة: سجا.

وَسُرِّحَ شَعْرُ الصَّدْعِ عَلَى شَكْلِ حَرْفِ الْوَاوِ كَمَا جَاءَ فِي قَوْلِ ابْنِ خَاتِمَةَ الْأَنْصَارِيِّ فِي

مَوْشَحِهِ<sup>(١)</sup>:

قُلْ يَا غَزَالَ مِنْ خَطِّ وَائِنٍ فُوقَ خَدَّيْنِ بِلَامِثَالٍ؟  
قَدْ جَلَّ مِنْ أْبَدَعٍ مِنْ دُونِ مَا نَدَّ

كما كانت النساء يسرحن شعورهن على شكل ضفائر، كما في قول ابن جُزَي<sup>(٢)</sup>:

شَمُوسٌ إِذَا مَا أَمَطَّنَ النَّقَابَ بِدَوْرٍ إِذَا مَا حَلَّلْنَ الْعَقَاصَا

إلا أن الشعر المرسل كان مفضلاً أكثر، فهو يرمي محبوبته كالبدرة إذ هي أرسلت شعرها .

وكانت النساء يزين شعورهن بالأزهار، أو يربطنه بخيوط من الحرير المزينة بالأحجار أو يربطن

شعورهن بشبكة من الخيوط الذهبية<sup>(٣)</sup>.

كما كان الرجال أيضاً يسرحون شعورهم على شكل ضفائر، فقد ذكر لسان الدين ابن

الخطيب أن السلطان إسماعيل الثاني كان يرسل شعره على شكل ضفائر يدخل فيها خيوطاً من الحرير

تصل إلى الوسط<sup>(٤)</sup>.

وظهرت في الأندلس عادة إطلاق شعر اللحي عند الصبيان وهو ما يسمّى بالعدار، وكان من

الشعراء من يراه علامة من علامات الجمال يزداد بها الصبي جمالاً وبهاءً . وآخرون عابوا العذار ورأوا

أنه يخفي جمال وجه الصبي .

يقول الشاعر عبد الكريم القيسي في مدح العذار وما يضيفه من جمال للوجه<sup>(٥)</sup>:

~~~~~

(1) ابن خاتمة الأنصاري، ديوان ابن خاتمة، ص ١٩١ .

(2) ابن الأحمر، نثر فرائد الجمال، ص ٢٩٨ .

(3) انظر: ثريا نصر، تاريخ أزياء الشعوب، ص ٣١٨ .

(4) انظر: لسان الدين ابن الخطيب، نفاضة الجراب، ص ١٠٣ .

(5) عبد الكريم القيسي، ديوان عبد الكريم القيسي، ص ٤٤٥ .

عابوا العذار وقالوا الحُسنَ غَيْرُهُ ضَلُّوا بِقَوْلِهِمْ عَنْ أَوْضَاحِ الطُّرُقِ
كَمْ بَيْنَ رَوْضِ زَهَا بِالزَّهْرِ مَنْفَرِدًا وَيَمِينِ رَوْضِ زَهَا بِالزَّهْرِ وَالْوَرَقِ
وقد ذمَّ ابنُ زمرِك العذار ورأى فيه حاجباً لجمال الوجه ونوره، فقال^(١):

لا يَسْتَوِي صُبْحُ وَجْهِ رَاقٍ نَاصِعُهُ وَذُو عِدَارٍ كَثِيلٍ لَيْسَ يَنْصَرِمُ
(وَمَا اتِّعَاقُ أَخِي الدُّنْيَا بِنَاطِرِهِ إِذَا اسْتَوَتْ عِنْدَهُ الأَسْوَارُ وَالظُّلْمُ)^(٢)

هذا ما جاء في وصف الشعراء للشعرور رسمهم صورة جميلة له، ممَّا يدلُّ على اهتمام

الأندلسيين واعتنائهم به .

- مواد الزينة:

عرف أهل الأندلس أنواعاً مختلفة من مواد الزينة، ولعلَّ أهمَّ هذه المواد الخضاب الذي تزين به الرجال والنساء على حدٍ سواء، وكذلك عرف الأندلسيون الكحل واتخذوه زينة لعيونهم .

- الخضاب:

كان الشيب عند أهل الأندلس مدعاة للحزن ومجلبة للقلق؛ إذ هو مؤثّر على كبر السنّ وفقد الشباب . فكرهته النساء كما كرهه الرجال واستعملوا الخضاب لصبغه وتغطيته محاولة منهم لإعادة الشباب .

""""""""""

(١) ابن زمرِك، ديوان ابن زمرِك الأندلسي، ص ٢٣٩ .

(٢) تضمين لبيت المتنبي المشهور من القصيدة التي مطلعها: (وآخِرَ قلباهُ ممن قلبه شَبِمُ . . .) . أبو الطيب المتنبي، أحمد بن الحسين (٣٥٤هـ / ٩٦٥م)، ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح أبي البقاء العكبري، ضبطه وصححه مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ شليبي، دار المعرفة، بيروت، د . ت، ج ٣، ص ٣٦٧ .

وللشاعر أبي البركات البلفيقي أبيات في شيخ صبغ شبيهه يرتجي عودة

الشباب^(١):

أَيَاضُ شَيْبٍ وَاحْمِرَارُ ثِيَابٍ أَيْنَ التَّنَاسُبِ يَا أَوْلَى الأَبَابِ
مَنْ كَانَ يَرْجُو أَنْ يَعُودَ شَبَابُهُ فَالشَّيْبُ لَا يُقْضَى بِرَدِّ شَبَابِ
تُبْدِي الخُضَابَ وَقَدْ مَضَى زَمَنُ الصَّبَا وَقَضَى عَلَيْكَ بَفَرْقَةِ الأَحْبَابِ

وكان الخوف من فراق الأحبة دافعاً لدى البعض للجوء إلى الخضاب ليستروا به بياض

شعورهم وليستعيدوا شبابهم ويحافظوا على الأحبة والأصحاب، يقول لسان الدين ابن الخطيب^(٢):

لَمَّا عَلَانِي الشَّيْبُ قَالَ صَوَاحِبِي لَا بُنْتِغِي خِلاً يُصَيِّرُ أَشْيَبُ
فَصَبَغْتُهُ خَوْفَ الفِرَاقِ فَقَلَّنَ لِي هَذِي رَوَايَةُ "أَصْبَغٍ" عَنِ "أَشْهَبٍ"^(٣)

وخضبت المرأة الأندلسية شعر حاجيها بالسواد، يقول ابن خاتمة^(٤):

وَاسْتَخْلَصْتُ مِنْ فَحْمَةِ القَلْبِ الشَّجِي صَبْغاً لِنُونِ الأَجِبِ المَقْرُونِ^(٥)

(١) أبو البركات البلفيقي، شعر أبي البركات البلفيقي، ص ٢٧.

(٢) لسان الدين ابن الخطيب، ديوان لسان الدين ابن الخطيب، ج ١، ص ١٦٣.

(٣) أشهب القيسي بن عبد العزيز بن داوود القيسي العامري الجعدي أبو عمر فقيه الديار المصرية في عصره، توفي سنة (٢٠٤هـ). وأما أصبغ فهو أصبغ بن فرج توفي سنة (٢٢٥هـ) فقيه من كبار المالكية في مصر. انظر:

الزركلي، خير الدين، الأعلام، ط ٦، م ٨، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٤م، ج ١، ص ١٣٣.

(٤) ابن خاتمة الأنصاري، ديوان ابن خاتمة، ص ٦٨.

(٥) شبّه الحاجب بحرف التّون مقلوباً وهو تشبيه شائع في أدب تلك المدّة في المشرق والأندلس. انظر: ابن خاتمة

الأنصاري، ديوان ابن خاتمة، ص ٦٩.

واستخدم الأندلسيون الخضاب لتزيين اليدين والتقش عليها . وقد افتن الشاعر أبو إسحاق إبراهيم ابن عبد الله، ابن الحاج الغرناطي^(١) بغادة أندلسية موشاة المعاصم والأصابع بخضاب أحمر مائل إلى السواد، فقال^(٢):

أَطَّلْتُ إِلَيْهِ نَظْرَةَ الْمُتَوَسِّمِ الْأَمْعَصِمُ لِلصَّبِّ مِنْ وَشِي مَعْصَمِ
وَبَعْضَ سَوَادٍ وَسَطَ قَلْبِي الْمَتِيمِ فَأَبَقْتُ بِهِ عَيْنِي حُلَى مِنْ سَوَادِهَا
جَرَى فِيهِ بَعْدَ الدَّمْعِ مَا عَزَمَ مِنْ دَمِي وَلَيْسَ خَضَاباً مَا عَلاهُ، وَإِنَّمَا

واكتفت بعض نساء غرناطة بتزيين أصابعهنّ وصبغها بالخضاب الأحمر أو الأسود، وفي بعض الأحيان كنّ يضعنه على شكل نقوش مما يزيد في حسنهن ويلفت النظر إليهن .

يقول ابن خاتمة^(٣):

بِدَمَاءِ دَمْعِي أَوْ سَوَادِ عُيُونِي قَلٌّ لِّلَّتِي خَضِبْتُ بَيَاضَ بَنَانِهَا
مِنْ ذُؤُبِ أَكْبَادِي بِنَارِ شُجُونِي تَأْتَقْتُ فِي نَقْشِهَا وَكُتَابِهَا

ويقول^(٤):

~~~~~

(١) هو إبراهيم بن عبد الله بن إبراهيم النميري، يكنى إسحاق، ويعرف بابن الحاج، أديب أندلسي من الكتاب، ولد بغرناطة (سنة ٧١٣هـ) وعمل في كتاب الإنشاء سنة (٧٣٤هـ)، له رحلة إلى المشرق حج فيها ودون رحلته هذه، له عدة مؤلفات في الأدب والبلاغة، والرحلات، وعلم الحديث والأحكام، منها: "نزهة الحدق في ذكر الغرق" و"طرق المتصوفة" اختلف في تاريخ وفاته، وعلى الأرجح أنه كان على قيد الحياة سنة ٧٧٦هـ لأنه نظم شعر في مدح الغني بالله بمناسبة افتتاح حضرة فاس المرة الأولى سنة (٧٧٦هـ) . انظر: لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة، ج١، ص ٣٤٢؛ المقري، نفع الطيب، ج٧، ص ١٠٨؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، ج٦، ص ٤٠ .

(٢) المقري، نفع الطيب، ج٧، ص ١١٦ .

(٣) ابن خاتمة الأنصاري، ديوان ابن خاتمة، ص ٦٧ .

(٤) المصدر نفسه، ص ٧٨ .

سَفَكَتُ أَنَا مِلْهَا الدَّمَاءُ فَقَدْ غَدَتُ      عَلِمًا بِرِخْصِ بِنَانِهَا الْمُطَرِّفِ

واستخدم الرجال في الأندلس الحناء في التدليك، كما جاء على لسان لسان الدين ابن الخطيب

في قوله وقد ذلك السلطان يديه بالحناء<sup>(١)</sup>:

إِنَّ شَمْسَ الدِّينِ فَخْرَ المُلُوكِ      دُرَّةَ العِقْدِ وَوَسْطَى السُّلُوكِ

دَكَ الكَفِّ بِحِنَاءٍ قَلْنَا      أَنْتَ شَمْسُ الدِّينِ عِنْدَ الدُّلُوكِ<sup>(٢)</sup>

- الكحل:

عرف أهل الأندلس الكحل مادة من مواد الزينة التي تضيف للعين سحراً خاصاً وتزيدها

جمالاً. يقول ابن فركون<sup>(٣)</sup>:

إِذْ لَهَا بِهَجَةٍ وَحُسْنٍ عَجِيبُ      وَجَمَالٍ بَادٍ وَعَرْفٌ وَطِيبُ

مُنْطَقٌ لَيْنٌ وَعَيْنٌ كَحِيلُ      وَقَوَامٌ لَدُنُّ وَتَغْرُ شَنِيبُ<sup>(٤)</sup>

فيعدّد ابن فركون صفات صاحبه ومنها الكحل في العينين.

وعلى الرغم من اهتمام النساء بالكحل والإقبال عليه لتجميل العيون فإنّ من الشعراء من يرى

أنّ سواد العين الطبيعي أكثر جمالاً وفتنة، يقول عبد الكريم القيسي<sup>(٥)</sup>:

~~~~~

(1) لسان الدين ابن الخطيب، ديوان لسان الدين ابن الخطيب، ج ٢، ٤٧٥.

(2) دلوك الشمس: غروبها.

(3) ابن فركون، ديوان ابن فركون، ص ٢٥٧.

(4) تغر شنيب: رقت أسنانه وابتضت، الشنب جمال الثغر وصفاء الأسنان، المعجم الوسيط، مادة: شنب.

(5) عبد الكريم القيسي، ديوان عبد الكريم القيسي، ص ٣٨.

ويرى الشاعر ابن فركون أن حسن المرأة وجمالها يكتملان بطيب رائحتها^(١):

إذ لها بهجةٌ وحُسنٌ عَجِيبٌ وجمالٌ بَادٌ وَعَرْفٌ وَطِيبٌ

وذكر شعراء الأندلس المسك والكافور وغالباً ما كان يُشَبَّه الشعر وهو ينساب على الخد

بالمسك في سواد لونه وقد وضع على الكافور، فقال ابن فركون^(٢):

كَمَا رَقِمَ الْكَافُورُ بِالْمِسْكِ وَالتَّقَتُ ذَوَائِبُ مِنْ شَعْرٍ أَثِيثٍ^(٣) عَلَى خَدِّ

وعرف أهل الأندلس من أنواع الطيب العنبر وانتشر استعماله بين الناس، فابن الخطيب يصف

ليلة أنس جمعة مع صاحبه وقد أحاطت بهما الروائح الزكية من العنبر والند، يقول^(٤):

يُظَلِّلُنَا بِالغَيْمِ نَدٌّ وَعَنْبَرٌ وَتَضْحُنَا بِالطِّيبِ سَحْبٌ سَوَاكِبٌ

كما استخدم ماء الزهر نوعاً من أنواع الطيب كما ذكر ابن الخطيب^(٥):

خُذْهَا مُجَاغَةً مَاءِ زَهْرٍ بِاسْمِ مِنْ فَوْقِ غُصْنِ الرَّيَاضِ رَطِيبِ
أَهْدِيْتُهَا طِيْبًا إِلَيْكَ وَإِنْ يَكُنْ عَلِمِي بِأَنَّكَ طَيْبٌ الطِّيبِ

ومن الطيب عندهم نوع يعرف بالغالية، وقد أشار إليه لسان الدين ابن الخطيب عندما كان

يمدح أحدهم ويصفه بالجود والكرم والهدى، ثم يهديه سلاماً معطراً كالمسك الممزوج بالغوالي، يقول^(٦):

وَيَخْصُ مَجْدَكَ مِنْ سَلَامِي عَاطِرٌ كَالْمِسْكِ صَاكِبٍ بِهَ الْغَوَالِي صَائِكُ

~~~~~

(١) ابن فركون، ديوان ابن فركون، ص ٢٥٧.

(٢) لسان الدين ابن الخطيب، ديوان لسان الدين ابن الخطيب، ج ١، ص ٢٩٧.

(٣) شعر أثيث: غزير طويل، لسان العرب، مادة أثث.

(٤) لسان الدين ابن الخطيب، ديوان لسان الدين ابن الخطيب، ج ١، ص ١٠٨.

(٥) المصدر نفسه، ج ١، ص ١٤٥.

(٦) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٤٧٣.



وكان التعش يحمل على أعناق الأفاضل من الرجال<sup>(١)</sup>. ويعطينا ابن زمرك صورة لمشهد جليل حمل

فيه الرجال نعش القاضي المعظم أبي القاسم الحسني، وهو من شيوخ ابن زمرك، يقول<sup>(٢)</sup>:

وَمِنَ الْعَجَائِبِ أَنْ يُرَى بِحُرِّ التَّدَى      طَوْدُ الْهَدَى يَسْرِي عَلَى الْأَعْنَاقِ  
إِنْ يَحْمَلُوكَ عَلَى الْكَوَاهِلِ طَالَمَا      قَدْ كُنْتَ مَحْمُولًا عَلَى الْأَحْدَاقِ  
أَوْ يَرْفَعُوكَ عَلَى الْعَوَاتِقِ طَالَمَا      رَفَعْتُكَ ظَهْرُ مَنْابِرٍ وَعَتَاقِ

واختار بنو الأحمر اللون الأزرق إلى جانب اللون الأسود للباس الحداد عندهم، وقد تبين هذا

في قول أبي البركات البليقي معللاً زرقة عينيه بأنها تغيرت حزناً على حبيب فائت يهواه فأشبهت  
أثواب الحداد<sup>(٣)</sup>، يقول<sup>(٤)</sup>:

حَزُنْتُ عَلَيْكَ الْعَيْنُ يَا مُغْنِي الْهَوَى      فَالِدَمْعُ مِنْهَا بَعْدُ بَعْدُ مَا رَقَا  
وَكِذَاكَ [مَا صُبِغَتْ] <sup>(٥)</sup> بِلَوْنِ أَرْقِ      أَوْ مَا تَرَى ثُوبَ الْمَاتِمِ أَرْقَا

وكان الأندلسيون يتقبلون التعازي في المقابر بعد الدفن مباشرة وكانت المراثي البليغة تلقى

عادة بعد الدفن عند ضريح الراحل<sup>(٦)</sup>، ومنها على سبيل المثال قول لسان الدين ابن الخطيب معزيا  
السلطان عن مملوك له اسمه يزيد على قبره<sup>(٧)</sup>:

هَوْنٌ عَلَى التَّنْفَسِ التَّفَيْسَةَ أَمْرَهَا      وَإِذَا سَأَلْتُمْ فَلَا تَرْغُ لَفْقِيدِ

~~~~~

(١) انظر: حسن النوش، التصوير الفني للحياة الاجتماعية، ص ٤٣٥.

(٢) ابن زمرك، ديوان ابن زمرك الأندلسي، ص ٤٧٧.

(٣) انظر: حسن النوش، التصوير الفني للحياة الاجتماعية، ص ٤٤٤.

(٤) لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة، ج ٢، ص ١٥٩؛ المقري، نفع الطيب، ج ٥، ص ٤٨٢.

(٥) وفي النسخ وردت (ما ظهرت).

(٦) انظر: حسن النوش، التصوير الفني للحياة الاجتماعية، ص ٤٣٨.

(٧) لسان الدين ابن الخطيب، ديوان لسان الدين ابن الخطيب، ج ١، ص ٣١٨.

لَمْ يَأْتِ صَرْفُ الدُّهْرِ بَدْعًا مُحْدَثًا كَمِ مَنْ يَزِيدُ قَدْ مَضَى وَيَزِيدُ

وقد جعلت المقابر خارج الأسوار في المدن الأندلسية، ففي رندة اليوم حي يعرف باسم باب المقابر، كان بالأمس مقبرة للمسلمين، وبالقرب من باب البيرة في غرناطة حقل مزروع بالزيتون كان فيما مضى مقبرة للمسلمين^(١).

وكان المدفن عند العامة حفرة مستطيلة تغطي بالحجارة وتثبت فوقها اللوحة المدونة لاسم الفقيد، وكنيته، ولقبه، وتاريخ وفاته. أمّا الأمراء والأغنياء فكانوا يشيّدون فوق مدافنهم القباب، ويحيطونها بسياج من حديد^(٢)، رغبة في التميّز حتى في الموت^(٣). ولم تكن تلك المدافن على أية حال غنيّة بالزخارف والرسوم كما كانت الحال في مقابر النصارى^(٤).

أمّا قبور السلاطين فكان ينقش على شواهدها أبيات من الشعر تخلّد ذكراهم، وتعدّد فضائلهم، وتشيد بمجاهدهم ضد الأعداء. ومن ذلك ما نجده عند لسان الدين ابن الخطيب في رثائه للسلطان (أبي الحجاج) يوسف الأول ينعتة فيها بالتقوى والهدى، والعزّ والمجد، والكرم والحلم، ويشيد بمجاهده في سبيل الإسلام وقد نقشت هذه الأبيات على قبره^(٥):

وَلَوْ أَنَّ نِيَّ أَنْصَفَتُكَ الْحَقُّ لَمْ أَقْلُ سَوِيَّ يَا كَمَامَ الزَّهْرِ، أَوْ صَدَفَ الدَّرِّ
وَيَا مُلْهَدَ التَّقْوَى وَيَا مَدْفَنَ الْهُدَى وَيَا مَسْقَطَ الْعُلْيَا وَيَا مَغْرِبَ الْبَدْرِ
لَقَدْ حَلَّ فِيكَ الْعِزُّ وَالْمَجْدُ وَالْعِلَاءُ وَبَدْرُ الدُّجَى وَالْمُسْتَجَارُ مِنَ الذُّعْرِ

~~~~~

(١) انظر: يوسف فرحات، غرناطة في ظل بني الأحمر، ص ١٢٤.

(٢) انظر: المصدر نفسه، ص ١٢٤.

(٣) انظر: حسن النوش، التصوير الفني للحياة الاجتماعية، ص ٤٥٠.

(٤) انظر: يوسف فرحات، غرناطة في ظل بني الأحمر، ص ١٢٤.

(٥) لسان الدين ابن الخطيب، اللوحة البدرية، ص ١١١-١١٢.

ومن كأبي الحجاج حامي حمى الهدى      ومن كأبي الحجاج ماحي دجى الكفر  
 إمام الهدى غيث الندى دافع العدا      بعيد المدى في حومة المجد والفخر  
 إذا ذكر الإغضاء والحلم والتقى      وحدت عن علياه حدث عن البحر  
 وقد اهتم الغرناطيون بهذا اللون من الكتابة اهتماماً كبيراً، فلانكاد نجد قبراً من قبور

سلاطينهم يخلو من شعر الرثاء على شاهده.

مما مرّ تبين لنا أنّ المجتمع الأندلسي حتّى على التمسك بالأخلاق الكريمة ونبذ أخرى اعتقد  
 فيها السوء، فتحلّى هذا المجتمع بكل ما هو خير وأصيل، وارتبطت قيمه ومثله بالقيم والمثل العربية  
 الإسلامية، كما تعرّفنا على بعض عادات المجتمع الغرناطي وتقاليده.



## الفصل الثالث

تصوير الشعر الأندلسي الأعياد والاحتفالات

ووسائل التسلية واللهو

## مقدمة:

اتسم المجتمع الغرناطي بطابع المرح والبهجة وحب الحياة، ويتجلى ذلك في احتفالاتهم بالأعياد والمناسبات المختلفة، وفي إقامتهم مجالس الغناء والرقص والشراب .

كما عُرف عن أهل غرناطة عشقهم للطبيعة، فخرجوا للنزهة بين أحضانها، وحرصوا على ارتياد البساتين والرياض . ومارس الغرناطيون ألواناً مختلفة من الألعاب وخرجوا للصيد؛ إذ كان الصيد لدى البعض منهم وسيلة للتسلية والمتعة .

وقد رسم الشعر الأندلسي صورة واضحة لهذه الاحتفالات، ولوسائل التسلية واللهو المختلفة .

## الأعياد والاحتفالات العامة والخاصة:

كانت الأعياد والمناسبات التي يحتفي بها أهل غرناطة كثيرة ومتنوعة، وكان بعضها إسلامياً كعيد الفطر، وعيد الأضحى، ويوم المولد النبوي الشريف، ويوم عاشوراء، والشعبانية . وبعضها الآخر كان فارسياً في الأصل كعيد النيروز وعيد المهرجان أو (عيد العنصرة) وعيد العصير، ومسيحياً كعيد ميلاد المسيح عليه السلام . وكان المسلمون يشاركون أهل هذه الأعياد والمواسم الاحتفال بها<sup>(١)</sup> .  
وأهل غرناطة حريصون على الاحتفال بأعيادهم وتهيأون لذلك ويستعدون غاية الاستعداد، إلا أنهم لم يسرفوا في ذلك، فهم كما يقول صاحب اللوحة البدرية "أعيادهم حسنة مائلة إلى الاقتصاد"<sup>(٢)</sup> .

(١) انظر: العبادي، أحمد مختار (١٩٧٠م)، الأعياد في مملكة غرناطة، ص ١٤٠، مجلة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، المجلد (١٥)، ص ١٤٠ .

(٢) لسان الدين ابن الخطيب، اللوحة البدرية، ص ٤٠ .

كما أقيمت الاحتفالات الفخمة في إعدار أبناء السلاطين وزواجهم .

## الاحتفال برمضان وعيد الفطر:

أبدى مسلمو غرناطة اهتماماً كبيراً بشهر رمضان الكريم، باعتباره مناسبة دينية عظيمة، فكانوا يؤمّون المساجد ويحيون الليل فيها متهجدين يتلون آيات القرآن الكريم، وفي النهار كانوا يوزعون الصدقات على الفقراء .

وقد صور لنا لسان الدين ابن الخطيب في إحدى عيدياته هذه المشاهد والعبادات، إذ يصف لنا كيف كان السلطان يوسف الأول يقضي شهر رمضان المبارك بين القيام ليلاً وتوزيع الصدقات نهاراً . ولا شك أن هذه العادة كانت سائدة عند أغلب الناس، وبخاصة أهل الثراء والمال منهم، يقول<sup>(١)</sup>:

قَابَلْتِ شَهْرَ الصَّوْمِ مِنْكَ بِمَا بِهِ      يَنْهَلُ مِنْ فَضْلِ الْآلَاءِ مَزِيدُهُ  
وَوَصَلْتَ تَمَّ اللَّيْلَ مِنْهُ يَوْمِهِ      ذَكَرًا يُبَلِّغُهُ الْقَبُولَ صُعُودُهُ  
وَشَرَعْتَ لِلصَّدَقَاتِ أَصْفَى مَشْرِعٍ      يَنْدَى عَلَى حَرِّ الصَّدُورِ بُرُودُهُ

وفي قصيدة أخرى للشاعر ابن أبي عاصم القيسي<sup>(٢)</sup> يمدح بها السلطان ويهنئه بعيد الفطر،

ويؤكد فيها إقامة تمدوحه لأركان الهدى وسعيه للجنة، وقيامه شهر الصوم<sup>(٣)</sup>، يقول<sup>(٤)</sup>:

(١) لسان الدين ابن الخطيب، ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام، ص ٤٢٣ .

(٢) محمد بن محمد بن أبي عاصم القيسي ولعله هورضوان أبو النعيم القائد مولى إسماعيل بن فرج بن بني نصر، وزر

لمحمد بن إسماعيل انظر: لسان الدين ابن الخطيب، الكتيبة الكامنة، ص ١٧٣ .

(٣) انظر: سرميني، محمد وليد (١٩٨٦م)، خصائص الشعر الأندلسي في عصر غرناطة، رسالة ماجستير غير

منشورة، جامعة حلب، سوريا، ص ٣١ .

(٤) لسان الدين ابن الخطيب، الكتيبة الكامنة، ص ١٧٣؛ انظر أيضاً: لسان الدين ابن الخطيب، ديوان الصيب

والجهام والماضي والكهام، ص ص ٥٥٠ - ٥٥٢ .

شَيدتَ بِمُلْكِكَ لِلَّهِدَى أَرْكَانُ      وَسَمَّالَهُ فَوْقَ السُّهَابِ بُيُوتَانُ  
وَأَقَمْتَ مِنْ سُنَنِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ      مَا قَامَ مِنْكَ بِشُكْرِهِ الْإِيمَانُ  
فَكَأَنَّهَا لَكَ جَنَّةٌ قَدْ زُخِرَتْ      وَكَأَنَّ رِضْوَانًا بِهَا رِضْوَانُ  
وَإِنَّا كَاشَهْرُ الصَّوْمِ تُقْضَى حَقُّهُ      لِيُنِيلَ فَضْلَ جَزَائِهِ الرَّحْمَنُ  
وَالْعِيدُ جَاءَ مَهْنًا لَمَّا انْقَضَى      بِصِيَامِهِ وَقِيَامِهِ رَمَضَانُ  
فَاهْنَأْ بِهِ عِيدًا وَوَجِّهْكَ عِيدُهُ      فِيهِ الْمَوَاسِمُ دَائِمًا تَزْدَانُ

فقد حرص أهل غرناطة أشد الحرص على الاحتفال بعيد الفطر السعيد، ومن مظاهر احتفالهم بهذا العيد أن يسير السلطان في موكب بهيج ماداً كفه للتقبيل، يحفه الأمراء ووفود القبائل التي جاءت لتهنئته وتجديد البيعة له. وقد وصف لنا الشاعر ابن فركون السلطان يوسف الثالث وقد جلس في موكب عيد الفطر ماداً كفه للتقبيل والأمراء يحفون به ووفود القبائل بين يديه مهنئة مجددة للبيعة<sup>(١)</sup>، فقال<sup>(٢)</sup>:

وَأَتَاكَ عِيدُ الْفِطْرِ أَشْرَفَ قَادِمٍ      رَاقِ الْمَكَارِمِ عِنْدَهُ تَجْدِيدُهَا  
فَطَلَّعْتَ فِي أَفْقِ الْخِلَافَةِ آيَةً      رَاقَتْ نَهَائِمُهَا بِهِ وَنُجُودُهَا  
وَلَدَيْكَ مِنْ أُمَرَاءِ مُلْكِكَ أَوْجُهُ      غُرَّتْ رُوقُ التَّيْرَاتِ سُعُودُهَا  
وَمَدَدْتَ لِلتَّقْبِيلِ كَفًّا لَمْ تَزَلْ      تَنْهَلُ فَوْقَ الْأَمْلِينَ عُهُودُهَا  
أَوْلَيْتَ أَحْرَارَ الْقَبَائِلِ أَنْعُمًا      وَبَدَأْتَهَا وَنَدَى يَدَيْكَ مُعِيدُهَا  
فَأَتَتْ إِلَى تَجْدِيدِ بَيْعَتِكَ الَّتِي      هَازِي مَلَائِكَةُ السَّمَاءِ شُهُودُهَا

ومن خلال الأبيات السابقة يقدم ابن فركون الخليفة في صورة بهية تتجلى فيها الرفعة والكرم والجود وحب الشعب لخليفتهم. كما يطلعنا في هذه الأبيات على مراسم

(1) انظر: حسناء الطرابلسي، حياة الشعري في نهاية الأندلس، ص ٢٣٥.

(2) ابن فركون، ديوان ابن فركون، ص ص ٢١٩-٢٢٠.

الاحتفال بعيد الفطر في غرناطة، ومنها تجديد البيعة للخليفة، وتوزيع النعم والهبات على الوفود المهنة.

### الاحتفال بعيد الأضحى:

والاحتفالات بعيد الأضحى لها أيضاً وقع خاص ومراسم جديدة يجيئ السلطان من خلالها شرائع الدين الحنيف، فيخرج السلطان في الصباح الباكر لأداء صلاة العيد بموكب من الفرسان المسلحين بالدروع القوية، يسرون ببطء ليتسنى لكل العيون التمتع في النظر إليهم واستشعار قوتهم ومنعتهم، وكأنه استعراض عسكري ضخم في ذلك اليوم العظيم. وبعدها تنحر الأضاحي وتوزع على الفقراء والمساكين، ثم يعود الخليفة إلى مرابعه متقبلاً التهاني بهذا العيد. يقول ابن الخطيب مصوراً هذا الاحتفال<sup>(1)</sup>:

وأحييت للدين الحنيف شرائعاً      بأنصار دين الله تحيا الشرائعُ  
وقد زحفت يغشي العيون رؤاؤها      صفوف من الفرسان وهي دوارعُ  
فلما قضيت العيد سنة نحره      وأطعمم معترهُنَّك وقانعُ  
رجعت إلى دار الخلافة والعلا      فضاءت بنور الهدى تلك المربعُ  
وعرضت للتقبيل كفاً كريمةً      تفيض على الطلاب منها ينباعُ

وقد وصف مظاهر الاحتفال هذه ابن فركون في قصيدة له أنشدها في عيد الأضحى من عام ستة عشر وثمانمائة، يهنئ فيها السلطان يوسف الثالث بالعيد، ويدعوه بالسلامة ودوام العمر. ويظهر لنا دور الخليفة وما ينهض به من أعمال في خدمة الإسلام وأهله، وكبح جماح الكفر وأهله، وما يزال ابن فركون يذكرنا بعادة تقبيل الشعب كحف السلطان في هذا اليوم، ويشيد في كرم السلطان وعطائه، يقول<sup>(2)</sup>:

(1) لسان الدين ابن الخطيب، ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام، ص 612.

(2) ابن فركون، ديوان ابن فركون، ص 224.

وَشَرَاكَ بِالْأَضْحَى وَمَتَّعْتَ بَعْدَهُ  
بِأَلْفِ لِكَ الصَّنْعِ الْجَمِيلِ مُدِيلُهَا  
طَلَعْتَ بِأُفُقِ الْمَلِكِ صُبْحَ هِدَايَةِ  
يُزِيحُ الدِّيَا جِي نُورَهُ وَيَزِيلُهَا  
مَدَدْتَ إِلَى التَّقْبِيلِ كَمَا كَرِيمَةً  
تُقِيمُ صَغَا قَصَادَهَا وَتُقِيلُهَا  
وَأَرْسَلْتَ مِنْ جَدِّ وَكَ صَوْبِ غَمَامَةٍ  
يُرَوِّي عَلَى حُكْمِ النَّدَى سَلْسَبِيلُهَا  
وأطلعنا لسان الدين ابن الخطيب في قصيدة أخرى على عادة كان السلطان يتبعها في هذا العيد، ألا

وهي إصدار العفوعن المذنبين لتكتمل فرحة الأهل والسكان بعيد الأضحى المبارك، يقول<sup>(١)</sup>:

بُشْرَاكَ أَنْ اللَّهَ أَكْمَلَ عِيدَنَا بِالْعَفْوِ مِنْكَ، وَمِنْهُ وَبِالْغَفْرَانِ  
وفي هذا العيد يهتم الناس بأضحية العيد، وكان الإحساس بأهمية هذه الأضحية غامراً عند جميع الناس. ويوضح لنا هذا اهتمام الشاعر القيسي بخروفه - أضحيته - وتألمه تألماً شديداً لموته مما جعله يرثيه في قصيدة يصف لنا فيها ما أصابه لفقده، فموت خروفه أفقده أنسه وصبره فلم يبق له بعد موته أمل في شيء، فقد كان هذا الخروف كثير الصوف، طويل القرنين، ممتلىء الجسم، مكثراً باللحم والشحم لكثرة ما أطعمه من شعير وفول، لكنه مات غماً<sup>(٢)</sup>. يقول<sup>(٣)</sup>:

أَيُّ أَنْسٍ بَلَّ أَيُّ صَبْرٍ أَلْوَفِ يَرْتَجِي مِثْلِي بَعْدَ مَوْتِ الْخُرُوفِ  
وَلَقَدْ كَانَ لِي ضَحِيَّةَ عَيْدِ ذَاتِ قَرْنَيْنِ رَاتِقَيْنِ وَصُوفِ  
كَمْ شَعِيرٍ أَطَعَّمْتُهُ مَعَ فُؤُولٍ كُلُّهُ مُحَكَّمٌ وَكَمْ مِنْ رَغِيفِ  
مَاتَ غَمًّا إِذْ كَانَ صَاحِبَ لَحْمٍ وَعَلَى ذِي الشَّحْمِ اعْتَدَا دُشُفُوفِ  
لَهْفَ نَفْسِي وَالْهَفَ نَفْسِي عَلَيْهِ أَلْفَ لَهْفٍ مِضَافَةً لِأَلْوَفِ  
أَيُّ عَيْشٍ يَطِيبُ لِي بَعْدَهُ أَوْ أَيُّ عَيْدٍ - تَرَاهُ عَيْنِي - شَرِيفِ

(١) لسان الدين ابن الخطيب، ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام، ص ٥٩٢.

(٢) انظر: قاسم الحسيني، الشعر الأندلسي في القرن التاسع عشر، ص ٢١٧.

(٣) عبد الكريم القيسي، ديوان عبد الكريم القيسي، ص ١٦٤.

## الاحتفال بذكرى المولد النبوي الشريف:

بدأ الاحتفال بذكرى المولد النبوي الشريف في المغرب في أواخر عهد الدولة الموحدية وبداية عهد الدولة المرينية، حين لاحظ قاضي سبتة أبو العباس أحمد بن محمد العزفي السبتي إقبال المسلمين على مشاركة النصارى الاحتفال بأعيادهم الدينية<sup>(١)</sup>. فدفعه ذلك إلى الاهتمام بالاحتفال بذكرى المولد النبوي الشريف. وجاء من بعده ابنه أبو القاسم محمد العزفي واستن سنة جديدة بأن جعل يوم ميلاد الرسول عيداً وطنياً رسمياً في إمارته<sup>(٢)</sup>.

انتقلت عادة الاحتفال بذكرى المولد النبوي إلى غرناطة في عهد السلطان أبي الحجاج يوسف الأول، وأخذ الاحتفال بها طابعاً رسمياً تنظمه الدولة وتشارك فيه حكومتها. كما اهتم ابنه السلطان محمد "الغني بالله" بالاحتفال بهذه المناسبة<sup>(٣)</sup>.

وتجري الاحتفالات بذكرى المولد النبوي في ليلة الثاني عشر من ربيع الأول من كل عام. فتقام الليالي الدينية في المساجد، والزوايا، وقصر الحمراء، وتقام فيها الصلوات وتلى آيات القرآن. وقد ذكر هذا ابن زمرق في قصيدة ألقاها في ذكرى المولد النبوي عام (٧٦٧هـ) يمدح فيها السلطان الغني بالله الذي عظم ليلة مولد الرسول وأحياها ساهراً بالعبادات، ويدعو الشاعر للسلطان أن يجزيه الله لصنيعه خير الجزاء، يقول<sup>(٤)</sup>:

يا فخر أندلس وعصمة أهلها      يجزيك عنها الله خير جزاء  
عظمت ميلاد النبي محمد      وشفعته بالليل الغراء

(١) انظر: حسناء الطرابلسي، حياة الشعر في نهاية غرناطة، ص ٢٦٠؛ أحمد الطوخي، مظاهر الحضارة في الأندلس، ص ١١٧.

(٢) انظر: أحمد العبادي، الأعياد في مملكة غرناطة، ص ١٤٨.

(٣) انظر: أحمد الدوسري، الحياة الاجتماعية في غرناطة، ص ١٥٨.

(٤) المقرئ، نفح الطيب، ج ٧، ص ١٨٢-١٨٣.

أَحْيَيْتَ لَيْلِكَ سَاهِرًا فَأَذِنَّا قَوْتَ الْقُلُوبِ بِذَلِكَ الْإِحْيَاءِ

وقد ضعف الاهتمام بالاحتفال بهذه المناسبة في القرن التاسع الهجري<sup>(١)</sup>.

### الاحتفال بيوم عاشوراء:

احتفل أهل غرناطة بيوم عاشوراء، وهو اليوم العاشر من محرم عملاً بالسنة النبوية الشريفة<sup>(٢)</sup>. وقد كان ملوك غرناطة يقدمون فيه الهدايا لبعض الفقهاء والشعراء، وهذا ما نجد في قصيدة لابن زمرك يشكر فيها السلطان محمد الخامس الذي أهداه خلعة بهذه المناسبة<sup>(٣)</sup>، يقول<sup>(٤)</sup>:

يَا بَدْرَتَمَّ فِي سَمَاءِ خِلَافَةٍ      حَقَّتْ نَجُومُ السَّعْدِ هَالِكَةٌ قَصْرَهُ  
أَلْبَسْتَ عَبْدَكَ مِنْ ثِيَابِكَ مَلْبَسًا      قَدْ قَصَّرْتَ عَنْهُ مَدَارِكَ شُكْرَهُ  
وَرَضَاكَ عَنْهُ خَيْرُ مَا أَلْبَسَهُ      فَلَقَدْ أَشَادَ بِجَاهِهِ وَبِإِرِهِ  
أَلْبَسْتَنِي أُرْكِبَتَنِي شَرَّفْتَنِي      أَهْدَيْتَنِي مَالًا أَقْوَمُ بِحَصْرِهِ

وقال ابن زمرك في قصيدة أخرى يصف كرم وعتاء السلطان في هذا اليوم، وقد أحيى فيه

سنة نبوية، وتنوعت فيه الهدايا وتعددت<sup>(٥)</sup>:

فَاضَتْ عَلَيْنَا مِنْ نَدَاكَ غَمَائِمٌ      وَتَفَجَّرَتْ مِنْ رَاحَتَيْكَ بُحُورًا

(١) انظر: حسناء الطرابلسي، حياة الشعر في نهاية غرناطة، ص ٢٦١.

(٢) عن عائشة رضي الله عنها أن قريشاً كانت تصوم يوم عاشوراء في الجاهلية ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بصيامه حتى فرض رمضان، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من شاء فليصمه ومن شاء أفطر،

صحيح البخاري، مج ١، ص ٣١.

(٣) أحمد الدوسري، الحياة الاجتماعية في غرناطة، ص ١٦١.

(٤) المقرئ، أزهار الرياض، ج ٢، ص ١٣٠.

(٥) المقرئ، نوح الطيب، ج ٧، ص ١٧٦، ١٧٧؛ انظر أيضاً: ص ٢٢١.



نَعْمُ مِنْوَعَةً تَعَدَّدَ وَفُرْهَا      أَعْجَزَتْ عَنْهَا شُكْرِي الْمَوْفُورَا  
فِي مَوْسَمٍ لِلدِّينِ قَدْ جَدَّدَتْهُ      وَأَقَمْتِ فِينَا عَيْدَهُ الْمَشْهُورَا  
أَضْعَافَ مَا أَهْدَيْتَنَا مِنْ مَنَّةٍ      تُهْدِي إِلَيْكَ ثَوَابَهَا عَاشُورَا

### الاحتفال بالشعبانية:

ومن المناسبات الدينية الأخرى التي احتفل بها أهل غرناطة الشعبانية. وكانت هذه الاحتفالات تقام في الأيام الأخيرة من شهر شعبان؛ إذ يودع الغرناطيون شهر شعبان ويستقبلون شهر رمضان المبارك. لكن ما جاء في المصادر من أخبار عن هذه الاحتفالات قليل، إلا ما ذكره ابن خاتمة الأنصاري في قصيدة له يصور فيها أحد هذه الاحتفالات. ويبدو أن هذا الاحتفال أقيم في روض مربع وفي جو طبيعي رائع الحسن، يغرّد فيه بلبل - في جملة أطيّار غريدة - تحاكيه شادية حسنة الصوت والإنشاد جيدة الرقص، وهو يعلي من شأن هذه الليالي، وما يبدو على الأقل في العصر الذي عاش فيه الشاعر، أن هذا الحفل كان يستمر أربعة أيام<sup>(١)</sup>، يقول<sup>(٢)</sup>:

لِلَّهِ أَرْبَعَةٌ مِنَ الدَّهْرِ      حَسْبِي بِهَا مِنْ جُمْلَةِ الْعُمْرِ  
سَمَحَ الزَّمَانُ بِهَا عَلَى بَخْلِ      فِيهِ وَوَفَاهَا عَلَى غَدْرِ  
يَسْعَى عَلَيْنَا مُسْمِعٌ غَرْدٌ      يُغْنِيكَ عَنْ ثِقَلِ وَعَنْ خُمْرِ  
يَتَلَقَّفُ التَّغْمَاتِ عَنْهُ رَشَاً      أَرُبْتُ مَحَاسِنُهُ عَلَى الْحَصْرِ  
فِيصُوغُهَا رَقْصاً عَلَى قَدَمِ      كَادَتْ تُبَيِّنُ مَعَانِي الشَّعْرِ  
أَعْقَابَ شَعْبَانَ عَجِبْتُ لَهَا      يَبْضَانُ نَصْلُنْ أَوْ آخِرَ الشَّهْرِ  
لَوْلَا التَّحَرُّجُ قُلْتُ: رَبُّهَا      فِي الْقَدْرِ رَبُّبَةُ لَيْلَةِ الْقَدْرِ

(١) انظر: مكّي، الطاهر أحمد، الأدب الأندلسي من منظور إسباني، ط١، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٩٩٠م، ص ١٩٦.

(٢) ابن خاتمة الأنصاري، ديوان ابن خاتمة، ص ١٢٠.

## الاحتفال بعيد النيروز وعيد المهرجان:

من مظاهر حبّ الأندلسي للطبيعة وشغفه بها احتفاله بعيد النيروز، وهو أحد الأعياد الكبرى في الأندلس، أخذها الأندلسيون عن الفرس<sup>(١)</sup>، ويقع في بداية السنة في أوائل يناير من كل عام<sup>(٢)</sup>. ومنذ اتخذها العالم الإسلامي عيداً دخلته تغييرات كثيرة وكان يحتفل به في الربيع في اليوم المعتدل منه، دون أن يرتبط ذلك بأول العام الجديد<sup>(٣)</sup>.

اهتم الأندلسيون بهذا العيد، وكان للاحتفال به عدّة مظاهر منها صناعة الحلوى في صورة مدائن ذات أشكال جميلة لتقديمها للضيوف في هذه المناسبة<sup>(٤)</sup>، وعمل الدمى من الفخار والخزف المطلي على شكل حيوانات على الرغم من تحريم الفقهاء لذلك<sup>(٥)</sup>. كما حرصت الأسرة الأندلسية على توفير مستلزمات الاحتفال بهذا العيد من الفواكه واللحوم، والشراب المنعش، ومواد الزينة المختلفة كالحناء؛ لإشاعة الفرحة والسرور في نفوس أفراد الأسرة<sup>(٦)</sup>.

وجرت العادة في هذه المناسبة أن يتهدى الناس، وأن يجود السّاطان على الشعب بالعطايا والهبات.

---

(١) انظر: النويري، أحمد عبد الوهاب (ت ٧٣٣هـ / ١٣٣٣م)، نهاية الأرب في فنون الأدب، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، د. ت، ج ١، ص ١٨٥.

(٢) انظر: حسن النوش، التصوير الفني للحياة الاجتماعية، ص ٢٣٢.

(٣) انظر: مكّي، الطاهر أحمد، دراسات عن ابن حزم وكتابه طوق الحمامة، ط ٤، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٣م، ص ٤١.

(٤) انظر: المقرّي، نفح الطيب، ج ٤، ص ١٣١.

(٥) انظر: أحمد الطوخي، مظاهر الحضارة في الأندلس، ص ١٢٠.

(٦) انظر: حسن النوش، التصوير الفني للحياة الاجتماعية، ص ٢٣٣.

وكان الشعراء ينظمون القصائد في هذه المناسبة لتهنئة كبار رجال الدولة راجين مألوف

عطاياهم، وفي هذا يقول ابن الخطيب مهناً للسلطان أبا الحجاج يوسف بن إسماعيل النصري<sup>(١)</sup>:

زَمَانُكَ أَفْرَاحٌ لَدَيْنَا وَأَعْيَادُ      فَعِيدٌ وَنِيرُوزٌ سَعِيدٌ وَمِيلَادُ  
تَزُورُكَ أَثْنَاءَ الزَّمَانِ كَأَنَّهَا      عَفَاةٌ تُرْجَى رَاحِيَتِكَ وَقُصَّادُ  
فَتَهْدِي إِلَيَّ كُلَّ مَقَالٍ يَخْصُصُهُ      فَمَنَّا لَهَا دُرٌّ، وَمَنْهُنَّ أَجِيَادُ  
لَقَدْ عَمَّ مِنْكَ الرَّفْدُ مِنْ جَاءِ قَاصِدًا      نَوَالِكَ، حَتَّى لِلْمَوَاسِمِ إِرْقَادُ

ثم يقول<sup>(٢)</sup>:

وَيَهْنِكُ نِيرُوزٌ سَعِيدٌ قَدْ انْقَضَى      أَتَّكُ عَلَى آثَارِهِ مِنْهُ أُعْدَادُ  
أَتَاكَ عَلَى عِلْمٍ بِجُودِكَ فِي الْوَرَى      فَأَمَلْ مِنْ جَدِّكَ مَا هُوَ يُعْتَادُ

كما احتفل الغرناطيون بعيد المهرجان أو (عيد العنصرة) وهو عيد من أعياد الفرس، ويقع في

السادس والعشرين من تشرين الأول من شهور السريان<sup>(٣)</sup>. وكان حلوله إيذاناً بالانقلاب الشتوي، وكانت مدته ستة أيام ويسمى اليوم السادس منه المهرجان الأكبر<sup>(٤)</sup>.

وعند حلوله يبدأ الناس بتغيير فرشهم وملابسهم استعداداً للانتقال إلى الشتاء، ومن مظاهر

الاحتفال بهذا العيد تقديم الهدايا وتبادل التهاني بهذه المناسبة السعيدة.

وقد شارك المسلمون في غرناطة إخوانهم المسيحيين في أعيادهم مثل عيد ميلاد المسيح<sup>(٥)</sup>.

(١) لسان الدين ابن الخطيب، ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام، ص ٤٠٥.

(٢) المصدر نفسه، ص ٤٠٧. انظر أيضاً: ص ٦٢٤، ٦٣١.

(٣) انظر: القلقشندي، صبح الأعشى، ج ٢، ص ٤١٠.

(٤) انظر: النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج ١، ص ١٨٧.

(٥) انظر: أحمد العبادي، الأعياد في مملكة غرناطة، ص ١٤٠.

كما عرفت غرناطة عيد العصير الذي كان يُقام عند جني محصول العنب وعصره؛ إذ كان السكان يتوجهون إلى البساتن المختصة في زراعته، فتقام أيام مميزة لجنيه في جو يسوده المرح والغناء والرقص<sup>(١)</sup>. ويشير ابن الخطيب إلى أن السكان كانوا يحملون أسلحتهم معهم دائماً لأن هذه الحقول كانت مكشوفة ومجاورة لحدود العدو. "وعادةً أهل هذه المدينة، الانتقال إلى حُلل العصير أو ان إدراكه، بما تشتمل عليه دورهم، والبروز إلى الفحوص بأولادهم، معولين في ذلك على شهادتهم وأسلحتهم، وعلى كُتب دورهم، واتصال أمصارهم بمجدود أرضه"<sup>(٢)</sup>.

### الاحتفال بالحداق:

ومن المناسبات التي احتفى بها الغرناطيون الحدقة: وهي الاحتفال بإتمام الصبي قراءة القرآن أو حفظه أو حفظ جزء منه<sup>(٣)</sup>. والحداق بكسر الحاء وفتح الذال المعجمة هو الطعام الذي كان يُقدم في هذه المناسبة<sup>(٤)</sup>.

ويظهر من خلال القصائد التي تناول هذا الموضوع، أن الشعراء كانوا ينظمون القصائد على لسان الصبي الذي انتهى من قراءة القرآن الكريم أو حفظ جزء منه. يقول ابن الخطيب (وقلت مما يكتب في لوح حدق الأمير ولد السلطان قيس على العادة في مثل ذلك)<sup>(٥)</sup>:

فكان أول ما قدّمتُ في صغري      من بعد ما قد جمعتُ الفضل والأدبا  
أني جعلتُ كتاب الله معتمداً      لا تُعرفُ النفسُ في تحصيله تعباً

(١) انظر: أحمد الدوسري، الحياة الاجتماعية في غرناطة، ص ١٥٧.

(٢) لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة، ج ١، ص ١٣٨.

(٣) انظر: علي النقراط، ابن الجياب الغرناطي، ص ١٨٨.

(٤) انظر: لسان الدين ابن الخطيب، ديوان لسان الدين بن الخطيب، ص ٨٢.

(٥) لسان الدين ابن الخطيب، ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام، ص ٢٦٥، ٢٦٧.

كَأَنِّي كُلَّمَا رَدَدْتُهُ بِفَمِي      أَسْتَشِقُّ الْمَسْكَ أَوْ أَسْتَطَعُّ الضَّرْبَا  
حَتَّى ظَفِرْتُ بِحَظِّ مَنْهُ أَحْكَمُهُ      حَفْظًا فَيَسَّرَ مِنْهُ اللَّهُ لِي أَرْبَا  
وَعَنْ قَرِيبٍ بِحَوْلِ اللَّهِ أَحْفَظُهُ      فَرُبَّمَا أَدْرَكَ الْغَايَاتِ مَنْ طَلَّبَا

وكان والد الحاذق يدعو أصدقاءه وأصحابه لمشاركته في الاحتفال بهذه المناسبة، ويقوم فيه  
الولائم دلالة على جوده وكرمه . يقول ابن الخطيب (وكتبت إلى الشريف القاضي - رحمة الله عليه -  
وقد استدعى الأولاد إلى حفلة أحد أولاده)<sup>(١)</sup>:

غَشِيَانُ مَثْوَاكَ مَثْوَى الْجُودِ يَوْمَ نَدَى      مِمَّا يَنَافِسُ فِيهِ الْوَالِدُ الْوَلَدَا  
وَحُبُّكَ الْيَوْمَ ذُخْرٌ مَنْ تَأْتَلَهُ      جَنَى بِهِ الْفُوزِ فِي دَارِ التَّعِيمِ غَدَا  
وَقَدْ مَدَدْتُ لِإِذْنٍ مِنْ عَالِكِ يَدِي      فَاسْمَحْ بِهَا دُمْتُ أَعْلَى الْعَالَمِينَ يَدَا

### الاحتفال بالإعذار:

حرص المسلمون في غرناطة على اتباع السنة النبوية في إعذار (ختان) أبنائهم . وكانت تقام في  
هذه المناسبة احتفالات كبيرة تقام فيها الولائم الفخمة، وتنفق فيها الأموال الطائلة، وتشارك فيها  
طبقات اجتماعية أندلسية عريضة، وقد يدعى لها عليّة من خارج الأندلس<sup>(٢)</sup>، وفي هذا يقول ابن  
زمرك في حفل إعذار حفيد الغني بالله<sup>(٣)</sup>:

أَقَمْتُ لَهُ - وَالْحَمْدُ لِلَّهِ - سُنَّةً      مُؤَكَّدَةً تُرَضِّي النَّبِيَّ مُحَمَّدَا  
هَنِيئًا هَنِيئًا إِنَّهُ خَيْرُ سُنَّةٍ      أَقَمْتُ بِهَا لِلدِّينِ وَالْفَخْرِ مُنْتَدَى  
دَعَوْتُ لَهَا الْأَشْرَافَ مِنْ كُلِّ وَجْهَةٍ      وَنَادَاهُمْ التَّحْضِيضُ فَابْتَدَرُوا النَّدَا

(١) لسان الدين ابن الخطيب، ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام، ص ٤٦٠ .

(٢) انظر: حسن النوش، التصوير الفني للحياة الاجتماعية، ص ١٦١ .

(٣) ابن زمرك، ديوان ابن زمرك الأندلسي، ص ١٣٥ - ١٣٦ .

وظَلَّلتْ مَثْوَى العَرَضِ أَشْرَفَ قُبَّةٍ      تَجَلَّى بِهَا الإِحْسَانُ مِنْ أَفْقِ الهُدَى  
وَمَا بَرِحُوا فِي رَوْضِ جُودِكَ قَبْلَهَا      تُفِيضُ لَهُمْ رِزْقاً هَنِيئاً مُؤَبَّداً  
وَنَالُوا جَمِيعاً مِنْ نَوَالِكَ أَنْعَمَا      وَجَاءَ وَكَ يَوْمَ العَرَضِ أَوْحَاداً

وكان صاحب الإعذار يدعو من الأصدقاء من يكلفه بمراقبة الحجّام خلال عملية الإعذار حتى يؤدي المهمة على خير وجه . وقد دعا أبو بكر ابن عبد الملك<sup>(١)</sup> الوزير لسان الدين ابن الخطيب لإعذار ولده لهذا الغرض<sup>(٢)</sup> : "قال لسان الدين رحمه الله: خاطبني أبو بكر عبد الرحمن بن عبد الملك مستدعياً إلى إعذار ولده بقوله:

أريد من سيدي الأعلى تكلفه      إلى الوصول إلى داري صباح غد  
يزيدني شرفاً منه ويصرُّ لي      صناعة القاطع الحجّام في ولدي"<sup>(٣)</sup>

إلا أن لسان الدين ابن الخطيب اعتذر عن الحضور لانشغاله بخدمة السلطان .

ودعا لسان الدين ابن الخطيب الشاعر الفقيه أبا يحيى البلوي<sup>(٤)</sup> لمشاركته في خدمة إعذار ولديه عبد الإله وقمر العلافي سنة ٧٤٩هـ؛ إلا أنه لم يتمكن من الحضور بنفسه فنظم شعراً يعتذر فيه عن خدمة الإعذار، ويتقدّم بالتهنئة والتمجيد لابن الخطيب في هذه المناسبة<sup>(٥)</sup>، يقول<sup>(٦)</sup>:

<sup>(١)</sup> هو أبو بكر عبد الرحمن بن عبد الملك، أصله من مدينة باغ، ونشأ بلوشة وهو محسوب من الغرناطين، كان ينتحل النظم والنثر، وكان ينظم أرجازاً يتوصل بها إلى غرضه، نظم مختصر السيرة في الألفاظ اليسيرة، ونظم رجزاً في الزجر والقال، توفي بالطاعون سنة (٧٥٠هـ) . انظر: لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة، ج٣، ص٥٢٧؛ المقرئ، فتح الطيب، ج٦، ص١١٣ .

<sup>(٢)</sup> انظر: حسن النوش، التصوير الفني للحياة الاجتماعية، ص١٦٦ .

<sup>(٣)</sup> المقرئ، فتح الطيب، ج٦، ص١١٢ .

<sup>(٤)</sup> هو محمد بن محمد بن عبد الواحد بن محمد البلوي، من أهل المرية، وكان أهله بنو البلوي ذوي حسب وأهل نعيم، وتربية ملوكية، كان كثير السكون والحياء آل به ذلك إلى لوثة لم يستق منها، وكان أدبياً بارعاً حسن الخط تصرف بين النياحة في الأحكام الشرعية وبين الشهادات العلمية . انظر: المقرئ، فتح الطيب، ج٦، ص٦٣-٦٤ .

<sup>(٥)</sup> انظر: لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة، ج٢، ص٣٨٢، والمقرئ، فتح الطيب، ج٦، ص٦١ .

<sup>(٦)</sup> المقرئ، فتح الطيب، ج٦، ص٦٢ .

لا عُذْرِي عن خدمة الإِعدارِ      ولئن نَأَى وَطَنِي وشَطَّ مَزارِي  
أوعَاقني عَنهُ الزمانُ وَصَرَفُهُ      تقضي الأمانِي عَادةَ الأَعصارِ  
قد كُنتُ أُرغِبُ أنْ أفوزَ بِجُدمَتِي      وأحُطُّ رَحْلي عِنْدَ بابِ الدارِ  
بِادي المِسرَّةَ بالصنِيعِ وأهلِهِ      متشمرًا فِيهِ بفضْلِ إِزارِي  
يا مَنْ لَهُ الشرفُ القَدِيمُ وَمَنْ لَهُ الأَ      حسبُ الصمِيمِ العَدِيومِ فِخارِ  
يُهَنِيكَ ما قَد نلتَ مِنْ أَمَلِ بِهِ      فِي الفِرْقَدَيْنِ التَّيْرَيْنِ لِسارِي  
عَبَدُ الإِلهِ وَصنوه قمرُ العُلا      فرعانِ مِنْ أصلِ زِكا وَنِجارِ

وقد صور الشعراء الذين تولوا تسجيل نبض الحياة الاجتماعية الأندلسية كثيرا من مظاهر هذه الاحتفالات التي كانت تقام في مناسبة الإعدار. فقد وصف ابن الخطيب الحفل الذي أقامه السلطان (الغني بالله) لإعدار ولده، وقد دعا له الناس فجاؤه من كل حدب وصوب ليشاركوه فرحته. واشتمل الحفل على إقامة الطلبة، وهي دائرة خشبية تقام في الهواء، ويأخذ الفرسان في قذفها برماحهم أثناء ركضهم بجيولهم<sup>(١)</sup>، فيقول<sup>(٢)</sup>:

ولله إِعْذارٌ دَعَوْتُ لَهُ الوَرى      فهَبُوا لِداعِيهِ المِهيَبِ وإنْ شَطُّوا  
تَقودُهُمُ الرِّزْفى وَيَدعُوهُمُ الرِّضَا      وَيجدوهُمُ الخِصبُ المِضاعِفُ والغِبطُ  
وَطاعِنَةٌ نَحَرَ السُّكاكِ<sup>(٣)</sup> أَعانَها      عَلى الكونِ عِرْقُ وِاشِجِ<sup>(٤)</sup> وَلحى سَبْطُ<sup>(٥)</sup>

(1) انظر: المقرئ، نفع الطيب، ج ٦، ص ٤٥٩. وسأفصل الحديث عن هذه اللعبة عند الحديث عن الألعاب في موقع آخر من هذا الفصل.

(2) المقرئ، نفع الطيب، ٦/٤٦٢، لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة، ج ٤، ص ٤٨٢.

(3) السُّكاك: الجَوّ، لسان العرب، مادة: سَكك.

(4) العِرْقُ الواشِج: أي المتشابك الملتف، لسان العرب، مادة: وشج.

(5) السَبْطُ: تقيض الجعد، لسان العرب، مادة: سبط.

تَلَقَّفُ حَيَاتِ الْعَصِيِّ إِذَا هَوَتْ      فثعبانها لا يستقيم له سَرَطٌ<sup>(١)</sup>  
أَزْرَتْ بِهَا مَجْرَ الْهَوَاءِ سَفِينَةً      على الجوّ لا الجودي<sup>(٢)</sup> كان لها حطُّ

كما اشتمل هذا الحفل على مصارعة الثيران؛ إذ صور لنا حرباً بين الثور والإنسان تبدأ بإطلاق كلاب "اللان" المتوحشة خلف الثور، فتأخذ في نهش جسمه وأذنيه وتعلق بهما في صورة القرط، ثم يأتي الفارس بعد أن تنهار قوى الثور فيتقدم لمصارعته والقضاء عليه أمام الحاضرين<sup>(٣)</sup>. ويقول<sup>(٤)</sup>:

وطار دتَ مَقْدَامَ الصُّوَارِ<sup>(٥)</sup> بِمَجَارِحِ      يُصَابُ بِهِ مِنْهُ الصَّمَاخُ<sup>(٦)</sup> أَوْ الْإِبْطُ  
مَتِينُ الشُّوَا<sup>(٧)</sup> فِي رَأْسِهِ سَمَهْرِيَّةٌ<sup>(٨)</sup>      مَقْصَرَةٌ عَنْهُمْ نَّ مَا يُنْبِتُ الْخَطُّ  
وَقَدْ كَانَ ذَاتِ تَاجٍ فَلَمَّا تَعَلَّقَا      بِسَامِعَيْهِ زَانَهُ مِنْهُمَا قُرْطُ

وقد أبدع ابن زمرك في وصف الاحتفالات التي أقامها السلطان محمد الخامس (الغني بالله) لإعذار بنيه وأحفاده، وشهدت هذه الاحتفالات مختلف مظاهر الجلال والبذخ فكانت "مما أجم اللسن الذكي عيًّا، وغادر الإعذار الذنوبي منسيًّا"<sup>(٩)</sup>؛ إذ كانت تخفق فيها الأعلام وتهدر الطبول وتعزف

(١) سَرَطٌ: سرط الطعام أي بلعه، لسان العرب، مادة: سرط.

(٢) الجودي: جبل، وقيل هو جبل بآمد، لسان العرب، مادة: جود.

(٣) انظر: أحمد العبادي، الأعياد في مملكة غرناطة، ص ١٤٢.

(٤) المقرئ، فح الطيب، ج ٦، ص ٤٦٢، لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة، ج ٤، ص ٤٨٢.

(٥) الصُّوَارُ: القطيع من البقر، لسان العرب، مادة: صور.

(٦) الصَّمَاخُ: الأذن، لسان العرب، مادة: صمخ.

(٧) الشُّوَا: القوائم، لسان العرب، مادة: شوا.

(٨) السمهريّة: القنأة الصلبة، ويقال: هي منسوبة إلى سمهر رجل كان يقوم الرماح، لسان العرب، مادة: سمهر.

(٩) المقرئ، فح الطيب، ج ٧، ص ١٨٣. الإعذار الذنوبي: هو حفل الإعذار الذي أقامه المأمون بن ذي النون بقصره

في طليطلة سنة ٤٥٥هـ و قدم فيه وليمة كبرى احتفالاً بجثان حفيده يحيى، انظر: حسن النوش، التصوير الفني

للحياة الاجتماعية، ص ١٦٢.



الموسيقى العسكرية كما كانت تشهد ألواناً من ألعاب الفروسية وكان يُدعى لها عليه القوم من الأندلس وأشراف الأمم من أهل المغرب<sup>(١)</sup>.

يقول ابن زمرك<sup>(٢)</sup>:

أبديت من حسن الصنيع عجائباً      تُروى على مر الزمان وتُنقلُ  
خفقت به أعلامك الحمر التي      بجفوقها النصر العزيز موكلُ  
هدرتُ طبول العز تحت ظلالها      عنوان قح إثرها يستعجلُ  
ودعوتُ أشراف البلاد وكلهم      يُثني الجميل وصنع جودك أجملُ  
وأثرت فيه للطراد فوارساً      مثل الشموس وجوههم تهللُ

كما وصف ابن زمرك الحفل الذي أقامه السلطان الغني بالله لإعذار الأميرين سعد ونصر؛ إذ "أجاد في وصف الجند والجرد والطلبة وغرائب الأوضاع"<sup>(٣)</sup>.

ويأتي في مقدمة هذا الاحتفال سباق الخيل، وفيه يقول<sup>(٤)</sup>:

وأريتنا فيه عجائب جمّة      لم تجر في خلد ولم تُوهّم  
أرسلت سرعان الجياد<sup>(٥)</sup> كأنها      أسراب طير في الثنوفة<sup>(٦)</sup> حوم

(١) انظر: غومس، إميليو غارثا، مع شعراء الأندلس والمتنبي، ط١، ترجمة الطاهر أحمد مكي، مكتبة وهبة -

عابدين، القاهرة، ١٩٧٤م، ص ٢٨٩؛ حسن النوش، التصوير الفني للحياة الاجتماعية، ص ١٦٧.

(٢) المقري، فح الطيب، ج ٧، ص ٢١٣، المقري، أزهار الرياض، ج ٢، ص ١١٩؛ انظر أيضاً: أزهار الرياض، ج ٢،

ص ص ٧٤-٧٧.

(٣) المقري، فح الطيب، ج ٧، ص ١٨٤.

(٤) المصدر نفسه، ج ٧، ص ١٨٧.

(٥) سرعان الجياد: أوائلها، لسان العرب، مادة: سرع.

(٦) الثنوفة: المفازة، لسان العرب، مادة: تنف.

والمشهد الثاني الذي وصفه ابن زمرك "الطبلبة" التي أرسلت إلى عنان السماء تتبعها السهام

النارية، وكأنها شهب مضيئة، يقول<sup>(١)</sup>:

ومسافر في الجو تحسب أنه يرقي إلى أوج السماء بسلم  
رام استراق السمع وهو ممنع فأصيب من قضب العصي بأسهم  
رجمته من شهب التصل حواصب لولا تعرضه لاله لم يرجم

ويصف في المشهد الثالث أراجيح مركبة على مدارة تدور بسرعة خاطفة، حاملة الرجال في

جوفها، يقول<sup>(٢)</sup>:

ومدارة الأفلاك أعجز كنهها إبداع كل مهندس ومهندم  
يمشي الرجال بجوفها وجميعهم عن مستوى قدميه لم يتقدم

وتضمن الأبيات التالية المشهد الأخير في هذا الاحتفال؛ يصور فيه ابن زمرك حركات بهلوان

وقدرته الفائقة في الارتفاع وكأنه طير في صورة آدمي، ثم السير على خيط رفيع متوهم لا يكاد يرى<sup>(٣)</sup>،

يقول<sup>(٤)</sup>:

ومنوع الحركات قد ركب الهوا يمشي على خط به متوهم  
فإذا هوى من جوه ثم استوى أبصرت طيراً حول صورة آدم  
يمشي على فن الرشاء كأنه فيه مساور ذابل أو أرقم

(١) المقرئ، فح الطيب، ج٧، ص ١٨٧.

(٢) المصدر نفسه، ج٧، ص ١٨٧.

(٣) انظر: حسن النوش، التصوير الفني للحياة الاجتماعية، ص ١٦٩.

(٤) المقرئ، فح الطيب، ج٧، ص ١٨٧-١٨٨.

أما فيما يتعلق بمحطان الإناث فلم أجد له ذكر في المصادر، مما يدل على أن هذه العادة لم تكن موجودة في ذلك الوقت، أو أنها كانت تجري دون إقامة الاحتفالات كما هو الحال في إعداز الذكور.

## الاحتفال بالزواج:

لم تختلف مراسم الخطبة والزواج في غرناطة عما كانت عليه في المشرق العربي في ذلك الوقت، فقد كان يتم عقد قران الرجل بالمرأة في حفل كبير (وهو ما يسمى بالإملاك) يقام في ساحات القصور والمنازل. وكان العرس في ذلك الوقت يدوم أسبوعاً كاملاً في بيت العروس ثم تنقل بعده في يوم يسمونه "الجلوة" إلى بيتها الجديد حيث تزف إلى عروسها. ومن عادة العروس أن تحمل معها متاعاً يسمى "شورة العروس"<sup>(١)</sup>. وكان يقدر في بعض الأحيان بالآلاف من الأموال<sup>(٢)</sup>.

وقد صور لنا ابن فركون حفل زفاف أحد أصدقائه ووصف ما كان فيه من الغناء والرقص واللهو، فقال واصفاً المغني والراقصين من حوله<sup>(٣)</sup>:

وأوانُ الإملاكِ أسعدُ آتٍ      بوجوه القبول والإقبالِ  
قد نعننا فيه بليلة أنسٍ      عرقتنا عوارف الإفضالِ  
صوتُ شاد على ترنم عودٍ      يهب السؤل منه قبل السؤلِ  
عوده ناطقٌ بغير لسانٍ      بخفي الضمير دون مقالِ  
نعماتٌ عن المريني تروى      وهي بالموصلي ذات اتصالِ  
ولكم راقص يروق أنطافاً      كفضيب في دوحه ميالِ

(١) انظر: الودغيري، عبد العلي (١٩٨٧م)، ملامح من المجتمع الأندلسي، مجلة البحث العلمي، جامعة محمد الخامس، المغرب، ع (٣٧)، ص ١٦٩.

(٢) انظر: لسان الدين ابن الخطيب، مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب، ص ٦٢.

(٣) ابن فركون، ديوان ابن فركون، ص ٣١٧.

طَرَبًا مَالٌ عَطْفُهُ وَتَنَّى كَأَرْبَى فِي يَدِ الصَّبَا وَالشَّمَالِ  
وكان من عادة أهل غرناطة في الأعراس إضاءة الشموع التي تعكس على الحفل سحراً خاصاً  
كما تعكس مظهرًا من مظاهر الحضارة في ذلك الوقت .

يقول ابن فركون واصفاً الشموع التي أُضيئت في حفل زفاف صديقه<sup>(١)</sup>:

وَأَنَارَتْ لِلشَّمْعِ فِيهَا نُجُومٌ      تُجْتَلَى عِنْدَ نَقْصِهَا فِي أَكْمَالِ  
كُلُّ قَلْبٍ مَنَابِهَا فِي اشْتِغَالِ      كُلِّ جِسْمٍ مِنْهَا رَهِينٌ اشْتِعَالِ  
وَكَانَ الَّذِي تَسَاقَطَ مِنْهَا      زَهْرُ الرُّوضِ يَبِينُ فِي الظَّلَالِ

ويبدو من أشعار لابن الجياب أن العروس كانت تجلس على منصة مرتفعة يحيط بها الأصدقاء  
والأحبة والأقرباء، يحتفون بها ويغنون لها، وقد أخذت زينتها وبدت في أبهى محاسنها، وقد نقشت  
هذه الأبيات على تاج كرسي العروس، يقول<sup>(٢)</sup>:

سَحَرَ الْعَيُونُ جَمَالَ هَذَا التَّاجِ      لِمَا حَكَى مَذْهَبَ الدِّيْبَاجِ  
وَعَلَى مَنَصِّهِ الْعُرُوسُ كَأَنَّهَا      شَمْسٌ تَلُوحُ بِأَشْرَافِ الأَبْرَاجِ  
بَلَدُ بِهِ الْقَمْرَانُ قَدْ جُمِعَا مَعًا      وَتَقَابَلَا سِنَاهُمَا الوَهْجَاجِ

وفي اليوم الثالث من أيام العرس تُقام الوليمة المسماة "بالثالث" وسط احتفال بهيج ويدعا إليها  
الرجال والنساء . وقد أشار إليها ابن فركون في مقدمة إحدى قصائده التي يصف فيها هذه الوليمة  
وكرم الداعي إليها، ويصف ما كان فيها من غناء ورقص، يقول: «وحضرتُ الوليمة المسماة بالثالث  
لبعض الأوداء...»<sup>(٣)</sup>:

(١) ابن فركون، ديوان ابن فركون، ص ٣١٨ .

(٢) ابن الجياب، ديوان ابن الجياب الغرناطي، ص ١٨١ .

(٣) ابن فركون، ديوان ابن فركون، ص ٢٨٥ .

ومجلس أنس راق خُبْرًا ومَخْبَرًا      كَرَوْضِ الرَّبِيِّ جَادَتْهُ سَحْبُ الغَمَائِمِ  
به كلُّ مَحْمُودِ الخِلالِ مَجْدٌ      يُخَلُّ فِي بَدْلِ التَّنْدِي كَفِّ حَاتِمِ  
وشاد له في الحُسْنِ أَرْفَعُ رُتَبَةً      تَرَى دُونَهَا أَفْقَ السُّهَاءِ وَالنَّعَائِمِ  
فغنى وقد أغنى عن السحرِ صَوْتُهُ      ومال بهم مَيْلَ الغُصُونِ التَّوَاعِمِ

وفي حفل زواج أو (إملاك) السلاطين والملوك كانت تقام الاحتفالات الشعبية ابتهاجا بهذه المناسبة؛ إذ كانت تقام في مدرج السبيكة ألعاب الفروسية وسباق الخيل، وقد صور هذا ابن فركون في حفل زواج السلطان يوسف الثالث من بنت القائد المرحوم أبي يزيد خالد مولى النعمة النصرية، فقال<sup>(1)</sup>:

هذي السبيكة\* ملعب الخيل التي      أَلَقْتُ بِأَقْدَةِ العُدَاةِ خَبَالَهَا  
إن جردت بيض السيوف لغارة      لَبِسْتُ مِنْ التَّقَعِ المُثَارِ جَلَالَهَا  
فإذا المواكب في مداها استشرفت      مَا لِلكُوكَبِ فِي السَّمَاءِ وَمَالَهَا  
يا حسنه حطبا ويا عجباً إذا      جَالَتْ بِهِ خَيْلُ السَّبَاقِ مَجَالَهَا

هذا ما كان من أمر الزفاف في غرناطة فقد رأينا كيف أنه كان مدعاة للسرور ومناسبة للفرح والغبطة، فيجتمع الشمل، وتتأزر النفوس وتقدم التهاني للعروسين مع الدعاء لهما بتواصل الأفرح ودوام السعادة. ولا ريب أن مثل هذه الاحتفالات كانت تقام في غير غرناطة من بلاد بني الأحمر.

عشنا في هذه الصفحات مع أهل غرناطة في احتفالاتهم بأعيادهم ومناسباتهم المختلفة، وتبين لنا أن الغرناطين كانوا يهتمون بهذه المناسبات ويستعدون لها.

(1) ابن فركون، ديوان ابن فركون، ص ١١٩.

\* السبيكة (مدرج السبيكة): بسيط كان يقع جنوب شرقي الحمراء، وكان ملعباً للخيل وميداناً للفروسية في الأعياد وفي المناسبات). انظر: ابن فركون، ديوان ابن فركون، ص ١١٩.

## مجالس الغناء والشراب في الشعر الأندلسي

كانت مجالس الغناء والشراب وسيلة من وسائل التسلية واللهو التي عرفها أهل غرناطة . وحظيت هذه المجالس باهتمام الشعراء الأندلسيين، فوصفوا ما كان فيها من غناء، وموسيقى، ورقص وشراب . وفيما يأتي وصف لهذه المجالس كما صورها الشعر الأندلسي .

### - مجالس الغناء :

شاع الغناء والموسيقى في عصر بني الأحمر، فقد تهيأ في هذا العصر الجو الحضاري الملائم لنمو الموسيقى والغناء . وكان لدخول زرياب إلى الأندلس أثر كبير في تطورها وشيوعها، فقد أضاف للعود وتراً خامساً استكمالاً لمجموعة النغمات المستخرجة من العود لتستوفي الطبقات الصوتية، كما نقل إلى الأندلس كل الآلات الموسيقية المعروفة في الشرق، وأدخل إليها طرائق غنائية جديدة<sup>(١)</sup> . وشكلت الجوارى المشرقيات اللاتي دخلن الأندلس نواة مجالس الغناء والرقص فيها، وعلمن الفتيات الأندلسيات الغناء والموسيقى والرقص، ولذلك لم يخل عصر من عصور الأندلس من مغنيات أندلسيات وموسقيات وراقصات<sup>(٢)</sup> .

ولرقة عواطف الأندلسيين أغرموا بالغزل واستعانوا عليه بالموسيقى والغناء والرقص، فكان صوت الغناء والموسيقى يسمع في كثير من بيوتهم<sup>(٣)</sup> حتى أنه شاع في دكاكينهم<sup>(٤)</sup> . وكانوا يفضلون الضروري من العيش مع السماع، على العيش المترف مع الحرمان<sup>(٥)</sup> .

(١) شليبي، سعد إسماعيل، الأصول الفنية للشعر الأندلسي، عصر الإمارة، دار النهضة، القاهرة، ص ٩٨ - ٩٩ .

(٢) انظر: أحمد أمين، ظهر الإسلام، ج ٣، ص ٣٣ .

(٣) انظر: المصدر نفسه، ج ٣، ص ٣٣ .

(٤) انظر: لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة، ج ١، ص ١٣٧؛ اللوحة البدرية، ص ٤٠ .

(٥) انظر: أحمد أمين، ظهر الإسلام، ج ٣، ص ٣٣ .

وارتبط فن الرقص بفني الغناء والموسيقى وامتزج بهما في كثير من الحالات، حتى غدا من العسير أن تعرّف إلى جماعة بعينها تحترف الرقص بعيدة عن مصاحبة الغناء والموسيقى، بل إن الراقصة أو الراقص كان مغنياً في الغالب<sup>(١)</sup>.

أثرت هذه المجالس بما فيها من المرح واللهو في نفوس الشعراء، وحفزتهم على قول الشعر في وصف أحوالها وما يكون فيها من غناء ورقص وموسيقى فأبدع الشعراء في هذا. وقد ذكر لي سي بروفنسال أن الشعر الأندلسي استمد من مجالس اللهو والغناء بعض القوة في الإلهام<sup>(٢)</sup>.

ويصف ابن خاتمة مجلس غناء وقد شددت فيه إحدى المغنيات فأطربت الأسماع، وشنفت الأذان، وأسرت القلوب، حتى أنه شبّه تلك الفتاة لجمال صوتها بطائر الحسون (أم الحسن) الذي اشتهر بجمال صوته، فقال<sup>(٣)</sup>:

بَدَتْ فَشَدَّتْ فِي مَسَاقِ حَسَنِ      فَأَحْسَنْتَ أَحْسَنْتَ أُمَّ الْحَسَنِ<sup>(٤)</sup>  
جُوَيْرِيَّةٌ قَدْ جَرَّتْ فِي التُّفُوسِ      مَجْرَى ظُبَا<sup>(٥)</sup> لَحْظَهَا فِي الْبَدَنِ  
تُعْنِي فُتُغْنِيكَ عَنْ بُلْبُلٍ      وَتُشِيكَ إِمَّا اتُّنَّتْ عَنْ فَنَنِ

ولم يقتصر مجلس الأنس هذا على الغناء فقط، بل أجادت تلك المغنية الرقص أيضاً، وأتت

بفنون الرقص المختلفة بقدها الرشيقة الذي يتنى طوع إرادتها، يقول<sup>(٦)</sup>:

---

(١) انظر: حسن النوش، التصوير الفني للحياة الاجتماعية، ص ٢٧٦.  
(٢) انظر: بروفنسال، لي بي، أدب الأندلس وتاريخها، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩٥١م، ص ٧.  
(٣) ابن خاتمة الأنصاري، ديوان ابن خاتمة، ص ٩٥.  
(٤) أم الحسن: أتى طائر الحسون الذي يسميه الأندلسيون "أبا الحسن" انظر الكثاني، أبو عبد الله محمد بن الكثاني، التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، ط ٢، دار الشروق، بيروت، ١٩٨١م، ص ٦٠.  
(٥) الظبا: جمع ظبة، وهي حدّ السيف والسنان والخنجر وما أشبهها، المعجم الوسيط، مادة: الظبة.  
(٦) ابن خاتمة الأنصاري، ديوان ابن خاتمة، ص ٩٥.

تُرِيكَ وَتُسْمِعُ مَا تَشْتَهِي      بَقْدِ رَطِيبٍ وَصَوْتِ أَغْنُ  
كَأَنَّ مَفَاصِلَهَا الْخَيْزُرَانُ<sup>(١)</sup>      قَبْدُومِنَ الرَّقْصِ فِي كُلِّ فَنُ

ويتحدث عن مغنية أخرى واصفاً صوتها الأغن المتميز ورقصها على ألحان الموسيقى،

فيقول<sup>(٢)</sup>:

وَغَانِيَةٌ تَغْنِينًا فَتَغْنِي      بِمَنْطِقِهَا الْأَغْنِ عَنِ الْأَغْنِي  
تَنْتُ فَانْتَتْ مَشَى شُجُونٍ      تَهَيَّجُهَا الْمَثَالِثُ وَالْمَثَانِي<sup>(٣)</sup>

وأقيمت مجالس الغناء في غرناطة في احتفالات الأعراس حيث يحضر أحد المغنين لإحياء

تلك الحفلات . ومنها مجلس غناء أقيم في حفل زواج السلطان يوسف الثالث، وقد حضره الشاعر ابن

فركون وقال فيه<sup>(٤)</sup>:

وَأَوَانُ الْإِمْلَاقِ أَسْعَدُ آتٍ      بُوْجُوهُ الْقُبُولِ وَالْإِقْبَالِ  
قَدْ نَعْمْنَا فِيهِ بَلِيلَةَ أَنْسٍ      عَرَقْنَا عَوَارِفَ الْإِفْضَالِ

ثم يأتي على وصف المغني وقد شدا بصوته الجميل، وترنم عوده فأطرب الحاضرين وأسعد

بآلهم، فيقول<sup>(٥)</sup>:

وَأَفَادَتْ سَمْعِي وَكَفِّي غِنَاءً      وَغَنَى رَاقِنِي وَنَعْمَ بَّالِ  
صَوْتُ شَادٍ عَلَيَّ تَرْنَمِ عُودٍ      يَهَبُ السُّوْلُ مِنْهُ قَبْلَ السُّوَالِ

(١) الخيزران: نبات لين القصبان أملس العيدان، المعجم الوسيط، مادة: خَزَر .

(٢) ابن خاتمة الأنصاري، ديوان ابن خاتمة، ص ١١٣ .

(٣) المثلث والمثاني: من أوتار العود .

(٤) ابن فركون، ديوان ابن فركون، ص ٣١٧ .

(٥) المصدر نفسه، ٣١٧ .



ثم يصف الراقصين في هذا الحفل وقد تمايلوا طرباً كما تمايل أغصان الأشجار إذا داعبتها رياح الصَّبَا والشَّمَال، فيقول<sup>(١)</sup>:

وَلَكُمْ رَاقِصٌ يَرُوقُ أَنْعَاطُفَاً      كَقَضِيبٍ فِي دَوْحِهِ مِيَّالٍ  
طَرِبَاً مَالٌ عَطْفُهُ وَتَنَّتِي      كَالرُّبَى فِي يَدِ الصَّبَا وَالشَّمَالِ

وأقيمت مجالس الغناء احتفالاً بتوديع شهر شعبان واستقبال شهر رمضان وهو ما يسمّى (بالشعبائية)، ويصف ابن خاتمة أحد هذه المجالس أقيم في بستان في مالقة فيقدم لوصف المجلس بوصف الإطار الطبيعي الذي أقيم فيه، فقد جاء فصل الربيع وطرز ثوب الأرض الأخضر بأزهاره البديعة الألوان، يقول<sup>(٢)</sup>:

أَعْجَبُ بِهَا أَيَّامَ مَالِقَةَ      يُبْنِ الْمُنَى وَصَحَابَةَ غُرِّ  
فِي رَوْضَةِ جَرِّ الرَّيِّعِ بِهَا      ذَيْلَ الْحَاسِنِ أَيْمَاجِ جَرِّ  
مَطَرُوزَةِ الْأُدْوَاحِ بِالزَّهْرِ      مَحْفُوفَةِ الْأَكْنَفِ بِالزُّهْرِ<sup>(٣)</sup>

واجتمع في هذا المجلس المسمع الغرد، والرشا الراقص، والشعر الرائق، يقول<sup>(٤)</sup>:

يَسْعَى عَلَيْنَا مُسْمَعٌ غَرْدٌ      يُغْنِيكَ عَنْ نُقْلٍ<sup>(٥)</sup> وَعَنْ خُمْرٍ  
يُنْثِي الْمَعَاطِفَ حُسْنُ نَغْمَتِهِ      فَعَلَّ التَّسِيمَ بَغْضِنِهِ النَّضْرِ  
يَلْقَفُ النِّغْمَاتَ عَنْهُ رَشَاً      أَرَيْتُ مُحَاسِنُهُ عَلَى الْحَضْرِ  
فِيصُوغُهَا رَقْصَاً عَلَى قَدَمٍ      كَادَتْ تُبَيِّنُ مَعَانِي الشُّعْرِ

(١) ابن فركون، ديوان ابن فركون، ص ٣١٨.

(٢) ابن خاتمة الأنصاري، ديوان ابن خاتمة، ص ص ١٢٠-١٢١.

(٣) الزَّهْرُ: جمع زهرة. وهو نور كل نبات. والزَّهْرُ: البياض، لسان العرب، مادة: زهر.

(٤) ابن خاتمة الأنصاري، ديوان ابن خاتمة، ص ١٢١.

(٥) النُّقْلُ: ما يتنقل به على الشراب من فواكه وكوامخ وغيرها، المعجم الوسيط، مادة: نقل.

فقد أطرب الغناء الحاضرين فهم به في غنى عن الخمر ومتطلباتها، كما أجادت الراقصة  
 بحركاتها المتناغمة مع الموسيقى فجاء رقصها وكأنه شرح لمعاني الشعر .  
 ولم تحل طبيعة الأندلس المطيرة، ذات الشتاء المبرق والمرعد والمثلج دون إقامة  
 مجالس الغناء<sup>(١)</sup> . وقد أحب الأندلسي المطر والبرق والغيوم واستبشر بقدمها، فنجد  
 ابن فركون يصف مجلس غناء أقيم في يوم مثلج تناثرت فيه حبات الثلج وكأنها اللؤلؤ  
 المنشور، واكتست ثمار الأرض عما تمها البيضاء فهي كالقوارس في المعركة وقد ارتدت زبي الحرب،  
 فيقول<sup>(٢)</sup>:

وَمَجْلِسُ أَنْسِ رَاقٍ خُبْرًا وَمَخْبَرًا      كَرَوْضِ الرَّبِيِّ جَادَتْهُ سُحْبُ الْغَمَائِمِ  
 تَسَاقَطَ فِيهِ التَّلْجُ لِلْأَرْضِ مِثْلَمَا      تَنَاقَرَ عَقْدُ الدَّرِّ مِنْ كَفِّ نَازِمِ  
 تَخَالَ ثَمَارَ الْأَرْضِ فِيهِ فَوَارِسًا      بِخُضْرٍ ثِيَابٍ تَحْتَ بَيْضِ عَمَائِمِ

وقد ارتفع المغني بجمال صوته إلى مرتبة أعلى من السُّها والتعائم، يقول<sup>(٣)</sup>:

وَشَادَلُهُ فِي الْحُسْنِ أَرْفَعُ رُبِّيَّةً      تَرَى دُونَهَا أَفْقَ السُّهَاءِ وَالتَّعَائِمِ<sup>(٤)</sup>  
 فَغَنَّى وَقَدْ أَغْنَى عَنِ السَّحْرِ صَوْتُهُ      وَمَالَ بِهِمْ مَيْلَ الْغُصُونِ التَّوَاعِمِ

وهام الحاضرون بصوت عوده فمالت قلوبهم شوقاً وصبابة، يقول<sup>(٥)</sup>:

وَعُودِلَهُ مَهْمَا تَرْتَمُ سَاجِعًا      فَتَلْقَى الْخَلِيَّ الْقَلْبِ حَالَةَ هَائِمِ

(١) انظر: حسناء الطرابلسي، حياة الشعر في نهاية الأندلس، ص ٥٠٢ .

(٢) ابن فركون، ديوان ابن فركون، ص ٢٨٥ .

(٣) المصدر نفسه، ٢٨٥ .

(٤) التعائم: منزلة من منازل القمر، المعجم الوسيط، مادة: نعم .

(٥) ابن فركون، ديوان ابن فركون، ص ٢٨٦ .

يُمِيلُ قُلُوبَ الْعَاشِقِينَ صَبَابَةً      فَمِنْ يُبْنِ مَبْدَ الْغَرَامِ وَكَاتِمِ  
وجاء في الشعر الأندلسي ذكر للآلات الموسيقية التي شاع استخدامها في الأندلس، ذكر المقرئ  
منها "الخيال، والكرباج"<sup>(١)</sup>، والعود، والروطة"<sup>(٢)</sup>، والرباب، والقانون، والمؤنس، والكثيرة، والفنار،  
والزلامي والنورة - وهما مزماران الواحد غليظ الصوت والآخر رقيقه - والبوق"<sup>(٣)</sup>. وعرف أهل  
الأندلس آلات غيرها كالمزهر، والطنبور.

إلا أن العود كان سيد هذه الآلات جميعاً فلا يكاد يخلو مجلس منه، وقد أكثر الشعراء من ذكره،  
فيصف ابن فركون العود وما أحدثه في قلوب السَّمَار، فيقول<sup>(٤)</sup>:

وَعُودٌ لَهُ مَهْمَا تَرْتَمُ سَاجِعاً      قَتَلَى الْخَلِيَّ الْقَلْبِ حَالَةً هَائِمِ  
وقد أفشى العود في كثير من الأحيان أسرار العشاق<sup>(٥)</sup>:

عَوْدُهُ نَاطِقٌ بغيرِ لِسَانٍ      مَجْنُونِي الضَّمِيرِ دُونَ مَقَالِ  
والعود عند ابن الخطيب كاهن يفوه بما يوحى به البنان، ويعرب عما في ضمير الإنسان كأنه  
سطيح الكاهن الحكيم أو شق زميله<sup>(٦)</sup>، يقول<sup>(٧)</sup>:

وَعُودٌ حَتَّى أَضْلَاعَهُ فَوْقَ كَاهِنٍ      يَفُوهُ بِمَا يُوحِي الْبَنَانُ وَمَا يُلْقِي

(١) ورد في معجم الموسيقى العربية، د. حسين محفوظ: ص ٤٦، الكرجة: وهي الطبل المغولي، والكرج من الملاهي.  
(٢) الروطة: آلة وترية يعزف عليها. انظر: دوزي رينهارت، تكملة المعاجم العربية، ج ٥، ص ٢٥١. وقد أثبت  
دوزي أسماء هذه الآلات الموسيقية في تكملة المعاجم العربية ولكنه لم يحدد مدلولاتها في الأكثر.

(٣) المقرئ، فح الطيب، ج ٣، ص ٢١٣.

(٤) ابن فركون، ديوان ابن فركون، ص ٢٨٥.

(٥) المصدر نفسه، ص ٣١٧.

(٦) انظر: حسناء الطرابلسي، حياة الشعر في نهاية الأندلس، ص ٥٠٥.

(٧) لسان الدين ابن الخطيب، ديوان لسان الدين ابن الخطيب، ج ٢، ص ٦٩٥.

وَيُعْرَبُ عَمَّا فِي الضَّمِيرِ كَأَنَّمَا قَصَدْنَا سَطِيحًا أَوْ حُبْسَنَا إِلَى شِقِّ<sup>(١)</sup>  
وقد وصف لسان الدين ابن الخطيب عازف العود وقد تحركت أنامله على أوتار العود وكأنها  
العناكب تنسج بيوتها، فقال<sup>(٢)</sup>:

بُعُودَ تَرَى وَقَعَ الْأَنَامِلِ فَوْقَهُ كَمَا اجْتَهَدَتْ فِي نَسْجِهِنَّ الْعَنَّاكِبُ  
وأبدع لسان الدين ابن الخطيب في وصفه عازفة على العود وكأنها مرضعة ثديها للعود حنانا،  
ودرها لا اللبن بل الأدب المحض<sup>(٣)</sup>، فقال<sup>(٤)</sup>:

وَمُرْضَعَةٌ طِفْلاً مِنَ الْعُودِ ثَدْيِهَا وَلَا دَرًّا إِلَّا الدَّرُّ مِنْ أَدَبٍ مَحْضٍ  
إِذَا لَمَسْتَهُ بِالْبَنَانِ تَخَالَهَا طَيِّبًا مِنَ الحُدَاقِ جَسَّ عَلَى بُبْضٍ  
وَتُدْنِي إِلَيْهِ السَّمْعُ تُصْغِي كَأَنَّهُ يُحَقِّقُ قَدْرَ البَسْطِ فِيهِ مِنَ القَبْضِ  
فهي تارة مرضعة تحنو على طفلها وتلقمه ثديها، وهي تارة أخرى طيب حاذق يجس نبض  
مريضه، وهي بين هذا وذاك رفيقة به حريصة على تحسس نبزاته<sup>(٥)</sup>.

وتحدث ابن زمرك عن العود مقابلاً بين حالتين، حالته وهو غصن يغني عليه الطير وحالته وهو  
بين يدي المطربات المغنيات. وفي كلتا الحالتين كان مبعث السرور والطرب، مشيراً إلى براعة العازف  
الفنان<sup>(٦)</sup>، فقال<sup>(٧)</sup>:

(١) شق الكاهن: نحو ٥٥ ق. هـ. كاهن جاهلي من عجائب المخلوقات، وهو من معاصري سطوح الكاهن هذا،  
وكان يستدعيان أحياناً للاستشارة أو تفسير بعض الأحلام، انظر: خير الدين الزركلي، الأعلام، ج ٣، ص ١٤، ١٧٠.

(٢) لسان الدين ابن الخطيب، ديوان لسان الدين ابن الخطيب، ج ١، ص ١٠٨.

(٣) انظر: حسناء الطرابلسي، حياة الشعر في نهاية الأندلس، ص ٥٠٥.

(٤) لسان الدين ابن الخطيب، ديوان ابن الخطيب، ج ٢، ص ٦٣٩.

(٥) انظر: حسناء الطرابلسي، حياة الشعر في نهاية الأندلس، ص ٥٠٥.

(٦) انظر: حسن النوش، التصوير الفني للحياة الاجتماعية، ص ٢٦٦.

(٧) ابن زمرك، ديوان ابن زمرك الأندلسي، ص ٤١١.

وَالْعُودُ فِي كَفِّ النَّدِيمِ بِسِرِّمَا      تُلْقِي لَنَا مِنْهُ الْأَنَامِلُ قَدْ جَهَّرُ  
غَنَى عَلَيْهِ الطَّيْرُ وَهُوَ بَدْوَحِهِ      وَالْآنَ غَنَى فَوْقَهُ ظَبْيٌ أُغْرُ

وصاحب المزمارة العود في مجالس الغناء، فهذا لسان الدين ابن الخطيب يدعو إلى مجلس أنس

بين أنغام العود والمزمار، فقال<sup>(١)</sup>:

أَدْرُهُا يُبَيِّنُ مِزْمَارٍ وَعُودٍ      وَدُونِكَ فَاعْتَنِمُ زَمَنَ السُّعُودِ  
وأشار الشعراء إلى آلة وترية أخرى تذوقها الأندلسيون وهي الرباب، وكان لشدو وأوتارها  
وترجيع أنغامها صدى في نفوس الشعراء، فقد تأثر ابن الخطيب لسماح صوت الرباب إذ ذكرته بهوى  
صاحبه، فقال<sup>(٢)</sup>:

شَرِقْتُ بِعُبْرَتِي لَمَّا تَعَنَّتْ      عَلَى الْأُوتَارِ رَائِقَةُ الشَّبَابِ  
وَمَا اسْتَعْبَرْتُ مِنْ طَرَبٍ وَلَكِنْ      يُذَكِّرُنِي الرَّبَابُ<sup>(٣)</sup> هَوَى "الرَّبَابِ"  
وذكر ابن الجياب آلة موسيقية أخرى وهي المزهر، وقد أصغت الورق لرتته وأخذت تحاكي  
صوته، فقال<sup>(٤)</sup>:

وَالْوُرُقُ قَدْ أَصْغَتْ لِرَبَّةٍ مِزْهَرٍ      فَغَدَتْ تُغَانِي صَوْتَهُ وَتُحَاكِي

(1) لسان الدين ابن الخطيب، ديوان لسان الدين الخطيب، ج ١، ص ٢٨٢.

(2) المصدر نفسه، ج ١، ص ١٥١.

(3) الرباب: آلة وترية شعبية ذات وتر واحد، المعجم الوسيط، مادة: رب. أما الرباب الأخرى فهي اسم المرأة التي

يحبها.

(4) ابن الجياب، ديوان ابن الجياب، ص ٥٨٩.

## - مجالس الشّراب:

مثلت الخمر ومجالسها سمة بارزة من سمات المجتمع الأندلسي، حين صارت إحدى المتع الجوهريّة التي أقبل عليها الكثيرون في ولع حقيقي، يشغلون بها ساعاتهم الطويلة ليلاً أو نهاراً في أسلوب حضري مترف<sup>(١)</sup>.

وقد أبدع شعراء الأندلس القول في مجالس الشّراب، وتفنّوا في وصفها فوصفوا السقاة والندامى والكؤوس، ووصفوا ما انعقد منها بين أحضان الطبيعة وسط الرياض الغناء والبساتين المزهرة.

والخمر وثيقة الصّلة شديدة الارتباط بالطبيعة فلا يأتي شاعر على وصف مجلس شراب إلا ويصوّر الطبيعة برياضها وأشجارها وطيورها وأنهارها. فيصف الشاعر أبو عبد الله القلطوسي<sup>(٢)</sup> مجلس أنس أقيم في الرياض وقد رسمه بصورة رشيقة خفيفة الظل، تماوج فيها الأزاهر، وتغني الطيور، وتمايل الأغصان طرباً وكأنما سقاها الريح كأس الراح<sup>(٣)</sup>. ووسط هذه الرياض الجميلة يدعو الشاعر لاحتساء المدامة ووصل المساء بالصّباح، فيقول<sup>(٤)</sup>:

أَطْلِعْ بِأُفُقِ الرَّاحِ كَأْسَ الرَّاحِ      وَصِلِ الزَّمَانَ مَسَاءَهُ بِصَبَاحِ

(١) انظر: حسن النوش، التصوير الفني للحياة الاجتماعية، ص ٢٨١

(٢) هو محمد بن محمد بن إدريس القضاعي، القلطوسي، وورد في الإحاطة (القلطوسي)، من أهل إشبونة (إسطنبول)، كان إماماً في العربية والعروض والقوافي، مشاركاً في فنون من فقه وقراءات وفرائض، ولي الخطابة ببلده مدة، وقعد فيه للتدريس، ونسخ بيده الكثير، وكان بقطره علماً من أعلام الفضل والإيثار والمشاركة، توفي سنة (٧٠٧هـ). انظر: لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة، ج ٣، ص ٧٥؛ الكتيبة الكامنة، ص ٧٢.

(٣) انظر: محمد سرميني، خصائص الشعر الأندلسي في عصر غرناطة، ص ٧٢.

(٤) لسان الدين ابن الخطيب، الكتيبة الكامنة، ص ٧٢، ٧٣؛ الإحاطة، ج ٣، ص ٧٣.

خُذْهَا عَلَى رَغْمِ الْعَذُولِ مُدَامَةً      تُنْفِي الْهُمُومَ وَتَأْتِي بِالْأَفْرَاحِ  
وَالْأَرْضُ قَدْ لَبَسَتْ بُرُودَ أَزَاهِرِ      وَتَمْنُطَقُ مِنْ نَهْرِهَا بِوَشَاحِ  
وَالجَوُّ إِذْ يَبْكِي بِدُمْعِ غَمَامَةٍ      ضَحِكَ الرِّيعُ لَهُ بِثَغْرِ أَقْحَاحِ  
وَالرَّوْضُ مَرْقُومٌ بِوَشْيِ أَزَاهِرِ      وَالطَّيْرُ تَفْصِحُ أَيَّمَا إِفْصَاحِ  
وَالغُصْنُ مِنْ طَرَبٍ يَمِيلُ كَأَنَّمَا      يُسْقَى بِكِفِّ الرِّيحِ صَرْفَ الرِّاحِ

صاحب الغناء والموسيقى شرب الخمر في كثير من الأحيان، فهذا الشاعر لسان الدين ابن الخطيب يدعو إلى احتساء الخمر بين أنغام العود والمزمار في رياض اكتست ثوبها الأخضر المزركش بالأزهار، وقد انطوى الليل وطلع فجر يوم جديد . وفيه يصور الخمرة وكأنها عرائس بشرية تجلى في الكاسات، موردة الترائب والحدود يخطبها التدامي، ويقدمون الأنس مهراً، وألحان القيان شهوداً<sup>(١)</sup>، يقول<sup>(٢)</sup>:

أَدْرَهَا بَيْنَ مَزْمَارٍ وَعُودِ      وَدُوتِكَ فَاعْتَنِمُ زَمَنَ السُّعُودِ  
فَبَرْدُ الرَّوْضِ مَرْقُومُ الْحَوَاشِي      وَدَرُّ الطَّلِّ مَنْظُومُ الْعُقُودِ  
وَخُذْهَا وَالْبَلَابِلُ فِي خِصَامِ      وَتَجْمُ الصُّبْحِ مُلْتَهَبُ الْوُقُودِ  
عَرَائِسُ فِي حُلَى الْكَاسَاتِ تُجَلَى      مَوْرَدَةَ التَّرَائِبِ وَالْخُدُودِ  
خَطْبَنَاهَا وَكَانَ الْأَنْسُ مَهْرًا      وَالْحَانَ الْقِيَانَ مِنَ الشُّهُودِ

ولم يتخذ الأندلسيون وقتاً بعينه لعقد مجالس لهوهم وشرابهم فمنها ما كان يعقد ليلاً تحت ضوء القمر ومنها ما كان يعقد في الصباح، فيجد الشاعر ابن خاتمة يدعو إلى مباكرة الشراب واحتساء الخمر مجاهرة، فيقول<sup>(٣)</sup>:

(١) انظر: حسناء الطرابلسي، حياة الشعر في نهاية الأندلس، ص ٥٠٤ .

(٢) لسان الدين ابن الخطيب، ديوان لسان الدين ابن الخطيب، ج ١، ص ٢٨٢ .

(٣) ابن خاتمة الأنصاري، ديوان ابن خاتمة، ص ١٠٩-١١٠ .

بَاكَرٌ إِلَى رَشْفِ الثَّغْرِ وَالْكَاسِ      وَاشْرَبْ عَلَى رَوْضِ الزَّهْرِ وَالْأَسِ  
 وَتَسْقِنِيهَا حَمْرَاءَ صَافِيَةً      جَلَّتْ صَفَاءً عَنِ دَرْكِ إِحْسَاسِ  
 وَتَجَلُّهَا جُدُوزٌ<sup>(١)</sup> عَلَى عِلْمٍ      لِأَخِيرِ فِيمَا اخْتَقَى عَنِ النَّاسِ  
 ومن المهن التي اتصلت اتصالاً وثيقاً بمجالس الشراب وعدت شرطاً لتمام انعقادها مهنة

السقاية، ولا شك أن هذه المهنة تتطلب قدراً كبيراً من المهارة والوسامة وحسن الهدام<sup>(٢)</sup>.

وقد صور الشعراء السقاية في المجالس، فهذا الشاعر ابن زمرك يصور ساقياً في أحد المجالس، فهو

جميل تهوى البدر كماله، وتود أن توتى حسنه وجماله، وقد سكر الندامى من يديه ولحظه، فيقول<sup>(٣)</sup>:

مَنْ كَفَّ شَفَافَ تَجَسَّدَ نَوْرُهُ      مِنْ جَوْهَرِ الْآلَاءِ يَهْجُتُهُ بَهْرُ  
 تَهْوَى الْبُدُورُ كَمَالَهُ وَتَوَدُّ أَنْ      لَوْ أُوتِيَتْ مِنْهُ الْمَحَاسِنُ وَالغُرُرُ  
 وَالَى عَلَيْكَ بِهَا الْكُؤُوسُ وَرَبَّمَا      يَسْتَقِيكَ مِنْ كَأْسِ الْفُتُورِ إِذَا قَرُّ  
 سُكْرُ النَّدَامَى مِنْ يَدَيْهِ وَلِحْظِهِ      مُتَعَاقِبٌ مَهْمَا سَقَى وَإِذَا نَظَرُ

كما يتوجب على الساقى السهر على راحة السمار واستجابة طلباتهم، يقول ابن خاتمة<sup>(٤)</sup>:

وَبَاتَ سَاقِي الْحَمِيَّا طَوْعَ سَلُوتِنَا      يُدِيرُ بِالرَّاحِ رَاحًا دَرُّهَا سَالَا

واخذ الأندلسيون سقاية من الجوارى، فلسان الدين ابن الخطيب يدعو إلى احتساء الخمر من

كف جارية ساحرة الجمال تحتال بزيبها وزينتها، فيقول<sup>(٥)</sup>:

خُذْهَا كَمِثْلِ شُعَاعِ الشَّمْسِ صَافِيَةً      حَمْرَاءَ لَا تَسْتَمِعُ فِيهَا إِلَى عَذَلِ

(١) جدوة: قطعة من الجمر، لسان العرب، مادة: جدا .

(٢) انظر: محمد مشهداني، الشعر الاجتماعي في الأندلس من الفتح إلى نهاية عصر الطوائف، ص ١٣٣ .

(٣) ابن زمرك، ديوان ابن زمرك الأندلسي، ص ٤١٠ .

(٤) ابن خاتمة الأنصاري، ديوان ابن خاتمة، ص ٨٢ .

(٥) لسان الدين ابن الخطيب، ديوان لسان الدين ابن الخطيب، ج ٢، ص ٤٩١ .



من كَفَّ سَاحِرَةَ الْأَحَاظِ فَاتَتْهُ حَسَنَاءُ تَخَالُ بَيْنَ الْحَلِيِّ وَالْحُلِّلِ  
إِذَا رَنْتَ أَوْ نَنْتَ أُعْطِفَهَا مَرَحاً فَالظُّبِيُّ فِي نَظَرٍ وَالغُصْنُ فِي مَيْلِ  
كما وصف الشعراء آنية الشراب فذكروا الكأس والإبريق والزق، فهذا ابن زمرك يصف كأساً  
امتلىء خمرًا وكأنه من فضة وقد حوى ذهباً، فقال<sup>(١)</sup>:

إِذَا شَعُشَعْتَ كَفُّ الْمُدِيرِ كُؤُوسَهَا يُبْقِي شُعَاعَ الْكَاسِ فِيهِ خَضَابَا  
تَخَيَّلْتُ أَنَّ الْكَاسَ جَامِدٌ فَضَّةٌ حَوَى ذَهَبًا رَاقَ الْعُيُونِ مُذَابَا  
كما وصف لسان الدين ابن الخطيب الإبريق وهو يملئ الكاسات خمرًا، ويبدو للسَّمَارِ وكأنه  
إمام يطيل السجود<sup>(٢)</sup>، يقول<sup>(٣)</sup>:

تَخَالُ بِهَا الْإِبْرِيقُ عِنْدَ سَجُودِهِ إِمَامًا يُطِيلُ الْمُكْثَ فِي أَحْرَفِ الْحَلْقِ  
أَمَّا الزَّقُّ فَهُوَ وَعَاءٌ مِنْ جِلْدٍ يُوَضَعُ فِيهِ الْخَمْرُ، ذَكَرَهُ ابْنُ الْخَطِيبِ وَهُوَ يَصِفُ أَحَدَ مَجَالِسِ  
الشراب، يقول<sup>(٤)</sup>:

حَلَلْتُ بِهَا وَالْوَرْدُ هَدْيِي مُقَرَّبُ فَمَا كَانَ إِلَّا أَنْ نَحَرْتُ بِهَا زِقِي  
وقد دعا الشعراء إلى احتساء الخمر وهم موقنون أنها مخالفة للشريعة الإسلامية، وقد حرمها  
الله سبحانه وتعالى في قوله: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ  
عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تَفْحَلُونَ ﴾<sup>(٥)</sup>. فقال لسان الدين ابن الخطيب<sup>(٦)</sup>:

(١) ابن زمرك، ديوان ابن زمرك الأندلسي، ج ١، ص ٢٥١.

(٢) انظر: حسناء الطرابلسي، حياة الشعر في نهاية الأندلس، ص ٥٠٢.

(٣) لسان الدين ابن الخطيب، ديوان لسان الدين ابن الخطيب، ج ٢، ص ٦٩٤.

(٤) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٦٩٤.

(٥) المائدة، الآية ٩٠.

(٦) لسان الدين ابن الخطيب، لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة، ج ٢، ص ١٥٧.

خُذْهَا عَلَى رَغْمِ الْفَقِيهِ سُلَافَةً      تَجَلَّى بِهَا الْأَقْمَارُ فِي شَمْسِ الضُّحَى  
وَإِذَا مَرُّوْكَ قَالِي نَشْوَانَهَا      [قُلْ أَنْتَ] بِالْإِخْلَاصِ فَيَمْنُ قَدْ صَحَا  
يَا قُوَّةً دَارَتْ عَلَى أَرْبَابِهَا      فَاهْتَزَّتْ الْأَقْدَامُ مِنْهَا وَاللِّحَا  
إِلَّا أَنْ بَعْضَ الْفُقَهَاءِ أَظْهَرَ شَوْقًا إِلَى التَّمَتُّعِ بِمَبَاهِجِ الْحَيَاةِ الْمُتَوَافِرَةِ فِي إِقْلِيمِهِمُ الطَّبِيعِيِّ السَّاحِرِ لَوْلَا

قيود المنصب واتقاء الناس رياءً . وقد عبّر عن ذلك القاضي أبو البركات البلقيني، فقال<sup>(١)</sup>:

وَعَشِيَّةٌ حَكَمْتُ عَلَيَّ مَنْ تَابَ مِنْهُ      أَهْلُ الْخِلَاعَةِ أَنْ يُعْوَدَ لِمَا مَضَى  
جَمَعْتُ لَنَا شَمْلَ السُّرُورِ بِقِيَّةٍ      جَمَعُوا اللَّذَاتِ شُمْلًا مَرْتَضَى  
مَا عَاقَنِي عَنْ أَنْ أُسِيرَ بِسِيرِهِمْ      إِلَّا الرِّيَاءُ مَعَ الْخِطَابَةِ وَالْقَضَا  
وقد ساعد على هذا الكلف بالشراب عامل نفسي لأناس يعيشون على حافة الخطر -

بعيدين عن مركز الإسلام - يجاورهم أعداء مترصون بهم في الخارج، ويحيط بهم صراع دموي من أجل السلطة والجاه في الداخل . وهم مع ذلك في رخاء اقتصادي يغوي بالمتع والرفاهية، وهم يعيشون في إطار من الطبيعة الساحرة التي تدعولانتها المذات ومن بينها الخمر<sup>(٢)</sup> . فنرى الشعراء يدعون إلى اغتنام الفرص التي تلوح لهم وقضائها في اللهو والمتعة والشراب، وكانهم كانوا يستشعرون النهاية المساوية التي تنتظر مملكتهم .

وكانت مجالس الغناء والشراب - رغم قلة التصوص الشعري التي نظمت في وصفها - بمثابة الإطلالة المشرقة في دواوين شعراء القرنين . فهي تجاور أشعار الاستصراخ وتسجيل النكبات وورثاء المدن، وتبرهن على أنّ حياة الأندلسي في هذه المرحلة الأخيرة من تاريخ الأندلس الإسلامية ما زالت

(١) المقري، فح الطيب، ج٤، ص ١٥٣ .

(٢) انظر: حسن النوش، التصوير الفني للحياة الاجتماعية، ص ٢٨١ .

تحافظ على شيء من طابع المرح والحبور واللامبالاة كما عرف عن الأندلس في عصرها الذهبي . ولكن هذه المجالس - ولعل ندرتها في الدواوين حجة على ذلك - ليست سوى لحظات عابرة مختلصة فبعد أن كانت القاعدة أصبحت الاستثناء . وهي على كل حال تحمل طابع مجالس الأُنس المعهودة من نشدان اللذة الكاملة، ويخيم عليها الإحساس الفاجع بالزّمان والرغبة الملحة في اغتنام اللذة المتاحة قبل فوات الأوان<sup>(١)</sup> .

وفي معرض الحديث عن مجالس الغناء والشراب في غرناطة، تجدر الإشارة هنا إلى المجالس الأخرى التي أقيمت في غرناطة، وحظيت بعناية كبيرة من لدن أهل الأندلس، ووردت أخبارها وأحوالها في المصادر الأندلسية .

ومن هذه المجالس: مجالس الأدب، ومجالس العلم، ومجالس الوعظ، ومجالس السياسة وغيرها .

كانت مجالس الأدب في الأندلس، إلى نهاية عهد ملوك الطوائف، ذائعة عديدة فهي من أكبر مظاهر الفكر والثقافة، ومن أهم مشاهد الجمال والذوق . تصوّر الحياة العقلية والاجتماعية تصويراً دقيقاً، وتدلل على حُسن الذوق ورقة الطبع وصفاء الموهبة<sup>(٢)</sup> . ثم ضعفت العناية بالأدب ومجالسه في عهد المرابطين والموحدين؛ إذ أثرت الحياة السياسية الداخلية والخارجية على الحركة الأدبية . ثم رجع الأمر إلى ما كان عليه في عهد بني الأحمر الذين شجّعوا الأدباء وأثابوا الشعراء<sup>(٣)</sup> . فكان ملوك غرناطة جرياً على سنن ملوك الأندلس السابقين من حماة العلوم والآداب، وكان بلاط غرناطة يسطع بتقاليده الأدبية الزاهرة كما سطعت من قبل قصور ملوك الطوائف . وكان أمراء بني الأحمر أنفسهم في طليعة الأدباء والعلماء<sup>(٤)</sup> .

(١) انظر: حسناء الطرابلسي، حياة الشعر في نهاية الأندلسي، ص ٥١٧-٥١٨ .

(٢) انظر: خفاجي، محمد عبد المنعم، الحياة الأدبية في الأندلس، العصر العباسي الثاني، ط ١، ص ٢٣٩ .

(٣) انظر: المصدر نفسه، ص ٢٥ .

(٤) انظر: محمد عبد الله عنان، نهاية الأندلس، ص ٤٦٠ .

فاشتهر محمد ابن الأحمر مؤسس مملكة غرناطة بحماية العلم والأدب، وكان يخصص أياماً يستقبل فيها الشعراء في قصره ينشدونه قصائدهم<sup>(١)</sup>. كما عرف عن محمد الثاني (الملقب بالفقيه) أنه كان يؤثر العلماء ويعشق مجالس العلم والأدب<sup>(٢)</sup>، وشهد عصر يوسف الأول ازدهاراً واسعاً في الحياة الأدبية. ولم أجد من الشعر ما يفيد في وصف هذه المجالس الأدبية، إلا ما جاء فيها عن أن ابن زمرك كان يجلس في مجالس شعري يحكم فيها بين الشعراء الذين جاءوا ليعرضوا عليه قصائدهم. وهذا يشي بمكانة ابن زمرك فهو شاعر الغني بالله الأول والمبرز. فقد قال ابن زمرك يخاطب شعراء الكتاب وقد عرضوا عليه قصائدهم في بعض صنائع<sup>(٣)</sup> السلطان<sup>(٤)</sup>:

|                                               |                                                    |
|-----------------------------------------------|----------------------------------------------------|
| تَبَارَكَ مَنْ زَانَ الْكَتَابَةَ بِالْعَلَى  | وَجَلَّ مِنْهَا الْأَفْقَ بِالْأَنْجَمِ الزُّهْرِ  |
| فَبَاهَتْ بِمَوْلَاهَا الْإِمَامَ مُحَمَّدٍ   | عَمِيدِ بَنِي الْأَنْصَارِ فَخَرِبَ بِنِي نَضْرٍ   |
| أَكَلَكُمْ جَلَى لَأَبْعَدِ غَايَةَ           | وَأَحْرَزَ خَصْلَ السَّبْقِ فِي حَلْبَةِ الْفَخْرِ |
| وَأَهْدَى إِلَى الْمَوْلَى جَوَاهِرَ نَظْمِهِ | فِيَا مَنْ رَأَى دُرّاً يُعَادُ إِلَى الْبَحْرِ    |
| وَأَتْحَفْتُمْ رَوْضَ السَّمَّاحِ بِزَهْرِهِ  | فَمَا لَكُمْ وَالرَّوْضُ يُتْحَفُ بِالزَّهْرِ      |

كما أقيمت في غرناطة مجالس علم تدارس فيها الحاضرون العلوم المختلفة، وقد ذكر عبد الكريم القيسي مجلس علم أقامه صديقه أبو عبد الله بن رجاء في منزله، فقال<sup>(٥)</sup>:

(١) انظر: لسان الدين ابن الخطيب، اللوحة البدرية، ص ٤٤.

(٢) انظر: المصدر نفسه، ص ٥٠.

(٣) أي الولائم التي يقيمها السلطان بمناسبة عيد أو غيره.

(٤) ابن زمرك، ديوان ابن زمرك الأندلسي، ص ٢٠٢.

(٥) عبد الكريم القيسي، ديوان عبد الكريم القيسي، ص ٩٧.

فِي مَنْزِلِ حَيَّاهُ مُنْسَجِمُ الْحَيَا      وَسَقَاهُ صَوْبَ الدِّيمَةِ الْوُطْفَاءِ<sup>(١)</sup>  
 لَمْ تَتَّخِذْ فِيهِ جَلِيسًا مُؤَنَسًا      غَيْرَ الْعُلُومِ وَسِيرَةِ الْعُلَمَاءِ  
 فَلَكُمْ فَوَائِدُ عِنْدَ ذَلِكَ نَلْتَهَا      جَلَّتْ لِكَثْرَتِهَا عَنِ الْإِحْصَاءِ  
 ظَفَرَتْ يَدَيَّ مِنْ نَيْلِهَا بِأَجَلٍ مِنْ      ظَفَرِي بِقُرْبِ الْغَادَةِ الْحَسَنَاءِ

وعرفت غرناطة مجالس الوعظ؛ إذ يتولى الحديث فيها العلماء والصلحاء حيث يعظون الناس

ويرشدونهم<sup>(٢)</sup>. يقول ابن الخطيب على لسان واعظ<sup>(٣)</sup>:

قَعَدْتُ لِتَذْكَيرٍ وَلَوْ كُنْتُ مُنْصَفًا      لَذَكَّرْتُ نَفْسِي فَهِيَ أَحْوَجُ لِلذِّكْرِ  
 إِذَا لَمْ يَكُنْ مَنِّي لِنَفْسِي وَاعْظُ      فَيَأْتِي شَعْرِي كَيْفَ تَفْعَلُ فِي أُخْرَا

وشهد بلاط السلطان يوسف الثالث مجالس فقهية، يحضرها علماء الشريعة، وكان من

عاداته أن يدعوهم على هامش اجتماعهم إلى وليمة شرعية يقيمها في رياض قصره. وقد قدم لأبيات أشار فيها إلى هذه الوليمة بقوله "ووجهنا ارتجالاً إلى مجلس علماء حضرنا في وليمة شرعية اتخذنا صنعها بالرياض من قصورنا على ما اقتضته عنايتنا بمجلسهم وتحفينا بالمزيد من تأنسهم"<sup>(٤)</sup>.

ثم أنشد<sup>(٥)</sup>:

يَوْمُنَا يَوْمُ صَبَاحِ مُشْرِقِ      فَأَجِيبُوا يَا نُجُومَ الْأَفْقِ  
 يُوسُفِيًّا قَدْ أَقَامَ سُنَّةً      نَظَمْتُ أَشْرَافُهَا فِي نَسَقِ

(١) الوطفاء: الديمة السخ الحثيثة، طال مطرها أو قصر، لسان العرب، مادة: وطف.

(٢) انظر: حسن، علي حسن، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس عصر المرابطين والموحدين، ط ١، مكتبة الخانجي، مصر، ١٩٨٠، ص ٤١٧.

(٣) لسان الدين ابن الخطيب، الصيب والجهام والماضي والكهام، ص ٥٤١.

(٤) يوسف الثالث، ديوان الملك يوسف الثالث، ص ١٤٨.

(٥) المصدر نفسه، ص ١٤٨.

في رياض حُسْنِهَا مُتَّحِدٌ      شَائِعٌ فِي مَغْرِبٍ وَمَشْرِقِ  
وَوُفُودُ الْمَلِكِ قَدْ حَفُوا بِهِ      دُرَّرَ الْعَقْدُ وَتَوَاجَعَ الْمَفْرَقِ  
هذه يوم احتفال المنتدى      يا حَمَاةَ الدِّينِ أَسْنَى خَلْقِي  
وفي مجلس الغني بالله كان يجتمع القوم للحديث في الأمور السياسيّة، ويذكرون فيه الأمثال  
والحكم، يقول ابن الخطيب واصفاً هذا المجلس<sup>(١)</sup>:  
وَلْيَكْثِرِ الْقَوْمُ ذِكْرًا فِي مَجَالِسِهِ      مِنْ السِّيَاسَةِ وَالْأَمْثَالِ وَالْحِكْمِ

### الخروج للنزهة:

هام الأندلسيون بطبيعة غرناطة الغناء وبمحاسنها، وحرصوا على ارتياد رياضها  
وساكنها .

وقد شكّلت عادة الخروج إلى النزهة عند أهل غرناطة مناسبة لتوثيق أو أصر الصداقة  
والحبة بين الأهل والأقارب والأصدقاء . ففي بروزهم إلى المروج والمتنزهات مع عوائلهم<sup>(٢)</sup> ما يخلق  
التواصل بينهم ويجدد تماسكهم<sup>(٣)</sup> .

واشتهرت غرناطة بكثرة رياضها وساكنها وجناتها . ومن بينها موقع يدعى "عين الدّمع"<sup>(٤)</sup>  
الذي يطل على سفح جبل الفخار<sup>(٥)</sup>، ويتمتع باعتدال هوائه، وخضرة بساكنها، وعذوبة مياهه، حتى  
غدا هدفاً للنزهة الشائقة أيام الربيع وليالي الصيف .

(١) لسان الدين ابن الخطيب، ديوان لسان الدين ابن الخطيب، ج٢، ص ٥٣٢ .

(٢) انظر: لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة، ج١، ص ١٣٨؛ اللوحة البدرية، ص ٤٠ .

(٣) انظر: محمد المشهداني، الشعر الاجتماعي في الأندلس من الفتح إلى نهاية عصر الطوائف، ص ٩١ .

(٤) انظر: المقرئ، نفع الطيب، ج١، ص ١٧٦ .

(٥) انظر: لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة، ج١، ص ١٢١ .

وقد أكثر الشعراء من ذكر عين الدمع . ولعل أحسن ما قيل فيه قول أبي البركات البلقيعي الذي

يتشوق فيه لعين الدمع، ويذكر معاهد أنس سبقت له فيه، ويصف حسنه<sup>(١)</sup>. يقول<sup>(٢)</sup>:

الأخِلْ دَمْعَ الْعَيْنِ يَهْمِي بِمَقْلَتِي      لَفَرْقَةَ عَيْنِ الدَّمْعِ وَقَفُّ عَلَى الدَّمِ  
فَلَمَاءٍ فِيهِ رَنَّةٌ شَجَنِيَّةٌ      كَرَنَّةٌ مَسْلُوبِ الْفُؤَادِ مَتِيَمِ  
وَللطيرِ فِيتته نغمةٌ مُوصِلِيَّةٌ      تُذَكِّرُنِي عَهْدَ الصَّبَا الْمُتَقَدِّمِ  
وَللْحُسْنِ أَقْمَارُ بِهِ يوسيفِيَّةٌ      تَرُدُّ إِلَى دِينِ الْهَوَى كُلِّ مُسْلِمِ

ومن المتنزهات أيضاً "حور مؤمل" وهو سيد متنزهات غرناطة<sup>(٣)</sup> وأجملها

وأظرفها<sup>(٤)</sup>. يقول فيه أبو جعفر بن أبي مروان بن سعيد<sup>(٥)</sup>:

عَرِّجْ عَلَى الْحُورِ وَخَيْمِ بِهِ      حَيْثُ الْأَمَانِي ضَافِيَاتُ<sup>(٦)</sup> الْجَنَاحِ<sup>(٧)</sup>

(1) انظر: أبو البركات البلقيعي، شعر أبي البركات، ص ٧٤.

(2) المقرئ، فحح الطيب، ج ٥، ص ٤٨١.

(3) انظر: المقرئ، فحح الطيب، ج ١، ص ٤٧٥.

(4) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج ٢، ص ١٠٣.

(5) هو أبو جعفر أحمد بن عبد الملك بن سعيد العنسي، شاعر ووزير، استوزره عثمان بن عبد المؤمن ملك غرناطة، واستنابه أموره، وشى به أحد أصحابه عند الملك، فعزله أسوأ عزل، اشترك هو وعثمان في هوى حفصة الشاعرة، وكان عثمان أسود اللون، فبلغه أن أبا جعفر قال لحفصة: ما تحبين في ذلك الأسود وأنا أقدر أن أشتري لك من سوق العبيد عشرة خيراً منه؟ فأسرّها في نفسه إلى أن فرّ أخوه عبد الرحمن بن سعيد إلى ملك شرق الأندلس، فوجد له بذلك سبباً إلى الإيقاع بأبي جعفر، فضرب عنقه، وكان ذلك سنة (٥٥٠هـ). انظر:

ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج ٢، ص ١٦٤؛ المقرئ، فحح الطيب، ج ٤، ص ١٧٩.

(6) ضافيات: واسعة وكثيرة. لسان العرب، مادة: ضفا.

(7) المقرئ، فحح الطيب، ج ٣، ص ٥١٧.

ومنها كذلك متنزه نجد المطل على بسيط غرناطة<sup>(١)</sup>، ومتنزه السبيكة الموجود خارج

المدينة<sup>(٢)</sup>، وفيهما قال ابن زمرك<sup>(٣)</sup>:

يَا مَنْ يُحْنُ إِلَى نَجْدٍ<sup>(٤)</sup> وَنَادِيهَا      غَرْنَاطَةَ قَدْ ثَوَّتْ<sup>(٥)</sup> نَجْدُ بَوَادِيهَا  
قَفَّ بِالسَّبِيكَةِ وَأَنْظُرْ مَا بِسَاحَتِهَا      عَقِيلَةٌ وَالْكَثِيبُ<sup>(٦)</sup> الْفَرْدُ جَالِيهَا

وذكر ابن سعيد من متنزهات غرناطة: اللشنة، والزاوية، والمشايخ<sup>(٧)</sup>.

وكان من عادة أهل غرناطة دعوة الأصدقاء والخلائن إلى نزهة في بساتين غرناطة ورياضها.

فهذا الشاعر أبو القاسم بن قطبة<sup>(٨)</sup> يدعو أحد أصدقائه لنزهة في عين الدمع حيث الماء والخضرة،

فيقول<sup>(٩)</sup>:

وَمِلْ بِنَا نَحْوَعَيْنِ الدَّمْعِ نَشْرُهَا      حَيْثُ السَّرُورُ بِكَاسِ الْأَنْسِ يَسْقِينِي  
حَيْثُ الْمُنَى وَفَنُونَ اللَّهْوَ رَاتَعَةٌ      وَالطَّيْرُ مَنْ طَرَبَ فِيهَا تَنَاجِينِي

(١) انظر: ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج ٢، ص ١٠٥.

(٢) المقرئ، فح الطيب، ج ٢، ص ٦٧٨.

(٣) المصدر نفسه، ج ٧، ص ١٧١.

(٤) نجد: إقليم من الجزيرة العربية بين الحجاز والعراق، أكثر الشعراء القول فيه لطيب ترابه، وجودة هوائه، وحسن نباته،

المعجم الوسيط، مادة: نجد.

(٥) ثوت: ثوى بالمكان وفيه: أقام واستقر، المعجم الوسيط، مادة: ثوى.

(٦) الكثيب: الرمل المستطيل المحدود، المعجم الوسيط، مادة: كَثَب.

(٧) ابن سعيد، المغرب في حلى المغرب، ج ٢، ص ١٠٣.

(٨) هو محمد بن أحمد بن قطبة الدوسي، يكنى أبا القاسم من أهل غرناطة، شاعر، كاتب حسن الخط، ذاكر

للتاريخ والأخبار، ارتسم في الديوان، ثم انتقل إلى الكتابة. انظر: لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة، ج ٢،

ص ٢٥٠.

(٩) لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة، ج ١، ص ١٢٣.



وَجَدُولُ الْمَاءِ يَحْكِي فِي أَجْتَتِهِ      صَوَارِمًا جُرِدَّتْ فِي يَوْمِ صَفِينِ  
وَأَعْيُنُ الزَّهْرِ فِي الْأَغْصَانِ جَاحِظَةٌ      كَانَهَا يَهْوَى الْغَزْلَانِ تَغْرِينِي  
مما تقدم تبين لنا شغف الأندلسي بالطبيعة والرياض، وحرصه على الخروج إليها وقضاء  
أطيب الأوقات بين المروج والمراع لإدخال البهجة والسرور على قلبه .

### الألعاب:

عرف الغرناطيون أنواعاً مختلفة من الألعاب وجاء الشعر الأندلسي وعرف ببعض هذه  
الألعاب التي مارسها أبناء غرناطة طلباً للتسلية ورغبة في ترقية الوقت .  
ومن هذه الألعاب: الفروسية وسباق الخيل، ومصارعة الثيران، والطلبة، والشطرنج،  
والترد، والسباحة وغيرها .

- سباق الخيل: كانت ألعاب الفروسية وسباق الخيل من الألعاب الرياضية المفضلة لدى أهل  
غرناطة لكونها أبرز مظاهر الرجولة<sup>(١)</sup> . وقد شجع أمراء غرناطة وسلاطينها هذه الرياضة، وكان  
منهم من يحترف الفروسية، فقد ذكر ابن الخطيب أن السلطان محمداً الرابع كان "أفرس من جال على  
صهوة، لا تقع العين - وإن غصت الميادين - على أدرب بركض الجياد منه"<sup>(٢)</sup> .

وقد وصف ابن زمرك سباقاً للخيل حضره السلطان محمد الخامس، وأبدع في وصفه، فقال<sup>(٣)</sup>:

لَكَ الْجِيَادُ إِذَا تَجَرِي سَوَابِقُهَا      فَلِلرِّيَاحِ جِيَادٌ مَا تُجَارِيهَا  
إِذَا انْبَرَتْ يَوْمَ سَبْقٍ فِي أَعْنَتِهَا      تَرَى الْبُرُوقَ طَلَاحاً<sup>(٤)</sup> لَا تُبَارِيهَا

(١) انظر: يوسف فرحات، غرناطة في ظل بني الأحمر، ص ١٣٧ .

(٢) لسان الدين ابن الخطيب، اللوحة البدرية، ص ٩٠ .

(٣) المقرئ، نفع الطيب، ج ٧، ص ١٧٤؛ وانظر أيضاً، ج ٧، ص ٢٠١ .

(٤) طلاحاً: المعبي من الإبل وغيرها، لسان العرب: مادة: طلع .

مِنْ أَشْهَبٍ قَدْ بَدَأَ صُبْحًا تَرَاخُلَهُ      شُهْبُ السَّمَاءِ فَإِنَّ الصُّبْحَ يُخْفِيهَا  
 أَوْ أَشْقَرَ مَرَّعَنْ شُقْرِ البُرُوقِ وَقَدْ      أَبْقَى لَهَا شَفَقًا فِي الجَوِّ يُنْبِيهَا  
 أَوْ أَحْمَرَ جَمْرَةً فِي الحَرْبِ مُتَقَدُّ      يَعْلُو لَهَا شَرْرٌ مِنْ بَأْسِ مُذْكِهَا  
 أَوْ أَدْهَمَ مَلءَ صَدْرِ اللَّيْلِ تُنْعَلُهُ      أَهْلَةٌ فَوْقَ وَجْهِ الأَرْضِ يُبْدِيهَا  
 أَوْ أَصْفَرَ بِالعَشِيَّاتِ ارْتَدَى مَرَحًا      وَعَرَفَهُ بِمَادِي اللَّيْلِ يُنْبِيهَا

ينقل لنا ابن زمرك في هذه الأبيات صورة حيّة من ساحة السّباق التي جمعت في رحابها  
 مجموعة من الجياد يمتاز كل منها بلون خاص وسمات معيّنة في مظهره وقوته فيصفها واحداً  
 واحداً.

- مصارعة الثيران: ومن ألعاب الفروسية انتشرت في غرناطة مصارعة الثيران التي كانت تُقام  
 في حلبات أو ساحات متعدّدة مثل ساحة باب الرملة وساحة باب الطوايين . وكانت لمصارعة الثيران  
 في غرناطة طريقتان:

\* الطريقة الأولى: يتم فيها الصّراع بين الثور والأسد<sup>(1)</sup>.

\* الطريقة الثانية: كانت تتم بين الثور والإنسان، وهي منتشرة بين عليّة القوم من أهل غرناطة .  
 وقد وصفها لسان الدين ابن الخطيب في إحدى قصائده التي يمدح فيها السّطان الغني بالله . وهي أن  
 يطلق الثور (أو البقر الوحشي كما يسميه) ثم تطلق عليه كلاب اللان المتوحّشة فتأخذ في نهش جسمه  
 وأذنيه متعلّقة به كالأقراط . وهذا العمل التمهيدي كان الغرض منه هو الحدّ من قوّة الوحش وتهذيب  
 حركته، وهو ما يقوم مقامه اليوم عمل رماة السهام وطاعن الرمح تمهيداً للقاء المصارع . وكان المصارع

<sup>(1)</sup> انظر: يوسف فرحات، غرناطة في ظل بني الأحمر، ص ١٣٧ .

الغرناطي كما يصفه ابن الخطيب فارساً مغواراً يصارع الثور وهو ممتط فرسه المدرب ثم يقتله في النهاية برمح<sup>(١)</sup>. يقول ابن الخطيب واصفاً هذه الطريقة<sup>(٢)</sup>:

و طَارَدَتْ مَقْدَامَ الصُّوَارِ بِجَارِحٍ      يُصَابُ بِهِ مِنْهُ الصَّمَاخُ أَوْ الْإِبْطُ  
مَتِينُ الشَّوْافِي رَأْسَهُ سَمَّهَرِيَّةً      مَقْصَرَةٌ عَنْهُنَّ مَا يُنْبِتُ الْخَطُّ  
وَقَدْ كَانَ ذَا تَاجٍ فَلَمَّا تَعَلَّقَا      بِسَامِعَيْهِ زَانَهُ مِنْهُمَا قُرْطُ

وغالباً ما تقام هذه اللعبة في احتفالات غرناطة بأعيادها وبتصاراتها العسكرية، وهي من الألعاب المفضلة في إسبانيا وبعض بلدان أمريكا اللاتينية<sup>(٣)</sup> ولا تزال موجودة إلى اليوم.

- رياضة الطبلية<sup>(٤)</sup>: تعد رياضة الطبلية عند الأندلسيين إحدى ألعاب الفروسية، التي من غاياتها التدريب على الرماية من أجل الاستعداد للجهاد<sup>(٥)</sup>.

وقد وصف الشعراء هذه الرياضة ضمن قصائد مطولة في وصف الاحتفالات التي كان يقيمها ملوك بني الأحمر في المناسبات الوطنية والاجتماعية والدينية المختلفة في غرناطة<sup>(٦)</sup>.

وتألف هذه الرياضة من عناصر ثلاثة هي: الهدف والرامي وما يقذف به الهدف. وقد وصف الشعراء شكل الهدف وطريقة وضعه في الهواء، والعصي أو السهام التي يقذف بها، وهيئة اللاعبين الذين يقذفون الهدف بالعصي<sup>(٧)</sup>.

(1) لسان الدين ابن الخطيب، مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب، هامش ص ٦.

(2) المقرئ، فح الطيب، ج ٦، ص ٤٦٢.

(3) انظر: يوسف فرحات، غرناطة في ظل بني الأحمر، ص ٣٧.

(4) جرّار، صلاح، رياضة "الطبلية" في الشعر الأندلسي في عصر بني الأحمر، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، بدون

مجلد، العدد ٥٠، السنة العشرون، عمان ١٩٩٦م، ص ٢٩-٦٢.

(5) انظر: المصدر نفسه، ص ٥٠.

(6) انظر: المصدر نفسه، ص ٣٠.

(7) انظر: المصدر نفسه، ص ٣٠.

يشكل الهدف أساس هذه الرياضة وتتجه أكثر الأبيات التي تصف هذه الرياضة إلى وصف الهدف، فهو هدف خشبي يُجعل في مكان مرتفع من الفضاء<sup>(١)</sup>، كما جاء في قول لسان الدين ابن الخطيب<sup>(٢)</sup>:

وطاعنة نحر السكاك أعانها على الكون عرق واشج وحى سبط  
وكان الهدف الخشبي هذا يصنع على شكل أسطوانة مدببة الرأس ليساعدها على الانطلاق في الفضاء، كما كانت تجوف بحيث تبقى كالأسطوانة الفارغة أو كالطبلة<sup>(٣)</sup>. وكان يضيق وسط الهدف بحيث يبدو وكأن له خصرًا. وقبل إطلاقه إلى الفضاء كان يزين بالحلي والقماش الملون<sup>(٤)</sup>، كما وصفه ابن زمرك، فقال<sup>(٥)</sup>:

تطور حالات أتى في ضرورها بأواع حلي تستقر الغوانيا  
فجبل برجليها وشاح بخصرها وتاج إلى ما حل منها الأعلى  
أما السهام التي كانت تطلق على الهدف فكانت عصياً رقيقة وقصيرة ذات رأس معدني مدبب. وقد شبهها ابن الخطيب بالحيات الصغيرة من جهة الطول والسّمك والرأس المدبب، وشبه الهدف بالثعبان الضخم الذي يتلع هذه الحيات الصغيرة<sup>(٦)</sup>، فقال<sup>(٧)</sup>:

تلّف حيات العصي إذا هوت فثعبانها لا يستقيم له سرط

(١) انظر: صلاح جرار، رياضة الطبلة في الشعر الأندلسي، ص ٣٠-٣١.

(٢) المقرئ، نفع الطيب، ج ٦، ص ٤٦٢.

(٣) انظر: صلاح جرار، رياضة الطبلة في الشعر الأندلسي، ص ٣٣.

(٤) انظر: المصدر نفسه، ص ٣٧.

(٥) المقرئ، نفع الطيب، ج ٧، ص ١٩٤.

(٦) انظر: صلاح جرار، رياضة الطبلة في الشعر الأندلسي، ص ٤٣.

(٧) المقرئ، نفع الطيب، ج ٦، ص ٤٦٢.

وبعد أن يندفع الهدف إلى الفضاء يبدأ دور الرّماة (اللاعبين) إذ يتبعون الهدف بالعصي (السهام) الكثيرة<sup>(١)</sup>. فإذا أصاب الرامي الهدف وكسره، وبكسره تدخل العصا إلى جوف الهدف يعد ذلك فوزاً عظيماً<sup>(٢)</sup> كما وصفه ابن الحاج النميري<sup>(٣)</sup>:

مِنَ الطُّبَلَاتِ اللّائِي مَا زَالَ كَسْرُهَا لَدَى البَطْلِ الأَحْمَى يُعَدُّ مِنَ الجَبْرِ  
وإذا أصاب الهدف دون كسره ودون دخول السهم في جوفه، يعد ذلك نقطة لصالح الرامي لكنها ليست في المستوى الأول<sup>(٤)</sup>، كما يراه ابن الحاج النميري؛ إذ يقول<sup>(٥)</sup>:

وَصَارُهَا يَوْمَ الوُفُودِ عُقُوقُهُ وَإِنْ كَانَ لَا يَخْفَى يُعَدُّ مِنَ البِرِّ  
أما إذا لم يكسر الهدف ولم يصب ففي هذه الحالة يخسر الرامي، وفي هذه الحالة يبدو الهدف وكأنه يزري بالعصي التي ترمى عليه<sup>(٦)</sup>. فيقول ابن الحاج النميري<sup>(٧)</sup>:

وَأَنحَوْ عَلَيْهَا بالعِصِي كَأَنَّهَا بُرُوقٌ وَلَكِنْ بالبُرُوقِ غَدَتْ تُزْرِي  
وقد اختلفت المصادر في تسمية هذه الرياضة، فبعضها يسميها (الطلبة) وبعضها الآخر يسميها (الطلبة)<sup>(٨)</sup>. فقد قدّم إسماعيل بن يوسف ابن الأحمر لقصيدة لابن زمرك إذ يقول فيها إن الشاعر قد "أجاد في وصف الجند والجرد والطلبة وغرائب الأوضاع"<sup>(٩)</sup>.

(1) انظر: صلاح جرار، رياضة الطلبة في الشعر الأندلسي، ص ٤١.

(2) انظر: المصدر نفسه، ص ٤٦.

(3) ابن الحاج، إبراهيم بن عبد الله النميري (ت ٧٦٨هـ / ١٣٦٧م)، ديوان إبراهيم بن الحاج النميري، تقديم وضبط عبد الحميد عبد الله الهرامة، أبوظبي، ٢٠٠٣م، ص ١١١.

(4) انظر: صلاح جرار، رياضة الطلبة في الشعر الأندلسي، ص ٤٧.

(5) ابن الحاج، ديوان إبراهيم بن الحاج النميري، ص ١١١.

(6) انظر: صلاح جرار، رياضة الطلبة في الشعر الأندلسي، ص ٤٧.

(7) ابن الحاج، ديوان إبراهيم بن الحاج النميري، ص ١١١.

(8) انظر: صلاح جرار، رياضة الطلبة في الشعر الأندلسي، ص ٤٨.

(9) المقرئ، فح الطيب، ج ٧، ص ١٨٤.

أمّا لسان الدين ابن الخطيب فإنه يطلق عليها اسم الطبلبة وذلك في تقديمه لقصيدة له، إذ يقول مشيراً إلى سلطانه إنه "استركب الفرسان لمزاملة الهدف الخشبي المتخذ في الجوا المسمّى بالطبلبة"<sup>(١)</sup>. ويرى الدكتور صلاح جرّار أن الاسم الصحيح هو (الطلبة) وذلك لورودها في الشعر على هذه الصورة. فقد ذكرها ابن الحاج النميري في مقطوعته<sup>(٢)</sup>، إذ يقول<sup>(٣)</sup>:

وقد صعدت في الجوّ آية طبلبة      تحاكي عمود الفجر أسفر للسفر  
ويقول<sup>(٤)</sup>:

من الطبلات اللآتي ما زال كسرّها      لدى البطل الأحمى يعدّ من الجبر  
- السباحة: وغرناطة ذات الأنهار والمياه الكثيرة كانت لا بد أن تهيم البيئة الطيبة لتعلم فنّ السباحة وممارستها، بيد أننا لم نقع على أشعار كثيرة تعبّر عن هذا الضرب من الرياضة<sup>(٥)</sup>. ومن هذه الأبيات القليلة التي تصوّر السباحين أبيات لابن خاتمة الأنصاري التي أنشأها للحديث عن غلام جميل بارع في السباحة، فيقول<sup>(٦)</sup>:

ظبي تجرد عن قمصه      وقد زرّ للحسن أضفى قميص  
وأقبل يسبح في الماء تيهًا      فيبّدو ويخفي كمنى عويص  
كان محيّاه بدر سحاب      فطورا يلوح وطورا يغوص

(1) لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة، ج٤، ص٤٧٨؛ المقرئ، نفع الطيب، ج٦، ص٤٥٩ (وفي النسخ: الطلبة).

(2) انظر: صلاح جرّار، رياضة الطلبة في الشعر الأندلسي، ص٤٨.

(3) ابن الحاج، ديوان إبراهيم بن الحاج النميري، ص١١٠.

(4) المصدر نفسه، ص١١١.

(5) انظر: حسن النوش، التصوير الفني للحياة الاجتماعية، ص٣٢٢.

(6) ابن خاتمة الأنصاري، ديوان ابن خاتمة، ص١٣٦.

ودرج في غرناطة من الألعاب ما يشبه "السيرك" في زماننا الحاضر حيث يجتمع الناس في مكان معين لمشاهدة مجري وهو يتلاعب على الحبال صاعداً ونازلاً في الفضاء . يقول لسان الدين ابن الخطيب في وصف هذا البحري<sup>(١)</sup>:

وَبَحْرِي تَلَاعَبَ فِي شَرِيْطٍ      وَجِيءَ الْغِفْلُ مُتَّصِلَ الصُّمُوتِ  
تَدَكَّى وَارْتُقِيَ وَسَمَا وَأَهْوَى      فَأَعْجَبَ فِي التَّمَا سُكِّ وَالثُّبُوتِ  
فَقُلْنَا إِنْ يَكُنْ بَشَرًا سَوِيًّا      ففِيهِ غَرِيْزَةٌ مِنْ عُنْكَبُوتِ

وَعَرَفَ أَهْلَ غَرْنَاطَةَ مِنَ الرِّيَاضَاتِ الْبَدِيَّةِ أَيْضًا رِيَاضَةَ الصُّوْلَجَانِ وَهِيَ لَعْبَةٌ تَمَارَسُ بِضَرْبِ الْكُرَةِ بَعْضًا خَاصَّةً مِنْ فَوْقِ ظَهْرِ الْجِيَادِ<sup>(٢)</sup>، إِلَّا أَنِّي لَمْ أَجِدْ فِي الشَّعْرِ مَا يَعْرِفُنَا بِهَا .

- الشطرنج والنرد: عرف الغرناطيون من الألعاب والرياضات الراقية لعبة الشطرنج . وهي لعبة لها طابع عسكري، سلاح اللاعب فيها أعمال الفكر واستجماع البديهة . أو كما يقول الشاعر أبو زيد بن العمّة، بتعبير آخر<sup>(٣)</sup>:

هَلُمَّ إِلَى تَدْيِيرِ جَيْشِيْنَ جُمَعًا      رَخَاخٌ<sup>(٤)</sup> وَأَفْيَالٌ وَجَرْدٌ سَوَابِحُ  
تَكْبُرْنَ عَنْ حَمْلِ السِّلَاحِ إِلَى الْوَعَى      فَأَرْمَا حَهَا الْبَابُنَا وَالْقَرَائِحُ<sup>(٥)</sup>

راج اللعب بالشطرنج في الأندلس منذ القرن الثالث الهجري، وقد أقبل ملوك بني الأحمر والأعيان على الشطرنج فاشتهر به السلطان يوسف الثاني<sup>(٦)</sup> .

(1) لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة، ج٤، ص ٥١٥ .

(2) انظر: حسن النوش، التصوير الفني للحياة الاجتماعية، ص ٣٢٠ .

(3) المصدر نفسه، ٣١٦ .

(4) رخاخ: من قطع الشطرنج، المعجم الوسيط، مادة: رخ .

(5) ابن دحية، أبو الخطاب، عمر بن حسن (ت ٦٣٣هـ / ١٢٣٦م)، المطرب من أشعار أهل المغرب، تحقيق إبراهيم الأبياري وحامد عبد المجيد، وأحمد أحمد بدوي، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩٥٤، ص ٧٥ .

(6) انظر: يوسف فرحات، غرناطة في ظل بني الأحمر، ص ١٣٨ .

وكثيراً ما استلهم الشعراء لعبة الشطرنج في تصوير ما يشغلهم من الأحداث الكبيرة. فهذا لسان الدين ابن الخطيب يصور تحركات السلطان ابن الأحمر العسكرية من فاس البيضاء إلى غرناطة الحمراء في سبيل الملك وكأنها قطع الشطرنج وأرضيته الآمنة<sup>(١)</sup>. يقول<sup>(٢)</sup>:

وَلَمَّا حَثَّتِ السَّيْرَ وَاللَّهُ حَاكِمٌ      لَمُلْكِكَ فِي الدُّنْيَا بَعِزٌّ وَفِي الأُخْرَى  
حَكَى فَرَسَ الشَّطْرَنْجِ طَرْفُكَ لِأَيْرَى      يُنْقَلُ مِنْ بَيْضَاءَ إِلَّا إِلَى حُمْرًا

كما استلهم ابن الخطيب لعبة الشطرنج في وصف السماء في ليلة صار القمر فيها بدراً ومن حوله كوكب الزهرة والنجوم الكثيرة، فقال<sup>(٣)</sup>:

تَعَاوَرَ القُطْبَانُ مِنْهَا رُقْعَةٌ      وَكَلَاهُمَا فِيهَا لُغُوبٌ حَاذِقُ  
الزُّهْرَةُ الزُّهْرَاءُ فَرَزَانٌ<sup>(٤)</sup> بِهَا      وَالبَدْرُ شَاهٌ<sup>(٥)</sup> وَالنَّجُومُ بِيَادِقٌ<sup>(٦)</sup>

والفرزان والشاه والبيادق هي أدوات لعبة الشطرنج.

ومارس أهل غرناطة ألعاب الحظ كالنرد والرّهان على أنواعه<sup>(٧)</sup>، وعلى الرغم من شيوعها في غرناطة لم أجد من النصوص الشعرية ما يفيد التعريف بها. كما مارس الغرناطيون ألعاب الميسر سرّاً لأنّ الدين يجرّمه، وكان همّ المحتسب مراقبة النوادي التي يقصدها المقامرون وملاحظة مروجي الألعاب الممنوعة<sup>(٨)</sup>.

(١) انظر: حسن النوش، التصوير الفني للحياة الاجتماعية، ص ٣١٩.

(٢) لسان الدين ابن الخطيب، ديوان لسان الدين ابن الخطيب، ج ١، ص ٤٠٨.

(٣) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٧١٣.

(٤) الفرزان: من لعب الشطرنج، أعجمي معرب، وجمعه فرازين، لسان العرب، مادة: فرزن. وهي في الشطرنج:

الملكة كما ورد في ديوان لسان الدين ابن الخطيب، هامش ص ٧١٣ الجزء الثاني.

(٥) شاه: الملك (فارسية) ومنه الشاه المستعمل في رقعة الشطرنج، المعجم الوسيط، مادة: شاه.

(٦) بيادق: جمع بيدق، الجندي الراجل، المعجم الوسيط، مادة: بيدق.

(٧) انظر: يوسف فرحات، غرناطة في ظل بني الأحمر، ص ١٣٨.

(٨) انظر: المصدر نفسه، ص ١٣٧.



## الصيد:

إن رحلات الصيد قديمة قدم الحياة على الأرض، فقد مارس الإنسان الصيد منذ دهور سحيقة باحثاً عن قوته، أو مدافعاً عن نفسه، أو ناشداً الرياضة والمتعة<sup>(١)</sup>.

وكان الصيد بالنسبة إلى الملوك والقواد والولاة لونا من ألوان الحرب في زمن السلم، يتمرّسون به على ركوب الخيل فيلبنُ معاطفهم ويشحذ هممهم، ويعلي عزائمهم، ويجليهم بالصبر والأناة، ويعلمهم الاحتيال على الخصم، ويمرّن خيلهم بالطراد، ثم إنه يذهب همومهم ويكفهم عن الحرمات ويتيح لهم اللذة والمتعة<sup>(٢)</sup>.

وهو بالنسبة إلى غير الملوك سبيل من سبل العيش الكريم، ووسيلة إلى كفا النفس عما في أيدي الناس<sup>(٣)</sup>.

وبقيت رحلة الصيد محتفظة في الأندلس بكل متعتها، وبكل ما لها من شأن كما كان الحال في المشرق<sup>(٤)</sup>. وكان الخروج إلى الصيد من أحد وسائل التسلية لدى السلاطين، فقد ذكر ابن الخطيب أن السلطان محمداً الرابع "كان مغرماً بالصيد"<sup>(٥)</sup>.

---

(١) انظر: الصالحي، عباس مصطفى، الصيد والطرْد في الشعر العربي حتى نهاية القرن الثاني الهجري، المؤسسة الجامعية، بيروت، ١٩٨١م، ص ١٤.

(٢) انظر: باشا، عبد الرحمن رأفت، شعر الطرد إلى نهاية القرن الثالث الهجري، ط ١، دار النفائس، بيروت، ١٩٧٤م، ص ١٣.

(٣) انظر: المصدر نفسه، ص ١٤.

(٤) انظر: حسن النوش، التصوير الفني للحياة الاجتماعية، ص ٣٢٣.

(٥) لسان الدين ابن الخطيب، اللوحة البدرية، ص ٩٠.

خرج السلاطين إلى الصيد ينشدون المتعة والتسلية في مواكب حافلة ومعهم الجياد والكلاب  
والأمراء والقادة<sup>(١)</sup>. وقد سجل شعراء غرناطة لسلاطينهم وصفاً موفقاً لهذه الطرديات. ومنها  
طردية لابن زمرك يصف فيها رحلة صيد أعملها سلطانه ورمى فيها ثلاثة ثيران، فيقول<sup>(٢)</sup>:

لِللّهِ رَحَلْتُكَ الَّتِي نَلْنَا بِهَا      أَجْرَ الْجِهَادِ وَنُزْهَةَ الْأَبْصَارِ  
حَتَّى الْفَلَاةِ تُقِيمُ يَوْمَ وَرَدْتَهَا      سُنْنَ الْقَرَى بِثَلَاثَةِ الْأَثْوَارِ

وأطلق فيها طير العقاب ليصطاد من وحوش الأرض وطيور السماء، فيقول ابن زمرك<sup>(٣)</sup>:

وَسَرْتُ عُقَابُ الْجَوِّ تُهْدِيكَ الَّذِي      تَصْطَادُ مِنْ وَحْشٍ وَمِنْ أَطْيَارِ

وفي هذه الرحلة يحرز السلطان لذة مطاردة الحيوانات التي استئفرت لكي تعدو الجياد

وراءها، ويصف ابن زمرك هذا المشهد، فيقول<sup>(٤)</sup>:

عَرَضْتُ بِهِ الْمُسْتَفْرَاتِ كَأَنَّهَا      خَيْلُ عَرَابٍ جُلْنَ فِي مِضْمَارِ  
أَتْبَعْتَهَا غُرَرَ الْجِيَادِ كَوَأَكْبَا      تُنْقَضُ رَجْمًا فِي سَمَاءِ غُبَارِ

ويميطي السلطان فرساً سريعة تمكنه من اللحاق بالثور الذي يتقدم الجياد ويتدفق مسرعاً إلى

أن يلحق به ويضربه برمحه، ويتركه مخضباً بدمائه، ثم يأتي رفاق السلطان وينهاون على الثور برماحهم

وكانها طيور أوت إلى أوكارها<sup>(٥)</sup>:

(١) انظر: محمد سرميني، خصائص الشعر الأندلسي في عصر غرناطة، ص ٦٣.

(٢) المقرئ، فح الطيب، ج ٧، ص ١٥٦.

(٣) المصدر نفسه، ج ٧، ص ١٥٦.

(٤) المصدر نفسه، ج ٧، ص ١٥٦.

(٥) المصدر نفسه، ج ٧، ص ١٥٦-١٥٧.

والهاديات يُؤمها عبل الشوى<sup>(١)</sup>      مُتَدَفِّقٌ كَتَدَفَّقِ التَّيَّارِ  
أثبت فيه الرُّمَحُ ثُمَّ تَرَكُّهُ      خَضِبَ الْجَوَانِحَ بِالدَّمِ الْمَوَّارِ  
حامت عليه الذابلات كأنها      طيرٌ أوتُ منه إلى أوكارِ

وكانت غرناطة غنية بالطيور على اختلاف أنواعها منها الحجلان والبط والحمام البري، وقد لجأ الغرناطيون إلى طيور الباز لاصطياد هذه الطرائد . وكان تدريب الباز على الصيد يستوجب خبرة ومهارة اشتهر بها الغرناطيون<sup>(٢)</sup> . كما كثرت الحيوانات البرية في جبال شليرو ومنها الدببة والغزلان<sup>(٣)</sup> .

ولم يقتصر الصيد في غرناطة على صيد البر والجو، بل اشتمل أيضاً صيد البحر، وإذا كان عزّ علينا شيء من الشواهد الشعرية، إلا أن كثرة الأنهار والمياه في بلاد الأندلس إلى جانب وقوعها على المتوسط من الجنوب، دفعت بلاشك أهل غرناطة إلى صيد البحر، إلا أنه وكما يبدو من المصادر الأندلسية أن الأندلسيين اهتموا بصيد البر والجو أكثر بكثير من صيد البحر، وقد يكون هذا التفاوت في الاهتمام راجعاً إلى سهولة رحلة الصيد البرية مقارنة مع صعوبة الرحلة البحرية وخطورتها .

(١) عبل الشوى: كناية عن الثور . والهاديات: المتدمات سبقاً .

(٢) انظر: حسن النوش، التصوير الفني للحياة الاجتماعية، ص ٣٢٦ .

(٣) انظر: يوسف فرحات، غرناطة في ظل بني الأحمر، ص ١٣٦ .

## الفصل الرابع

تصوير الشعر الأندلسي المهين والحرف في الأندلس

## مقدمة:

عرف عن الأندلسيين حبّهم العمل، فقد كان الأندلسي يجهد أن يتميَّز بصنعة، ويربأ بنفسه أن يُرى فارغاً عالة على الناس، لأن هذا عندهم في نهاية القبح<sup>(١)</sup>. ولشغفهم بالصناعة وحبّهم العمل، فقد تنوّعت المهن والحرف في غرناطة بتنوّع المجتمع الغرناطي وتعدّد أوجه النشاط فيه. ولقد وصف شعراء الأندلس تلك المهن والحرف في أشعارهم، كما وصفوا أصحابها وطبايعهم، فسجّلوا بذلك جانباً مهماً من جوانب الحياة الاجتماعية. إلا أن ما وصل إلينا هو وصف لبعض هذه المهن ولعل السبب يعود إلى ضياع كثير من هذا الشعر.

## العمارة والبناء:

شهدت غرناطة في عهد بني الأحمر ازدهاراً معمارياً لا نظير له، شمل القصور، والحصون، والقلاع، والمساجد، والمدارس والقناطر وغيرها. وكان الشعر الأندلسي سخياً في إعطاء الصور الرائعة لتلك المباني، مخلفاً لنا وصفاً واقعياً لها ولما حوته من التماثيل والنقوش. ولا بد أن يكون وراء هذه النهضة المعمارية عمال مهرة جاهدوا بأنفسهم في سبيل إقامة هذه الروائع. وبقدر ما كان الشعر سخياً في وصف تلك الروائع إلا أنه يكاد يصمت أمام تصوير حياة العاملين وما عانوه في سبيل إقامة تلك المباني على هذه الصورة. فلانكاد نجد في الشعر ما يصف لنا مهنة البناء ويطلعنا على صورة عامل البناء، وحياته اليومية، ومكاتبه الاجتماعية، إلا ما جاء في قول الشاعر أبي البركات البليقي، الذي وصف لنا شيئاً من ملامح العاملين في هذه المهنة، وكان قد مارسها من تلقاء نفسه تطوعاً<sup>(٢)</sup>، يقول<sup>(٣)</sup>:

(١) انظر: المقرئ، فح الطيب، ج ١، ص ٢٢٠.

(٢) انظر: حسن النوش، التصوير الفني للحياة الاجتماعية، ص ٣٩٩.

(٣) المقرئ، فح الطيب، ج ٥، ص ٤٧٢.

فِي احْتِفَارِ الْأَسَاسِ وَالْأَبَارِ      وَأَتَقَالِ التُّرَابِ وَالْجِيَّارِ  
وَقُعُودِي مَا يُبْنِ رَمْلٍ وَأَجُـ      رَّوَجَصٍ وَالطُّوبِ وَالْأَحْجَارِ  
وَأَمْتَهَانِي بُرْدِي بِالطَّيْنِ وَالْمَا      ءِ وَرَأْسِي وَلِحْيَتِي بِالغُبَارِ  
نَشْوَةٌ لَمْ تَمَرَّ قَطُّ عَلَى قَدِ      بِ خَلِيْعٍ وَمَا لَهَا مِنْ حُمَارِ

ويبدو أن شاعرنا قام بهذا العمل حتى يشبع روحه الظامّة إلى الصوفيّة الصادقة، المتطهرة بالأعمال الشاقّة في إقامة دور العبادة، فهو يشعر بنشوة ما بعدها نشوة وهو يحفر الآبار وينقل التراب والجيار والطوب، ويكسي الغبار برديه ورأسه ولحيته.

ثم يصف أبو البركات البليقي علاقة عمّال البناء، بأصحاب البناء، فبعد أن ينتهي العمّال من البناء، وقد بذلوا في عملهم غاية الجهد والإتقان، لم يجد العمال من أصحاب المباني والملاك غير الإعراض فهم لا يرغبون في رؤيتهم حتى مجرد زائرين<sup>(1)</sup>. وقد يدلّ ذلك على دنو طبقة العمّال واحتقار الناس لهم، يقول في ذلك<sup>(2)</sup>:

مَنْ غَرِيبِ الْبِنَاءِ أَنْ بَنِيَهُ      مَعْبُونٍ يَهْوُونَ طَوْلَ النَّهَارِ  
يَبْتَغُونَ الْوَصَالَ مِنْ صَانِعِيهِ      وَالْبِدَارَ إِلَيْهِ كُلَّ الْبِدَارِ  
فَإِذَا حَلَّ فِي ذَرَاهِمَ تَرَاهِمُ      يَشْتَهُونَ مِنْهُ بُعِيدَ الْمَزَارِ

الخباز:

انتشرت في مدن غرناطة أفرانٌ عامّة تعدّ الخبز للناس بالأجر، ويضم الفرن بالإضافة إلى الخبازين، ومن يقوم بإعداد العجين، بعض الصبية الذين يوصلون الخبز إلى البيوت، كما أشار الطاهر

(1) انظر: حسن النوش، التصوير الفني للحياة الاجتماعية، ص ٣٩٩.

(2) المقرئ، فحح الطيب، ج ٥، ص ٤٧٢.

أحمد مكّي في قوله إنّ "لكل فرن صبي معين يمر بالبيوت في ساعة معيّنة يحمل الخبز عجيناً ويعود به مستويًا"<sup>(١)</sup>.

ولم أجد في شعر غرناطة ما يفيد في التعريف بهذه المهنة وأصحابها إلاّ آياتاً قليلة لابن خاتمة الأنصاري، يتغزل فيها بفران جميل الوجه، يزيده وهج نار الفرن سحراً وبهاءً، فيقول<sup>(٢)</sup>:

رُبَّ فَرَّانٍ جَلا صَفْحَتَهُ      لَهَبُ الْفَرْنِ جَلاءَ الْعَسْجَدِ  
يُضْرِمُ النَّارَ بِأَحْشاءِ الْوَرَى      مِثْلَمَا يُضْرِمُ فِي الْمُسْتَوْقَدِ  
فَكَأَنَّ الْوَجْهَ مِنْهُ خُبْرَةٌ      فَوْقَهَا الشَّعْرُ كَقَدْرِ أَسْوَدِ

#### الجزارة:

عرف الغرناطيون مهنة الجزارة منذ وقت مبكر، وربما وجد في كل مدينة سوق اختصت ببيع اللحم. وفي قصيدة هزلية للسان الدين ابن الخطيب يهجو فيها بعض النهمين، يذكر فيها هذه المهنة ومهن أخرى تتعلق ببيع الطعام، يقول<sup>(٣)</sup>:

فَكَأَنِّي بِكَ قَدْ نَبَذْتُ مَهْرَقَمًا<sup>(٤)</sup>      وَقَصَدْتُ فِي أَعْقَابِهِ سَفَاجًا<sup>(٥)</sup>  
وَصَحَبْتُ جَزَارًا لِلْحَمِّ طَيِّبٍ      وَخَدَمْتُ غَيْرَ مُقَصِّرٍ دَجَّاجًا  
فابن الخطيب في هذه الأبيات يعدّد المهن تعدداً فيذكر المهرقم والسفاج والجزار والدجاج ولم يصف تلك المهن ولا أصحابها، ولم أجد من الشعر ما يرسم صورة واضحة لها.

(١) الطاهر أحمد مكّي، دراسات عن ابن حزم، ص ٣٢.

(٢) المقرّي، نفع الطيب، ج ٦، ص ٣٨.

(٣) لسان الدين ابن الخطيب، ديوان لسان الدين ابن الخطيب، ج ١، ص ٢١٨.

(٤) المهرقم: بائع بقايا الحيوانات كالأمعاء والكبد والأرجل، انظر: دوزي رينهارت، تكملة المعاجم العربية، ج ١١، ص ٤٠.

(٥) السفاج: بائع الإسفنج وهو نوع من الحلويات سبق التعريف به.

## النسخ والوراقة:

كانت الوراقة مهنة مزدهرة بازدهار الحضارة والرغبة في إنشاء المكتبات العظيمة، والتنافس العجيب في اقتناء الكتب القيمة<sup>(١)</sup>. وقد استمدت الوراقة أهميتها باعتبارها الوسيلة الوحيدة آنذاك للحفاظ على كتب العلوم المختلفة، ونشرها بين الناس.

وقد كان من أمر الوراقين في غرناطة وبراعتهم في مهنتهم ما جعل الشعراء يصفون جودة خطوطهم. فقد مدح القيسي وراقاً اسمه عبد الملوك معبراً عن إعجابه بخطه في قصيدة أولها<sup>(٢)</sup>:

هكذا يُعْتَنَى بِكُتُبِ الْعُلُومِ      فِي حَدِيثِ الزَّمَانِ أَوْ فِي الْقَدِيمِ  
وَتُحَلَّى الْمَهَارِقُ<sup>(٣)</sup> الْبَيْضُ مِنْهَا      بِحُلَى خَطِّ فَاقٍ وَشَيْ رَقِيمِ

ثم يصف جمال هذا الخط وينعت صاحبه بالإجادة والاختراع<sup>(٤)</sup>، قائلاً<sup>(٥)</sup>:

مَا كَعْبُدُ الْمَلِيكَ كَاتِبَ خَطِّ      بَارِعِ النَّوْعِ فِي الْخَطِّ وَطَقْدِيمِ  
فَاقِ خَطِّ ابْنِ مُقَلَّةٍ<sup>(٦)</sup> وَابْنِ بَاقٍ      وَابْنِ جَبِيرٍ عِنْدَ أَهْلِ الْفُهُومِ

(١) انظر: حسن النوش، التصوير الفني للحياة الاجتماعية، ص ٣٩٥.

(٢) عبد الكريم القيسي، ديوان عبد الكريم القيسي، ص ١٧١.

(٣) المهاريق: جمع مهراق وهو ثوب من حرير أبيض يُسقى الصمغ ويصقل ثم يكتب فيه، لسان العرب، مادة: هرق.

(٤) انظر: ابن شريفة، محمد، البسطي آخر شعراء الأندلس، ط ١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٩م، ص ١٥٦.

(٥) عبد الكريم القيسي، ديوان عبد الكريم القيسي، ص ١٧٢.

(٦) ابن مقلة هو: محمد بن علي بن مقلة (٢٧٢-٣٢٨) أبو علي، كان أديباً وخطاطاً، انخرط في سلك الوظائف

حتى أصبح وزيراً لثلاثة من الخلفاء العباسيين، وامتنح في زمن الخليفة الراضي وسجن وقطعت يده اليمنى،

فكان يشد القلم على ساعده ويكتب به، ومات في سجنه. انظر: خير الدين الزركلي، الأعلام، ج ٦،

ص ٢٧٣. أما ابن باق وابن جبيرة فلعلهما من الخطاطين الأندلسيين، انظر: محمد بن شريفة، البسطي آخر

شعراء الأندلس، ص ١٥٦.



مَا تَبَدَّى لِنَاظِرِ الْعَيْنِ حَرْفٌ مِنْهُ إِذْ عَالَهُ بِالْتَعِيمِ  
ويشير إلى أنه نسخ الكثير من المصاحف والكتب بخطه<sup>(١)</sup>:

كَمْ كِتَابٍ وَمُصْحَفٍ كَفَّهُ خَطُّهُ  
عُتِبَتْغِي رِضَى الْإِلَهِ الْعَظِيمِ  
ولم تكن مهنة الوراقة قصراً على الرجال، فقد كان هناك من النساء من احترفن هذه المهنة، فهذه

نصار ابنة الشاعر أبي حيان قد برعت في نسخ القرآن والسنة النبوية، فقال أبو حيان في رثائها<sup>(٢)</sup>:

وَمَا أَعْمَلْتُ يَوْمًا إِلَى شُغْلِ يَدَا  
سِوَى قَلَمٍ تُنْشِي عَلَيْهِ الْأَصَابِعُ  
تَخُطُّ بِهِ الْقُرْآنَ وَالسُّنَنَ الَّتِي  
أَتَتْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَالْخَطُّ بَارِعٌ

كما وصف الشعراء أدوات الكتابة وتسطير المعرفة فوصفوا الدواة والقلم والقرطاس .

وقد وصف ابن زمرك دواة وخرطبا<sup>(٣)</sup> أهدها إياهما السلطان الغني بالله، فجاءت الدواة

موشاة الأطراف تغلوها قبة ذهبية جعلت فيها فتحات لتمكن الأقلام من استخراج المداد منها،

قال<sup>(٤)</sup>:

أَهْدَيْتَنِي مَشْمُولَةً بِمَحَاسِنِ  
كَالشَّمْسِ عِنْدَ طُلُوعِهَا بِالْأَسْعَدِ  
مَوْشِيَّةَ الْأَعْطَافِ رَائِقَةَ الْحُلِيِّ  
فَاقَتْ مَحَاسِنُهَا الَّتِي لَمْ تُعْهَدِ  
لِلَّهِ مِنْهَا قُبَّةٌ مَرْفُوعَةٌ  
قَدْ مُوَهَّتْ أَرْجَاؤَهَا بِالْعَسْجَدِ  
أَبْوَابُهَا قَدْ فَتَحَتْ مِنْ حَوْلِهَا  
لُوفُودٍ سَعْدٍ بِالْبِشَائِرِ مُسْعِدِ

(١) عبد الكريم القيسي، ديوان عبد الكريم القيسي، ص ١٧٢

(٢) أبو حيان، ديوان أبي حيان، ص ص ٢٦٧ - ٢٦٨ .

(٣) الخرطب: كلمة ليست عربية فلا وجود لها في القاموس فهي دخيلة ولعلها إسبانية، ويبدو أنها تدل على نوع من

(المقلمة) التي تُصَفِّف فيها الأقلام عند عدم الاستعمال، الديوان، هامش ص ٢٤٢ .

(٤) ابن زمرك، ديوان ابن زمرك الأندلسي، ص ٢٤٢ .

وَمَدَّهَا الْمَسْكَ الْفَتِيْقُ لِنَاشِقِ  
تَمَّارَةُ الْأَقْلَامِ ثُمَّ تَجُّهُ  
يُهْدِي النَّبَاءَ إِلَى الْإِمَامِ مُحَمَّدٍ  
فَوْقَ الطُّرُوسِ لِقَارِيءٍ أَوْ مُنْشِدِ

ثم يصف الخَرْطَبَ الذي تَأْوِي إليه الأَقْلَامُ منشدةً الرَّاحَةَ، يقول (١):

وَمُكَلَّلٍ بِالْوَشْيِ رَاقٍ أَدِيْمُهُ  
تَهْوِي لَهُ الْأَقْلَامُ عِنْدَ جَمَامِهَا (٢)  
جُمِعَتْ مَحَاسِنُهُ بِشَكْلِ مُفْرَدِ  
وَتَبَيَّتْ مِنْهُ بِرَاحَةِ الْمُتَوَسِّدِ  
وَلَهُ أَنَا مِلْ خُمْسَةٌ قَدْ صَفَّفْتُ  
مِنْ ظُهُرِهِ لِلْقَاصِدِيْنَ بَرَّصَدِ

كما وصف الشعراء الصحف التي يكتب فيها، فيقول الشاعر القيسي في وصف

إحداها (٣):

كَأَغْدٍ (٤) لَا يَفُوصُ فِيهِ مِدَادٌ  
أَيُّضُ اللَّوْنِ أُمَّلَسُ ذُو مَجَسِّ

تَكْتُبُ الْأَقْلَامُ الْمَجِيْدَةَ فِيهِ  
وَهِيَ مَا عَابَهَا بَنَانٌ بِحَبْسِ

وكان الأصابع لا تتحكم في الأَقْلَامِ من فرط جودة هذا الكاغد (٥).

وأعجب لسان الدين ابن الخطيب بقلمه، مبيناً أهميته ودوره في إخراج الناس من الظلمات إلى

النور، فقال (٦):

مَا رَأْتُ عَيْنِي عَجِيْباً  
كَيْرَاعِي فِي الْوَادِ

(1) ابن زمرك، ديوان ابن زمرك الأندلسي، ص ٢٤٢.

(2) جمَامِهَا: راحتها، لسان العرب، مادة: ججم.

(3) عبد الكريم القيسي، ديوان عبد الكريم القيسي، ص ٣٢٢.

(4) الكاغد: القرطاس، المعجم الوسيط، مادة: كغد.

(5) عبد الكريم القيسي، ديوان عبد الكريم القيسي، هامش صفحة ٣٢٢.

(6) لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة، ج٤، ص ٥١٤.

## غايصاً يستخرج الدرُّ بيحُر الظلمَ اتِ

### التعليم والتأديب:

غالباً ما كانت الأسرة الأندلسية ترسل أبناءها إلى الكُتاب القريب من منازلها لتلقي التعليم فيه؛ إذ يجمع "المؤدّب" فيه أولاد الحي ويكبّ على تعليمهم القراءة والكتابة والخط ثم حفظ آي القرآن الكريم<sup>(١)</sup>. وكان المؤدّب أو المعلم يقوم بعمله هذا لقاء أجر يتفق عليه مع أهل الحي ويسمى هذا نظام الشرط الذي كان معروفاً في الحواضر والبوادي في الأندلس؛ إذ يتشارط أهل القرية على أجره مع طالب حافظ للقرآن عارف بمبادئ الدين يُقرىء صبيان القرية ويؤم الناس فيها<sup>(٢)</sup>، وفي هذا يقول عبد الكريم القيسي<sup>(٣)</sup>:

بِخَمْسِينَ دِينَاراً وَمَا هُوَ تَابِعٌ      لَهَا مِنْ فِرَاشٍ لَائِقٍ وَطَعَامِ  
أَوْمٌ بِهِمْ فِي مَسْجِدٍ بِجَمَاعَةٍ      مُقِيمِينَ لِلْخَمْسِ الْفُرُوضِ كِرَامِ  
بِهِمْ تُضْرَبُ الْأَمْثَالُ فِي حِفْظِ دِينِهِمْ      فَمَا مِثْلُهُمْ فِي مَوْصِلٍ وَشَامِ

وبالإضافة إلى الأجر المتفق عليه كان أهل الحي يوفّرون للمعلم الفراش اللائق ويقدمون له

الطعام.

وقد اهتم ملوك غرناطة بالعلم والتعليم واحتل يوسف الأول وابنه محمد الخامس مكانة بارزة في هذا المجال؛ إذ أنشأ يوسف الأول المدرسة اليوسيفية سنة (٧٥٠هـ)، تلك المدرسة التي اهتمت بتدريس مختلف العلوم وقصدها الطلاب من المناطق النصرانية كافة. ومن أوائل من درّس فيها فرج بن لب التعلبي الذي درّس

(١) انظر: يوسف فرحات، غرناطة في ظل بني الأحمر، ص ١٥٨.

(٢) انظر: محمد ابن شريفة، البسطي آخر شعراء الأندلس، ص ٢٦.

(٣) عبد الكريم القيسي، ديوان عبد الكريم القيسي، ص ١٢٣.

فيها سنة (٧٤٥هـ)<sup>(١)</sup>، وأبوزكريا يحيى بن هذيل التجيبي الذي تولى الإقراء بالمدرسة النصرية للعديد من العلوم كالأصول والفرائض والطب<sup>(٢)</sup>، وابن الفخار الذي كان ملازماً للتدريس فيها وقل في الأندلس من لم يأخذ عنه من الطلبة<sup>(٣)</sup>. وفي هذه المدرسة قال ابن الجياب<sup>(٤)</sup>:

يا طالب العلم هذا بأبه فتحا      فادخل تُشاهدُ سَنَاهُ لَاحِ شَمْسِ ضُحَى  
 واشكُرْ مُجِيرِكَ مَنْ حَلَّ وَمرْتَحِلِ      إذ قَرَّبَ اللهُ مَنْ مَرَمَاكَ مَا نَزَحَا  
 وشرفتِ حَضْرَةَ الإِسْلَامِ مَدْرَسَةً      بها سَبِيلُ الهُدَى والعِلْمِ قَدْ وَضَحَا  
 أَعْمَالُ يوسُفَ مَوْلَانَا وَنَيْتِهِ      قَدْ طَرَزَتْ صُحُفًا مِيزَانُهَا رَجُحَا

وبالرغم مما هو معلوم أن مهنة التعليم لم تكن من المهن ذات العائد الكبير، مثل التجارة أو الجندية أو القضاء، فإننا نلمس في الأبيات التي أنشأها الشاعر المعلم أبو عبد الله اليتيم<sup>(٥)</sup>، الرضا عن مهنته وفرحته بتلاميذه لأسباب أدبية لا صلة لها بأي ميل خبيث<sup>(٦)</sup>. يقول<sup>(٧)</sup>:

ففيهم حَرَفَتِي وَقَوَامُ عَيْشِي      وَأَحْوَالِي بِمِخْلَطَتِهِمْ نَجِيحُهُ  
 وَأَمْرِي فِيهِمْ أَمْرٌ مُطَاعٌ      وَأَوْجُهُمْ مِصَابِيحُ صَبِيحُهُ  
 وَتَعَلَّمْتُ أَنِّي رَجُلٌ حَصُورٌ      وَتَعَرَّفْتُ ذَاكَ مَعْرِفَةً صَحِيحُهُ

(١) انظر: لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة، ج٤، ص ٢٥٣.

(٢) انظر: المصدر نفسه، ج٤، ص ٣٩٠.

(٣) المصدر نفسه، ج٣، ص ٣٥-٣٧.

(٤) المقرئ، نفع الطيب، ج٥، ص ٤٥٧.

(٥) هو محمد بن علي العبدري، الملقب، يكنى أبا عبد الله، ويعرف بأبي عبد الله اليتيم، عرف عنه حبه للدعابة والفكاهة، عمل خطيباً في المسجد الأعلى بمالقة، كما عمل في التعليم والتأديب، توفي في الطاعون سنة (٧٥٠هـ). انظر: المقرئ، نفع الطيب، ج٦، ص ٩٦.

(٦) انظر: حسن النوش، التصوير الفني للحياة الاجتماعية، ص ١٥٩.

(٧) المقرئ، نفع الطيب، ج٦، ص ٩٥.

والأبيات موجهة إلى صديق له كان يداعبه متهماً إياه بالميل الشاذ<sup>(١)</sup>.  
وكان من اهتمام الأسرة المالكة بالمعلمين أن أجرت الجرايات على العلماء والمعلمين.  
وأولت إليهم أعمالاً يتقاضون منها معاشات، لكي يقوموا في الوقت نفسه بالتدريس وتعليم  
الناس<sup>(٢)</sup>.

### الحسبة:

وهي من الوظائف المهمة في النظم الإدارية للدولة الإسلامية<sup>(٣)</sup>، أساسها الأمر بالمعروف  
والنهي عن المنكر<sup>(٤)</sup>، عملاً بأمر الله سبحانه وتعالى، وذلك قوله: ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير  
ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون﴾<sup>(٥)</sup>. وكان المحتسب ينصب من طرف الحاكم  
للتظرف في أحوال الرعية<sup>(٦)</sup> في شتى المجالات الاجتماعية والاقتصادية والدينية.  
فقد تناولت الحسبة أموراً اجتماعية متعددة منها: المحافظة على نظافة الطرق، والرأفة  
بالحيوان بأن لا يحمل ما لا يطيق، ورعاية الصحة العامة، والحكم على أهل المباني المتداعية للسقوط

---

(١) انظر: حسن النوش، التصوير الفني للحياة الاجتماعية، ص ١٥٩.

(٢) انظر: الدوري، رفاه تقي الدين، ١٩٩٩م، الحياة العلمية والثقافية في غرناطة في عصر بني الأحمر، رسالة  
ماجستير، جامعة مؤتة، الكرك، الأردن، ص ٦١.

(٣) انظر: أحمد الدوسري، الحياة الاجتماعية في غرناطة، ص ٢٠٦.

(٤) انظر: أحمد الطوخي، مظاهر الحضارة في الأندلس، ص ٢٠٢.

(٥) آل عمران، الآية ١٠٤.

(٦) انظر: أحمد الدوسري، الحياة الاجتماعية في غرناطة، ص ٢٠٦.

بهدمها . ومنع معلمي الصبية من ضرب الأطفال ضرباً مبرحاً، ومراقبة الحانات وشرب الخمر وتبرج النساء وغيرها من الأمور المتعلقة بالحياة الاجتماعية .

أما في الجانب الاقتصادي، فكان المحتسب يراقب الأسعار والموازين ويراقب أصحاب المهن، فكان من عادة المحتسب أن يمر على الأسواق راكباً، ومعه موازينه وأعوانه، فيزن الخبز ويمتحن الأسعار، ويراقب البطاقات على السلع إذ كانت البطاقات توضع على الخبز واللحم، وقد يرسل المحتسب إلى البائع من يمتحنه سراً فإن عُهدت عليه خيانة ضرب أولاً وجُرس<sup>(١)</sup> فإن لم يرتدع نفي من البلد<sup>(٢)</sup> .

وفي الجانب الديني كان المحتسب يأخذ المسلمين بصلاة الجمعة، والجماعة والأعياد . ويمنعهم من الإفطار في رمضان، ويعنى بنظافة المساجد<sup>(٣)</sup> .

ولا بد أن يكون المحتسب عالماً خبيراً في شؤون منصبه، نزيهاً عفيفاً عن أموال الناس، نشيطاً، قوياً، شجاعاً، شديداً في الحق، رفيقاً لئيم القول، طلق الوجه<sup>(٤)</sup> .

وكان المحتسب يلقي احترام الناس وتقديرهم، ويعلو شأنه بينهم، يقول أحدهم<sup>(٥)</sup> في طلب خطة الحسبة<sup>(٦)</sup>:

أَنْلِي يَا خَيْرَ الْبَرِيَّةِ خَطَّةً      تَرْفَعُنِي قَدْرًا وَتُكْسِبُنِي عِزًّا  
فَأَعْتِزُّ فِي أَهْلِي كَمَا اعْتَزَّ بِي دَقُّ      عَلَى سُفْرَةِ الشَّطْرَنْجِ لَمَّا اتَّشَى فِرْزًا

(١) جُرس: أي ندَّ به، المعجم الوسيط، مادة: جرس .

(٢) انظر: المقرئ، نفع الطيب، ج١، ص ٢١٨، انظر أيضاً: أحمد أمين، ظهر الإسلام، ج٣، ص ١٨ .

(٣) انظر: الرافعي، مصطفى، حضارة العرب، ط٣، دار الكتب اللبناني، بيروت، ١٩٨١م، ص ١٩٥ .

(٤) انظر: المصدر نفسه، ص ١٩٦ .

(٥) وهو محمد بن عبد الرحمن المتأهل من وادي آش، كان حياً بعد سنة سبع عشرة وسبعمئة .

(٦) لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة، ج٢، ص ٤٧٨ .

ولم أجد في الشعر ما يفيد في التعريف بهذه المهنة، وما وجدته هو قول لسان الدين ابن الخطيب في تهنة أحدهم وقد تولى خطة الحسبة<sup>(١)</sup>:

يا أيها المُحتسبُ الجَزَلُ      ومن لديه الجَدُّ والهَزَلُ  
يهنيك والشكرُ لمولى الـورى      ولايةٌ ليس لها عَزَلُ

الطب:

كثُر عدد الأطباء في غرناطة واشتهر بعضهم في المشرق والمغرب، ومن هؤلاء الأطباء محمد بن إبراهيم الأنصاري المعروف بابن السراج الذي عاش في بلاد بني الأحمر فكان طبيب محمد الثاني الخاص، كما اشتهر بعمل الخير إذ كان يداوي الفقراء مجاناً<sup>(٢)</sup>. ويحيى بن هذيل التجيبي<sup>(٣)</sup> الذي كان أستاذاً لابن الخطيب، ومحمد الشقوري<sup>(٤)</sup> الذي كان طبيب دار الإمارة أيام يوسف الأول، والطبيب الشاعر والمؤرخ ابن خاتمة الأنصاري<sup>(٥)</sup>، ولا ننسى من الأطباء المشهورين لسان الدين ابن الخطيب. ومن العادات الطبية القديمة التي شاعت في غرناطة الفصاد، وهي شق العرق وإخراج الدم الفاسد منه. وقد هنا ابن زمرك السلطان الغني بالله بعد اقتصاده فقال<sup>(٦)</sup>:

اهنأ بها من سنة نبوية      تلقاك بالبر المعجل والرشد  
فصد النبي محمد فلذاك ما      سمحت له من النفوس بأن فصد

(١) المقري، فح الطيب، ج٦، ص ١٦٨.

(٢) ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ج٣، ص ٢٨٧.

(٣) انظر: لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة، ج٤، ص ٣٩٠.

(٤) انظر: المصدر نفسه، ج٣، ص ١٧٧-١٧٩.

(٥) انظر: المصدر نفسه، ج١، ص ٢٣٩.

(٦) ابن زمرك، ديوان ابن زمرك الأندلسي، ص ٢٤٤.

فاسْتَقْبِلِ الصُّنْعَ الْجَمِيلَ بِغُبُطَةٍ وَأَبْشِرْ بِعَافِيَةٍ تَدُومُ إِلَى الْأَبَدِ  
وتشير النصوص إلى أن الأطباء قد توصلوا إلى اكتشافات طبية في علاج بعض الأمراض، فقد  
اكتشف الأطباء أن في نبات يدعى "لحية التيس" علاجاً لأمراض البطن، فهذا لسان الدين ابن الخطيب  
ينصح بتناولها لمن يشتهي الماء في بطنه، يقول<sup>(١)</sup>:

رَعَى عَارِضِي ظُبِّي شَكَا سَقَمَ بَطْنِهِ وَقَالَ وَكَمْ تُرْشِدَ لِحْدَقٍ وَلَا كَيْسٍ  
أَلَمْ تَرَ أَنِّي عَلَّةُ الْبَطْنِ أَشْتَكِي وَيَنْفَعُ مَنْ يُشْكُو بِهَا لِحْيَةَ التَّيْسِ<sup>(٢)</sup>  
كما وجد لسان الدين ابن الخطيب في شرب ماء عين توجد بمحصن نارجة منفعة وشفاء  
لمرضى الحصا، يقول<sup>(٣)</sup>:

انظُرْ إِلَيْهِ شَبِيهَ مُعْجِزَةِ الْعَصَا مَاءُُهُ بِنَقِيَةِ الْمِثَانَةِ خُصَّصَا  
فَإِذَا الطَّبِيبُ سَقَاهُ أُسْرِعَ نَجْحُهُ وَتَحَدَّثَ بِالمَاءِ الزُّلَالِ مَعَ الْحَصَا  
واهتم الأطباء الأندلسيون بأنواع المأكول وطرق الأكل والمواد المغذية، فوجد لسان الدين  
ابن الخطيب يحذر من الإسراف في الأكل والشرب مستوحياً الحكمة القائلة: "المعدة بيت الداء  
والحمية رأس الدواء" مستخلصاً بذلك أن إصلاح الأبدان يتم عن طريق اختيار المأكولات المغذية،  
يقول<sup>(٤)</sup>:

(1) لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة، ج٤، ص ٥٢٠.

(2) لحية التيس: وهي بقلة جعدة ورقها كالكرات، لا يرتفع كورقه ولكن يتسطح والناس يأكلونها ويتداونون  
بعضيرها، وهي تشفي من قروح الأمعاء وضعف المعدة، ويعرف بالأندلس بالسوارص. انظر: ابن البيطار،  
الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، ج٣، ص ١٠٤-١٠٥.

(3) لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة، ج٤، ص ٥١٠.

(4) لسان الدين ابن الخطيب، ديوان لسان الدين ابن الخطيب، ج١، ص ٢١٧.



خَفُّ مِنْ غِذَاءٍ غَيْرِ مُعْتَدِلِ الْقُوَى      وَاحْذَرُ طَعَامًا يُفْسِدُ الْأَمْشَاجَا<sup>(١)</sup>  
وَالْمَرْءُ مِنْ فَمِهِ يُصَابُ وَفَرْجِهِ      فَيَعُودُ مَوْرِدُهُ الشَّرْبُ أُجَاجَا<sup>(٢)</sup>

وقد أسهم الأطباء الأندلسيون في فرع هام من فروع الطب وهو علم الكحالة وأثروا بمؤلفاتهم المادة الطبية المتعلقة بأمراض العين وعلاجها ومداواتها . وكان لهذه المؤلفات التي اهتمت بالجانب النظري الوصفي في علم الكحالة وبالجانب التطبيقي الجراحي صداها في المشرق العربي وفي أوروبا . ومن هذه المؤلفات كتاب "النهاية في الكحل" للحريري<sup>(٣)</sup> .

وكان من طرق معالجة العيون قديماً القُدْحُ والكحل؛ والقُدْحُ هو إخراج الماء الفاسد من العين، أما الكحل فهو مادة توضع في العين لمداواتها . وقد حذر عبد الكريم القيسي من هذه الطرق لما فيها من خطر على العين، فقال<sup>(٤)</sup> :

كُلُّ مَنْ بِالْقُدْحِ وَالْكُحْلِ      لِ تَرَاهُ حَازَ عِلْمًا  
لَا تَثِقُ مِنْهُ بِوَدِّ      إِنَّهُ يَهْوَى الْوَاكِعْمَى

وعلى العموم فإن الطب أيام بني الأحمر وصل إلى درجة عالية من التقدم والتطور، فقد أنشأ محمد الأول داراً للعجزة، وماوى للعميان . كما بنى محمد الخامس سنة (٧٦٧هـ) مستشفى في غرناطة<sup>(٥)</sup> .

(١) أمشاج: الأمشاج من البدن طبيعته، لسان العرب، مادة: مشج .

(٢) أجاجا: الماء المالح الشديد الملوحة، لسان العرب، مادة: أجج .

(٣) الحمارة، نشأت، ١٩٩٢، طب العيون في الأندلس، مجلة دراسات أندلسية، (العدد ٨٥)، ص ٣٥ - ٥٠ .

(٤) عبد الكريم القيسي، ديوان عبد الكريم القيسي، ص ٤٢٩ .

(٥) انظر: يوسف فرحات، غرناطة في ظل بني الأحمر، ص ١٦٤ .

## الصناعة:

استطاعت غرناطة أن تحتفظ بالكثير من الصناعات الأندلسية القديمة، وساعدها على ذلك توافر المواد الأولية اللازمة للصناعات مثل المعادن والأخشاب والمنتجات الزراعية والحيوانية. فاشتهرت المرية ومالقة في صناعة الفخار المزجج المذهب، ويذكر ابن سعيد أنه كان يصنع بالأندلس نوع من المفصص المعروف في المشرق بالفسيفساء، ونوع يبسط به قاعات ديارهم يعرف بالزليجي، وهو ذو ألوان عجيبة يقيمونه مقام الرخام الملون الذي يعرفه أهل المشرق في زخرفة بيوتهم<sup>(١)</sup>. وقد وصف لسان الدين ابن الخطيب ما بداخل قصر أبي الحجاج من زخارف وزليج مختلف الأشكال، فقال<sup>(٢)</sup>:

دَحَيْتَ مِنَ الزُّلَيْجِ صَفْحَةً أَرْضِهِ      بِلَوْنَيْنِ مُبَيَّضِ الأَدِيمِ وَمُسْوَدِّ  
وازدهرت صناعة النسيج في غرناطة، وتقدمت صناعة الحرير فيها تقدماً كبيراً، وتذكر المصادر أن المرية كانت مصنعا للحلل الموشية النفيسة<sup>(٣)</sup>. كما تقدمت فيها صناعة الأبسطة والسجاد<sup>(٤)</sup> والصناعات الجلدية<sup>(٥)</sup>، وصناعة الأواني الفخارية وصناعة الخزف والزجاج<sup>(٦)</sup>، وصناعة السفن<sup>(٧)</sup> والأسلحة<sup>(٨)</sup>.

(١) انظر المقرئ، فتح الطيب، ج١، ص ٢٠٢.

(٢) لسان الدين ابن الخطيب، ديوان الصيب والجهم والماضي والكهام، ص ٤٢٧.

(٣) انظر: المقرئ، فتح الطيب، ج١، ص ١٦٣.

(٤) انظر: المصدر نفسه، ج١، ص ٢٠١.

(٥) انظر: الفلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص ٢١٨-٢١٩.

(٦) انظر: المقرئ، فتح الطيب، ج١، ص ٢٠٢.

(٧) الفلقشندي، صبح الأعشى، ج٥، ص ٢١٨.

(٨) انظر: المقرئ، فتح الطيب، ج١، ص ٢٠٢.

أما الزراعة ومع أنها تعتبر أم المهن، وقاعدة الحضارة في الأندلس، فإن الشعر الذي بين أيدينا لا يمكننا من تصوّر واضح لهذه المهنة.

هذا ما كان من أمر وصف الشعر الأندلسي للحرف والمهن . ومن المؤكد أنه كانت في غرناطة مهن وحرف لم آت على ذكرها؛ إذ لم أتطرق إلى ما ليس له ذكرٌ أو وصف في الشعر الأندلسي .

الفصل الخامس

الخصائص الفنيّة

## اللغة والأسلوب:

اهتم النقاد بلغة الشعر، فهي المادة الفاعلة فيه، لذلك ذهبوا إلى أن لغة الشعر لا بد أن تكون جزلة وواضحة وسهلة، فإن "أجود الكلام ما يكون جزلاً سهلاً، لا ينغلق معناه، ولا يستبهم مغزاه"<sup>(١)</sup>.  
"لما يتعارفه الناس في استعمالهم، ويتداولونه في زمانهم، ولا يكون وحشياً غريباً، أو عامياً سخيفاً"<sup>(٢)</sup>.

وإذا تتبعنا لغة الشعر الأندلسي بعامة، والشعر الاجتماعي بخاصة في عصر بني الأحمر نجد أنها اتسمت في معظمها بالسهولة والوضوح والرقّة واللين والفصاحة، وكانت بعيدة عن الابتذال والغرابة. ويعود هذا إلى سهولة طباع الأندلسيين ولين أخلاقهم، وإلى البساطة والوضوح في حياتهم وطرائق تفكيرهم، وإلى رقة الطبيعة الأندلسية وجمالها<sup>(٣)</sup>.

فقد عمد الشعراء إلى اختيار الألفاظ السهلة والتراكيب البسيطة في لغة قريبة من مدارك الناس، ليفهموها فهماً مباشراً ويتأثروا بمعانيها، فاتسم أسلوبهم بالبعد عن التكلف والتصنع وتحميل الألفاظ ما لا تطيق من المعاني المزدحمة<sup>(٤)</sup>.

كما حرص الشعراء في عصر بني الأحمر على اختيار اللفظ الرقيق والابتعاد عن الألفاظ الغريبة، والمواءمة بين الألفاظ والمعاني، ومن ذلك قول ابن فركون مهنئاً السلطان يوسف الثالث بمولودة له<sup>(٥)</sup>:

---

(١) العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله (بعد ٣٩٥هـ / ١٠٠٥م)، كتاب الصناعتين، تحقيق علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٥٢م، ص ٦٧.

(٢) الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن (٤٧٤هـ / ١٠٧٨م)، أسرار البلاغة، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر، ط١، دار المدني، جدة، ١٩٩١م، ص ٦.

(٣) انظر: خفاجي، محمد عبد المنعم، الأدب الأندلسي التطور والتجديد، ط١، دار الجليل، بيروت، ١٩٩٢م، ص ٣٠٩.

(٤) انظر: المصدر نفسه، ص ٣٠٩.

(٥) ابن فركون، ديوان ابن فركون، ص ١٣٧.

هنيئاً هنيئاً إمام الهدى      وغوث الوجود وغيث الندى  
 وبشرى بوافدة قد أتت      لها شرف حاز أقصى المدى  
 لقد طلعت هذه عندما      رأت سيفه في الثرى أغمدا  
 فأيمن وأسعد بها طلعة      وأعظم وأكرم بها مولدا

ونلمس التلاؤم بين الألفاظ والمعاني في الشعر الذي يصف مجالس الأنس واللهو، وقد استخدم

الشعراء فيه ألفاظاً رقيقة لينة تناسب الغرض الذي قيلت فيه، ومنها قول ابن زمرك<sup>(١)</sup>:

من كف شفاف تجسد نوره      من جواهر الآلاء بهجت بهر  
 تهوى البدر كماله وتود أن      لو أوتيت منه المحاسن والغرر  
 والى عليك بها الكؤوس وربما      يسقيك من كأس الفتور إذا قر  
 سكر الندامى من يديه ولحظه      متعاقب مهما سقى وإذا نظر

وقد مال كثير من الشعراء إلى اشتقاق الكلمات والمفردات في الأبيات الشعرية، من أجل

تحقيق المزيد من تناغم الألفاظ وتآلفها فيما بينها من جهة، وبين المعاني من جهة ثانية؛ لمعرفة الشعراء أن في هذا الانسجام والتناغم راحة للأسماع، ناهيك عما ترسله الألفاظ من موسيقى جرّاء تآلفها وتوافقها، فيكون لها في نفس السامع أثر حسن، وفي مشاعره راحة تامة<sup>(٢)</sup>. مثال ذلك قول ابن

خاتمة<sup>(٣)</sup>:

بدت فشدت في مساق حسن      فأحسنت أحسنت أم الحسن  
 جويرة قد جرت في النفوس      مجرى ظبا لحظها في البدن

(١) ابن زمرك، ديوان ابن زمرك الأندلسي، ص ٤١٠.

(٢) انظر: محمد المشهداني، الحياة الاجتماعية في الأندلس من الفتح إلى سقوط غرناطة، ص ٢٩٦.

(٣) ابن خاتمة الأنصاري، ديوان ابن خاتمة، ص ٩٥.

تَغْنِي قُغْنِيكَ عَن بُلْبُلٍ      وَتُشِيكَ إِمَّا أَنْتَتْ عَن فَنَنْ

وقول ابن زمرك<sup>(١)</sup>:

إِنْ يُحْمَلُوكَ عَلَى الْكَوَاهِلِ طَالَمَا      قَدْ كُنْتَ مَحْمُولًا عَلَى الْأَحْدَاقِ  
أَوْ يُرْفَعُوكَ عَلَى الْعَوَاتِقِ طَالَمَا      رَفَعُوكَ ظَهْرَ مَنَابِرٍ وَعَتَاقِ

وقد أدرك النقاد القدامى أهمية الأسلوب ومكانته في النظم، فقد يما قال حازم القرطاجني: "إن الألفاظ والمعاني كالآلئ، والوزن كالسلك، والمنحى الذي هو مناط الكلام وبه اعتلاقة كالجيد له، فكما أن الحلي يزداد حسنه في الجيد الحسن، فكذلك النظم إنما يظهر حسنه في المنحى الحسن"<sup>(٢)</sup>.  
وقد ربط النقاد بين الأسلوب والمضمون، فذهبوا إلى أن لكل اتجاه شعري أسلوباً خاصاً يميّزه عن غيره من الاتجاهات والأغراض الشعرية؛ "إذ إن أساليب الشعر تنوع بحسب مسالك الشعراء في كل طريقة من طرق الشعر"<sup>(٣)</sup>.

وقد تميّز الشعر الاجتماعي بأسلوب يختلف عن غيره من الاتجاهات الشعرية، إذ اتصل موضوعه بالبيئة الاجتماعية اتصالاً وثيقاً، أساسه العلاقات العامة بين الشاعر ومن يحييون معه، ويرتبطون به. واتجه الشعراء حين أرادوا القول في الموضوعات الاجتماعية الأسلوب الواقعي الشعبي المباشر المنسجم مع الحياة<sup>(٤)</sup>، وكان هذا الأسلوب مفهوماً من الجميع، مألوفاً، مستعذب الألفاظ، سهلاً غير متوعر، استمد من جمال الطبيعة جمالاً، ومن طيب النسيم طيباً، ومن عطر الروض عطراً<sup>(٥)</sup>. فبانّت الأحوال السارة في الشعر الذي تحدّث عن مجالس الأنس، ومشاهد الأعراس

(١) ابن زمرك، ديوان ابن زمرك الأندلسي، ص ٤٤٧.

(٢) حازم القرطاجني، منهاج البلغاء، ص ٣٤٢.

(٣) المصدر نفسه، ص ٣٥٤.

(٤) انظر: محمد المشهداني، الحياة الاجتماعية في الأندلس من الفتح إلى نهاية عصر الطوائف، ص ٣٠٤.

(٥) انظر: المصدر نفسه، ص ٣٠٤.

والأعياد والمواسم، ووضحت الأحوال الكدرة التي لحقت بالنفوس، فغاب عنها الصفاء في شعر الرثاء<sup>(١)</sup>.

ومن السمات الأسلوبية للشعر الاجتماعي استخدام الأسلوب القصصي وأسلوب الحوار، فقد رأى شعراء هذا العصر في استخدام هذين الأسلوبين ما يوافق مراميمهم ويحقق غاياتهم في نظم الشعر الاجتماعي؛ ذلك أن استخدام الأسلوب القصصي والحوار يقربان المعاني من المتلقي، ويكسبانها إثارة ومتعة وحياة. ومن ذلك توظيف عبد الكريم القيسي الأسلوب القصصي في رثائه خروفه الذي كان يعدّه ليكون أضحية للعيد، إذ يقول<sup>(٢)</sup>:

ولقد كان لي ضحية عيد      ذات قرنين راقين وصوف  
كم شعير أطمعته مع فول      كله محكمم وكم من رغيف  
مات غمًا إذ كان صاحب لحم      وعلى ذي الشحم اعتداد شوف  
أي عيش يطيب لي بعده أو      أي عيد - تراه عيني - شريف

ومن الأمثلة على استخدام أسلوب الحوار، الحوار الذي قام بين ابن الأزرق وأمه وهي تحتضر،

إذ قال<sup>(٣)</sup>:

تقول لي ودُموع العين واكفة      ما أظع البين والترحال يا وكدي  
قتلت أين السرى قالت لرحمة من      قد عزّفي الملك لم يولد ولم يلد

وحوار عبد الكريم القيسي مع أحد الغلمان يرجو قربه ووصاله، فيقول<sup>(٤)</sup>:

(١) انظر: حازم القرطاجني، منهاج البلغاء، ص ٣٥٧، ٣٥٨.

(٢) عبد الكريم القيسي، ديوان عبد الكريم القيسي، ص ١٦٤.

(٣) المقري، فح الطيب، ج ٢، ص ٧٠٣.

(٤) عبد الكريم القيسي، ديوان عبد الكريم القيسي، ص ١٨٦.



قُلْتُ رُفَقاً بِأَبِي فَإِنِّي هَالِكٌ      قَالَ لِي مَا عَنكَ رُفَقِي يُخْتَرَنُ  
 قُلْتُ إِنِّي أَتَمَنَّى قُبْلَةً      قَالَ خَدِي لَكَ مَلِكٌ مُذْ زَمَنُ  
 قُلْتُ فَانْعَمْ لِي بِهِمَا مُسْتَعِجِلاً      قَالَ لِي خُذْهَا هَنِيئاً دُونَ مَنْ  
 قُلْتُ لَو بَتَّ مَعِي يَا سَيِّدِي      قَالَ لِي ذَاكَ إِذَا اللَّيْلُ دَجَّ جَنُ

وقد ظهر في الشعر الاجتماعي تأثر الأندلسيين بالقرآن الكريم، والحديث الشريف، والأمثال والأقوال المأثورة، والشعر العربي، وتجلى ذلك في الألفاظ والمعاني والصور.

إذ اقتبس بعض الشعراء آيات من القرآن الكريم أو أجزاء منها، ويظهر ذلك في قول أحدهم في زوجة قاضي لوشة<sup>(١)</sup>:

فَيَا لَيْتَهُ لَمْ يَكُنْ قَاضِيَا      وَيَا لَيْتَهَا كَانَتْ الْقَاضِيَةَ

فعجز البيت مأخوذ من قوله تعالى: ﴿يَا لَيْتَهَا كَانَتْ الْقَاضِيَةَ﴾<sup>(٢)</sup>

وفي ردّ زوجة قاضي لوشة عليه، إذ قالت<sup>(٣)</sup>:

كَلَّا لَنْ لَمْ يَنْتَه      لَنْسَفَعَا بِالنَّاصِيَةِ

فواضح أنها وظفت الآية الكريمة: ﴿كَلَّا لَنْ لَمْ يَنْتَه لَنْسَفَعَا بِالنَّاصِيَةِ﴾<sup>(٤)</sup> ونظمتها شعراً، إذ لم تغير فيها حرفاً واحداً.

وفي قول الشاعر ابن الأزرق في رثاء أمه<sup>(٥)</sup>:

فَقُلْتُ أَيْنَ السُّرَى قَالَتْ لِرَحْمَةٍ مَنْ      قَدْ عَزَفَ فِي الْمُلْكِ لَمْ يُوَلِّدْ وَلَمْ يَلِدِ

(١) المقرئ، نفع الطيب، ج٤، ص ٢٩٤.

(٢) الحاقة، الآية ٢٧.

(٣) المقرئ، نفع الطيب، ج٤، ص ٢٩٤.

(٤) العلق، الآية ١٥.

(٥) المقرئ، نفع الطيب، ج٢، ص ٧٠٣.

بدو متأثراً بقوله تعالى: ﴿لم يلد ولم يولد﴾<sup>(١)</sup>

ومن الأمثلة على استفادة الشعراء من الأحاديث النبوية، قول ابن خاتمة الأنصاري حاثاً على

الكرم<sup>(٢)</sup>:

لا سيّما رسولُ الله ضامنُهُ      أنفقُ ولا تخشَ من ذي العرشِ إقلالاً  
إذ استفادَ من قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث القدسيّ: "أنفق يا ابن آدم أنفقْ  
عليك"<sup>(٣)</sup>.

وفي قوله حاثاً على التواضع<sup>(٤)</sup>:

دِنٌ بالتواضعِ والإخباتِ محتسباً      تفقُّ علاءَ على أهلِ السّياداتِ  
فقد استفاد هنا من قوله صلى الله عليه وسلم "ما تواضع أحدٌ لله إلا رفعه الله"<sup>(٥)</sup>.

ومن الأمثلة على الاستفادة من الأمثال والأقوال المأثورة قول لسان الدين ابن الخطيب وقد أعجبه

نشاط ولده، فقال وهو يتأسى عما سرقه منه الدهر من قوّة وشباب<sup>(٦)</sup>:

سَرَقَ الدَّهْرُ شَبَابِي مِنْ يَدِي      فَفُوَادِي مُشَعَّرٌ بِالْكَمَدِ  
وَاحْتَمَلْتُ الْأُمْرَ إِذْ أَبْصَرْتُهُ      بَاعَ مَا أَفْقَدْتَنِي مِنْ وَكْدِي

(1) الإخلاص، الآية ٣.

(2) ابن خاتمة الأنصاري، ديوان ابن خاتمة، ص ١٥٦.

(3) الأحاديث القدسية، أخرجه البخاري، ط ٤، وزارة الأوقاف، القاهرة، ١٩٨٣م، ج ١، ص ١٦٥.

(4) ابن خاتمة الأنصاري، ديوان ابن خاتمة، ص ١٥٤.

(5) النووي، أبوزكريا يحيى بن شرف (٦٧٦هـ/١٢٧٧م)، رياض الصالحين، ط ١، دار السلام، القاهرة، ١٩٩٣م، ص ١٢٩.

(6) لسان الدين ابن الخطيب، ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام، ص ٤٤٥.

فقديماً قالت العرب: "من سرّه بنوه ساءت نفسهُ" (١).

ومن الأمثلة على تضمين الشعراء الأندلسيين أبياتاً لشعراء آخرين، ما فعله ابن زمرك في قوله الذي يذم فيه العذار، ويرى فيه حاجباً لجمال الوجه ونوره، إذ يقول (٢):

لاِستوي صُبْحُ وَجْهِه راق ناصعُهُ      وَذُو عِذارٍ كَلِيلٍ لَيْسَ يَنْصَرِمُ  
(وَمَا اتِّفَاعُ أَخِي الدُّنْيَا بِنَاظِرِهِ      إِذَا اسْتَوَتْ عِنْدَهُ الأَنْوارُ وَالظُّلُمُ)

فالبيت الثاني للمتنبى من قصيدته التي مطلعها (واحرّ قلباه من قلبه شبم . . .) (٣).

ومن السمات البارزة في الشعر الاجتماعي حرص الشعراء على تكرار ألفاظهم وعباراتهم؛ إدراكاً منهم لما في التكرار من تقوية للوزن وزيادة رنة اللفظ (٤)، فكل تكرار "مهمل" نوعه يستفاد منه زيادة النغم وتقوية الجرس (٥). وجاء هذا التكرار على مستوى البيت الواحد والأبيات المتتابعة. ومن الأمثلة على التكرار في البيت الواحد قول عبد الكريم القيسي في العذار (٦):

كَمْ بَيْنَ رَوْضِ زَهَا بِالزَّهْرِ مَنْفَرِدًا      وَيَبْنِ رَوْضِ زَهَا بِالزَّهْرِ وَالْوَرِقِ

فتكرار الألفاظ (روض، زها، الزهر) أضفى على البيت موسيقى خاصة استراحت لها الأذان.

(١) الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد (٥١٨هـ)، مجمع الأمثال، حققه محمد محيي الدين عبد الحميد، مكتبة السنة المحمدية، ١٩٥٥م، ج٢، ص ٣٠٠.

(٢) ابن زمرك، ديوان ابن زمرك الأندلسي، ص ٢٣٩.

(٣) أبو الطيب المتنبى، ديوان أبي الطيب المتنبى، ج٣، ص ٣٦٧.

(٤) انظر: الطيب، عبد الله، المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، الطبعة الثانية، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٠م، ج٢، ص ٥٠٥.

(٥) المصدر نفسه، ج٢، ص ٥٦٨.

(٦) عبد الكريم القيسي، ديوان عبد الكريم القيسي، ص ٤٤٥.

ومن الأمثلة على التكرار في الأبيات المتتابعة قول الشاعر السلطان يوسف الثالث<sup>(١)</sup>:

خليليَّ أين الصبرُ منّا ويوسف      وأين أيديهِ الكريمة تُصِرُّ  
وأين ليالٍ بالسبيكة نمتُها      ولا منظمٌ للدهرِ نحويُّ يُطِرُّ  
فتكرار أداة الاستفهام "أين" يؤكد ألم الشاعر لفقد أبيه، كما يعطي للأبيات لونا خاصاً من الموسيقى.

كما أن تكرار بعض الحروف يكسب الشطر أو البيت لونا من الموسيقى تستريح إليه الأذان وتقبل عليه<sup>(٢)</sup>؛ كتكرار الشاعر ابن ليون التجبي حرف الحاء في وصفه الحمام وما يقدمه من خدمات لروّاده، إذ زاد هذا التكرار من النغم الموسيقي للأبيات، وجعلها منسجمة متناغمة، قال<sup>(٣)</sup>:

وللحمّام حَآءَاتُ إِذَا مَا      ظَفَرَتْ بِهَا عَثَرَتْ عَلَى التَّعِيمِ  
فَحَنَاءٌ وَحَكَّاكَ مُجِيدٌ      وَقُلْ حَجَرٌ يُرْعَى عَلَى الأَدِيمِ  
وَحَوْضٌ مُفَعَّمٌ مَاءً لَذِيذًا      وَحَجَّامٌ عَلَى التَّهَجِّجِ القَوِيمِ  
وللحَلِقِ الحَديِدةُ حِينَ تَنَمَى      وَأَطْيَبُهَا حَدِيثُ أُخِ كَرِيمِ  
وتكرار ابن خاتمة حرف السين في قوله<sup>(٤)</sup>:

بَدَتْ فَشَدَتْ فِي مَسَاقِ حَسَنُ      فَأَحْسَنْتِ أَحْسَنْتِ أُمَّ الحَسَنُ  
مما أضفى على البيت موسيقى جميلة تطرب لها الأذان.

ومن السمات المميّزة للشعر الاجتماعي في عصر بني الأحمر استخدام الفنون البديعية التي شاعت في ذلك العصر، وكان شيوعها نتيجة حتمية لحياة الترف والحضارة التي كان يعيشها أهل

(١) يوسف الثالث، ديوان الملك يوسف الثالث، ص ١٤٤.

(٢) انظر: أنيس، إبراهيم، موسيقى الشعر، د. ت، ص ٣٥.

(٣) المقري، فح الطيب، ج ٥، ص ٥٨٧.

(٤) ابن خاتمة الأنصاري، ديوان ابن خاتمة، ص ٩٥.

غرناطة، وميل أذواق الغرناطيين إلى التائق والزينة في حياتهم، إلا أن شعراء هذا العصر لم يبالغوا في الأخذ بفنون البديع، وما كان يقع لهم من ذلك في عباراتهم كان أكثره جميلاً مقبولاً، لأن الشعراء كانوا لا يأخذون من هذه الأنواع البديعية إلا ما كانت تجود به قرائحهم من غير تعمد ولا إجهاد خاطر<sup>(١)</sup>.

ومن الفنون البديعية التي استحوزت على اهتمام الشعراء التورية، وقد استخدم لسان الدين ابن الخطيب أسلوب التورية في طريقة هزلية فكاهية داعب فيها شيخه ابن الجياب، وذكر تشوقه إلى اللحم المعروف بالمبرد، قائلاً<sup>(٢)</sup>:

يا واحد العلياب بلا إلباس      أبعث بسهم من "أبي العباس"  
واعلم بأنني لا أقلد مذهبي      "سفيان" يوماً خيفة الوسواس  
ولجد من شرح الكتاب تحييزي      هذا إذا اختلف أتماء الناس  
فقد استخدم لسان الدين عدداً من أعلام اللغة العربية في توريته، ففي قوله "أبي العباس" يتبادر إلى الذهن أبو العباس المبرد عالم النحو، أما المراد هنا فهو اللحم المعروف بالمبرد. وقوله "سفيان" أراد لحم الثور وليس سفيان الثوري، أما في قول "ولجد من شرح الكتاب"، يتبادر إلى ذهن السامع أنه يريد ابن خروف شارح كتاب سيبويه، لكن الشاعر أراد هنا لحم الخروف.

وفي قوله في شأن جارية<sup>(٣)</sup>:

ومن يجد بالخبز من حقه      أن يودم الخبز بزيتونه  
يتبادر إلى ذهن السامع أنه أراد الزيتون الذي يؤكل إلا أن الشاعر أراد هنا جارية تدعى زيتونة<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر: محمد خفاجي، الأدب الأندلسي التطور والتجديد، ص ٣٠٩.

(٢) لسان الدين ابن الخطيب، ديوان لسان الدين ابن الخطيب، ج ٢، ص ٧٢١.

(٣) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٦٣٤.

(٤) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٦١٤.

واستخدم الشعراء الجناس بنوعيه التام والناقص ، وتحدث النقاد عن قيمة الجناس في العمل الفني، ووجدوا أن خير الجناس وأحلاه ما وقع من غير قصد من المتكلم، ولا يكون الجناس مقبولاً حتى يكون المعنى هو الذي طلبه واستدعاه<sup>(١)</sup>.

ويعود جمال الجناس غير المتكلف إلى ذلك الجرس الموسيقي الصادر عن تكرار الكلمات المتماثلة ناقصاً كان أو تاماً. ومن ذلك قول ابن زمرك<sup>(٢)</sup>:

ومدارة الأفلاك أعجز كُنهها      إيداع كل مهندس ومُهْنِمِ  
فهو يجانس جناساً ناقصاً بين "مهندس" و "مهنم" موفراً إيقاعاً موسيقياً للبيت.

وقول ابن فركون<sup>(٣)</sup>:

كلُّ قلبٍ منَّابها في اشتغال      كلُّ جسمٍ منها رهينُ اشتغال  
فقد جانس بين "اشتغال" و "اشتعال".

ومن الأمثلة على الجناس الناقص أيضاً قول عبد الكريم القيسي<sup>(٤)</sup>:

فرئتُ إليَّ من الحياءِ بمقلبةٍ      قانئةٌ ما كُهلها إلا الكحلُ  
فجانس بين "الكحل" وهو ما تزين به المرأة عينها و "الكحل" وهي السواد في أجفان العين خلقة.

وقد أدى استخدام الشعراء الجناس التام الذي تشابهت أصوات كلماته واختلفت معانيها إلى زيادة النغم الموسيقي في الأبيات الشعرية، وجعل البيت أشبه بفاصلة موسيقية. ومن ذلك ما جاء في قول لسان الدين ابن الخطيب<sup>(٥)</sup>:

(1) انظر: عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص ٧.

(2) المقري، نفع الطيب، ج ٧، ص ١٨٧.

(3) ابن فركون، ديوان ابن فركون، ص ٣١٧.

(4) عبد الكريم القيسي، ديوان عبد الكريم القيسي، ص ٣٨.

(5) لسان الدين ابن الخطيب، ديوان لسان الدين ابن الخطيب، ج ١، ص ١٥١.

وما استعبرت من طرب ولكن يُذكرني الرباب هوى الرباب

فالرباب الأولى أراد بها الآلة الموسيقية، أما الرباب الثانية فهي محبوبته .

وفي قول ابن زمرك<sup>(١)</sup>:

طلع البدرُ جانبَ الحمراءِ وهوى بالحلّة الحمراءِ

فحمراء الأولى هي قصر الحمراء، أما الثانية فهي لون ثياب السلطان، وهذا الجناس يضيفي

على البيت موسيقى خاصة .

كما استخدم الشعراء الطباق في وصفهم مظاهر الحياة الاجتماعية وبدا غير متكلف

أكسب الشعر قيمة جمالية، إذ مكن الشعراء من المقارنة بين موقفين متناقضين وصورتين

متخالفتين في بيت واحد أو شطر واحد<sup>(٢)</sup> . وفي استخدام الشعراء للطباق أثر واضح على موسيقى

الشعر .

وقد وظف ابن ليون التجيبي الطباق في النهي عن الكذب والحث على الصدق في جميع

الأحوال، يقول<sup>(٣)</sup>:

الصدق عزٌّ فلا تعدل عن الصدق واحذر من الكذب المذموم في الخلق

(١) ابن زمرك، ديوان ابن زمرك، ص ٢٧٧ .

(٢) فاطمة العبد اللات، شعر الرثاء في الأندلس، ص ٢١٩ .

(٣) المقرئ، نفع الطيب، ج ٥، ص ٥٦٥ .

فطابق بين "الصدق" و "الكذب" .

واستخدم ابن الجياب الطباقي في المقارنة بين القهوة والخمرة<sup>(١)</sup>:

تَبَصَّرُ فَحِمْمَا الْقَهْوَتَيْنِ تَخَالِفَا      فَكَمْ بَيْنَ إِثْبَاتٍ لِعَقْلِ وَإِزْهَاقِ  
فطابق بين إثبات وإزهاق .

ومن الفنون البديعية التي برزت في الشعر الاجتماعي وكان لها دور في تشكيل الإيقاع الموسيقي: الموازنة، ورد العجز على الصدر، والتصريح، والترصيع، ولزوم ما لا يلزم، والاتفات .

أما الموازنة فهي أن يكون صدر البيت الشعري وعجزه متساويي الألفاظ وزناً، مما يضفي موسيقى داخلية جميلة على البيت الشعري، مثال ذلك قول ابن فركون<sup>(٢)</sup>:

قَدْ يُجْتَلَى حُسْنُهَا لَوْلَا تَقْتَعُهَا      وَيُجْتَنَى زَهْرُهَا لَوْلَا تَجَنَّبُهَا  
قول ابن جزى الكلبي<sup>(٣)</sup>:

شُمُوسٌ إِذَا مَا أَمَطُنَ النَّقَابَ      بُدُورٌ إِذَا مَا حَلَلْنَ الْعَقَاصَا

كما عمد بعض الشعراء إلى استخدام أسلوب ردّ العجز على الصدر لإضفاء رونق وجمال خاص على الشعر، وهو أن يأتي الشاعر بلفظين مكررين أو متجانسين فيجعل أحدهما في أول الجملة والآخر في آخرها، أو أن يكون أحدهما في الشطر الأول والثاني في الشطر الآخر<sup>(٤)</sup> . مثال ذلك قول أبي حيان في زوجته زمرد<sup>(٥)</sup>:

(١) المقرري، نفع الطيب، ج٦، ص ١٢٤ .

(٢) ابن فركون، ديوان ابن فركون، ص ٢٦٠ .

(٣) ابن الأحمر، تثير فرائد الجمان، ص ٢٩٨ .

(٤) انظر: عباس، فضل حسن، البلاغة فنونها وأفنانها، ط٧، دار الفرقان، عمان، ٢٠٠٠م، ص ٣٠٨ .

(٥) المقرري، نفع الطيب، ج٢، ص ٥٦٧ .



جُنُنتُ بِهَا سَوْدَاءَ لَوْنٍ وَنَاظِرٍ      وَيَا طَالَمَا كَانَ الْجَنُونَ بِسَوْدَاءِ  
وقول ابن زمرك مهناً السلطان الغني بالله باقتصاده<sup>(١)</sup>:

فَصَدَّ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ فَلِذَلِكَ مَا      سَمَحَتْ لَهُ مَنَّا النَّفُوسُ بِأَنْ فَصَدُّ  
وفي قول عبد الكريم القيسي<sup>(٢)</sup>:

رَأَيْتُ عَظِيمَةً أَشْفَقْتُ مِنْهَا      وَشِيمَةً سَيِّدِي دَفَعُ الْعِظَائِمُ

وقد يلجأ بعض الشعراء إلى التصريح في مطلع القصيدة؛ "وهو ما كانت عروض البيت فيه تابعة

لضربه"<sup>(٣)</sup>، لإضفاء موسيقى داخلية على البيت الشعري<sup>(٤)</sup>. مثال ذلك قول ابن زمرك<sup>(٥)</sup>:

يَا مَنْ يَحِنُّ إِلَيَّ نَجِدْ وَنَادِيهَا      غَرْنَاطَةٌ قَدْ ثَوَّتْ نَجْدُ بَوَادِيهَا  
وقول لسان الدين ابن الخطيب<sup>(٦)</sup>:

يَا دُرَّةً لِلْمَجْدِ مَكُونُهُ      حَاجَةٌ مُثْلِي مِنْكَ مَضْمُونُهُ

ولجأ بعض الشعراء إلى التصريح للتنويع في الموسيقى، وهو أن يكون حشو البيت مسجوعاً<sup>(٧)</sup>.

مثال ذلك قول لسان الدين في رثاء أبي الحجاج<sup>(٨)</sup>:

- 
- (١) ابن زمرك، ديوان ابن زمرك الأندلسي، ص ٢٤٤.  
(٢) عبد الكريم القيسي، ديوان عبد الكريم القيسي، ص ٣٤٤.  
(٣) ابن رشيق القيرواني، أبو علي الحسن بن رشيد (ت ٤٥٦هـ/١٠٦٣م). العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ط ٥، دار الجليل، بيروت، ١٩٨١م، ج ١، ص ١٧٣.  
(٤) انظر: إبراهيم أنيس، موسيقى الشعر، ص ٢٧٦.  
(٥) المقرئ، نفع الطيب، ج ٧، ص ١٧١.  
(٦) لسان الدين ابن الخطيب، ديوان لسان الدين ابن الخطيب، ج ٢، ص ٦١٤.  
(٧) أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين، ص ٣٧٥.  
(٨) لسان الدين ابن الخطيب، ديوان الصيب والجهم والماضي والكهام، ص ٥٣١.

إِمَامُ الْهُدَى غِيثُ النَّدى دَافِعُ الْعِدا      بَعِيدُ الْمُدَى فِي حَوْمَةِ الْمَجْدِ وَالْفَخْرِ  
فيظهر الترصيع هنا في (الهدى، الندى، العدا، المدى) مما يزيد من الإيقاع الموسيقي للبيت،  
ويجعله حسناً تتقبله الأذان.

وكذلك قول ابن زمرك<sup>(١)</sup>:

وَمِنَ الْعَجَائِبِ أَنْ يُرَى بِحَرِّ النَّدى      طَوْذُ الْهُدَى يَسْرِي عَلَى الْأَعْنَاقِ

واستخدم الشعراء لزوم ما لا يلزم، وهو تكرار حروف معينة في القافية لا تتطلبها قواعد علم  
القافية؛ إنما يكون ذلك لزيادة الإيقاع الموسيقي للقصيدة<sup>(٢)</sup>، مثال ذلك قول ابن زمرك يمدح السلطان  
الغني بالله<sup>(٣)</sup>:

فَاضَتْ عَلَيْنَا مِنْ نَدَاكَ غَمَائِمٌ      وَتَفَجَّرَتْ مِنْ رَاحَتَيْكَ بُحُورًا  
نَعْمٌ مَنُوعَةٌ تَعْدَدُ وَفُرُهَا      أَعْجَزَتْ عَنْهَا شُكْرِي الْمَوْفُورًا  
فِي مَوْسَمٍ لِلدِّينِ قَدْ جَدَّدَتْهُ      وَأَقَمْتَ فِينَا عَيْدَهُ الْمَشْهُورًا  
أَضْعَافَ مَا أَهْدَيْتَنَا مِنْ مَنَّةٍ      تُهْدِي إِلَيْكَ ثَوَابَهَا عَاشُورًا

فقد ساهم تكرار الحروف في القافية في تحسين الإيقاع الموسيقي للقصيدة.

وقول أبي البركات البليقي<sup>(٤)</sup>:

أَيَّا ضُ شَيْبٍ وَاحْمِرَارُ ثِيَابِ      أَيْنَ التَّنَاسُبِ يَا أُولِي الْأَبَابِ  
تُبْدِي الْخَضَابَ وَقَدْ مَضَى زَمْنُ الصَّبَا      وَقَضَى عَلَيْكَ بَفَرْقَةِ الْأَحْبَابِ

(١) ابن زمرك، ديوان ابن زمرك الأندلسي، ص ٤٤٧.

(٢) انظر: علي النقراط، ابن الجياب الغرناطي: حياته وشعره، ص ٣٩٣.

(٣) المقري، فح الطيب، ج ٧، ص ١٧٦.

(٤) أبو البركات البليقي، شعر أبي البركات البليقي، ص ٢٧.

أما الالتفات، وهو نقل الكلام من أسلوب إلى أسلوب، فيرى فيه الزمخشري نظرية لنشاط السامع وإيقاظاً للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد<sup>(١)</sup>. وقد استخدم عبد الكريم القيسي هذا الأسلوب في التعريض بالقاضي ابن مفضل، يقول<sup>(٢)</sup>:

أُمْبُوتَةٌ تَهْوَى الرَّجُوعَ لِرُجُوعِهَا      عَلَيْكَ بِقَاضِي بَسْطَةِ ابْنِ مُفَصَّلٍ

فانتقل من مخاطبة المرأة إلى مخاطبة الرجل.

ومجمل القول في لغة الشعر الاجتماعي أنها كانت سهلة وواضحة ورقيقة لم يعمد الشعراء إلى المعقد منها والوحشي، فقد كانت مستمدة من البيئة الأندلسية التي اتسمت بالحضارة والرقى. أما أسلوب الشعر الاجتماعي فكان سهلاً مناسباً لموضوعاته، تحقق فيه جمال النظم، وحسن السبك، وعذوبة الموسيقى.

### الصورة الشعرية:

تجلى أهم خصائص الشعر في الصور الشعرية، لأن الشعر لا يمكن أن يؤثر في المتلقي إلا بما يوفر فيه من إيجاء وخيال. ولا يخفى أن النقاد يضعون للصورة الاعتبار الأول لكل إبداع شعري، لأنها في حقيقة الأمر تسمو بالنتاج كلما كانت صادقة، ومتراطة، وناقلة للتجربة الناضجة في أصالة وعمق.

والصورة الشعرية هي نقل تجربة حسية أو حالة عاطفية من الشاعر إلى المتلقي في شكل فني تتخذه الألفاظ والعبارات، بعد أن ينظمها الشاعر في سياق بياني خاص، مستخدماً

(١) انظر: الزمخشري، أبو القاسم، جار الله محمود بن عمر (٥٣٨هـ)، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق محمد الصادق فحماوي، الطبعة الأخيرة، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي وأولاده، مصر، ١٩٧٢م، ج١، ص٦٤.

(٢) عبد الكريم القيسي، ديوان عبد الكريم القيسي، ص٢٤٥.

طاقات اللغة وإمكاناتها في الدلالة، والتركيب، والإيقاع، والمجاز وغيرها من وسائل التعبير الفني<sup>(١)</sup>.

ويسمي حازم القرطاجني الصورة تخيلاً وهو "أن تمثل للسامع من لفظ الشاعر المخيل أو معانيه أو أسلوبه ونظامه وتقوم في خياله صورة أو صور ينفع لتخيّلها وتصورها"<sup>(٢)</sup>.

وقد غلب على الشعر الأندلسي الخيال البديع الذي نمته في ملكات الشعراء ضروب الجمال المنتشرة في شبه جزيرتهم، وساعدهم ذلك على أن يجودوا التشبيه، ويكثرُوا من استعمال المجاز والكنية في شعرهم، ولا بدع، فقد كانت الأندلس مسرح الخيال بما ركب الله في طبيعتها من فنون السحر والجمال، لذلك أتى شعراء الأندلس منه بالعجب العجائب في أشعارهم، فلهم التشبيهات البديعة، والاستعارات الفاتنة، والتوليدات العجيبة، والأخيلة الرائعة<sup>(٣)</sup>.

وقد استعان شعراء الأندلس بالصورة الشعرية في نقل الكثير من مظاهر حياتهم الاجتماعية، معتمدين في تصويرها ووصفها على التشخيص والتجسيم والوصف، مستخدمين ضروب علم البيان من تشبيه واستعارة وكناية؛ فالشيء "يعرف بما يحاكيه أو بما يحاكي ما يحاكيه"<sup>(٤)</sup>، كما أن "النفوس تنشط وتلتذ بالحكاية"<sup>(٥)</sup>.

وقد ألهمت الطبيعة الفاتنة الشعراء صوراً هي من أرقى ما خُطت أقلامهم، واعتمد الشعراء بصورة جليلة على مظاهر الطبيعة الصامتة والمتحركة في تشكيل صورهم. فنجد عبد الكريم القيسي يصوّر العذار في وجه الغلام بالروض الذي يزهب بالأزهار والأوراق معاً، فيقول<sup>(٦)</sup>:

(١) انظر: هدية، محمد علي، الصورة في شعر الديوانيين بين النظرية والتطبيق، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٨٤م، ص ٤٧.

(٢) حازم القرطاجني، منهاج البلغاء، ص ٨٩.

(٣) انظر: محمد خفاجي، الحياة الأدبية، ص ٤٨.

(٤) حازم القرطاجني، منهاج البلغاء، ص ٩٤.

(٥) المصدر نفسه، ص ١١٧.

(٦) عبد الكريم القيسي، ديوان عبد الكريم القيسي، ص ٤٤٥.

عابوا العذار وقالوا الحُسنَ غَيْرُهُ      ضَلُّوا بِقَوْلِهِمْ عَنُ أَوْضَحِ الطُّرُقِ  
كَمْ بَيْنَ رَوْضِ زَهَا بِالزَّهْرِ مَنْفَرِدًا      وَيَسْنُ رَوْضِ زَهَا بِالزَّهْرِ وَالسُّورِقِ

ونجد لسان الدين ابن الخطيب يَصوِّرُ رؤوس القوم في صلاتهم كأنها أقاح داعبتها الرياح<sup>(١)</sup>:  
كَأَنَّ رُؤُوسَ الْقَوْمِ عِنْدَ صَلَاتِهِمْ      وَقَدْ أَوْمَأَتْ لِلأَرْضِ صُفْرُ شَوَاشِيهَا  
أَقَاحِ أَمَاتِهَا الرِّيحُ عَلَى التَّرَى      وَقَدْ أَسْقَطَتْ عَنْهَا بَيَاضَ حَوَاشِيهَا

ويصوِّرُ أبو البقاء الرندي تساقط قطرات الماء من شعر إحداهن وكأنها حبات طل تساقط  
من جناح غراب مصوراً بذلك شدة سواد شعرها، فيقول<sup>(٢)</sup>:

والماء يُقَطِّرُ مِنْ ذَوَائِبِ شَعْرِهَا      كَالطَّلِ يَسْقُطُ مِنْ جَنَاحِ غُرَابِ

واستخدم الشعراء التشخيص والتجسيم في تصوير مظاهر الطبيعة، فنجد الشاعر أبا عبد  
الله القلطوسي يَصوِّرُ الأرض فتاة تتخذ من الأزهار برداً لها ومن النهر وشاحاً<sup>(٣)</sup>:

وَالأَرْضُ قَدْ لَبَسَتْ بُرُودَ أَزْهَارِ      وَتَمَنُّطَقَتْ مِنْ نَهْرِهَا بِوَشَاحِ

كما يَصوِّرُ الجو إنساناً يبكي لتضحك الورود والأزهار، يقول<sup>(٤)</sup>:

وَالجَوُّ إِذْ يَبْكِي بِدُمْعِ غَمَامَةٍ      ضَحِكَ الرِّيحُ لَهُ بِشَعْرِ أَقَاحِ

والأرض عند ابن زمرك إنسان يقيم سنن القرى<sup>(٥)</sup>:

حَتَّى الْفُلاةُ تُقِيمُ يَوْمَ وَرَدَتْهَا      سُننَ القَرَى بِثَلَاثَةِ الأَثْوَارِ

(١) لسان الدين ابن الخطيب، ديوان الصيب والجهم والماضي والكهام، ص ٦٥٢.

(٢) لسان الدين ابن الخطيب، الإحاطة، ج ٣، ص ٣٧١.

(٣) لسان الدين ابن الخطيب، الكتيبة الكامنة، ص ٧٢.

(٤) المصدر نفسه، ص ٧٢.

(٥) المقرئ، نفع الطيب، ص ٧، ج ١٥٦.

وكان للواقع الحربي الذي عاشه المسلمون في ذلك العصر أثر في الصورة الشعرية . فابن فركون

يصور الأرض وقد كسا الثلج ثمارها بهيئة الفرسان في ساحة القتال، يقول<sup>(١)</sup> :

تَسَاقَطَ فِيهِ الثَّلَجُ لِلأَرْضِ مِثْلَمَا      تَنَاقَرَ عَقْدُ الدَّرِّ مِنْ كَفِّ نَاطِمِ  
تَخَالُ ثَمَارُ الأَرْضِ فِيهِ فَوَارِسًا      بِخُضْرِ ثِيَابِ تَحْتِ بَيْضِ عَمَائِمِ

وابن سهل الإسرائيلي يصور الطفل يأبى إلا ظهور الخيل مهادا، ودم الأبطال شرابا<sup>(٢)</sup> :

لَا تَحْمَلُوهُ عَلَى المَهودِ فَإِنَّهُ      لِيَرَى ظُهُورَ الخَيْلِ أَوْ طَأَ مَرْكَبِ  
وَلتَنْقَطُوهُ عَنِ اللِّبَانِ فَإِنَّهُ      لِيَرَى دَمَ الأَبطَالِ أَحلى مَشْرَبَا

واستعان الشعراء بالألفاظ الدالة على الحركة في تشكيل صورهم، ومثال ذلك قول ابن

زمرك<sup>(٣)</sup> :

أُثْبِتَ فِيهِ الرِّيحُ ثُمَّ تَرَكَهُ      خَضِبَ الجَوَانِحِ بِالدَّمِ المَوَارِ  
حَامَتُ عَلَيْهِ الذَابِلَاتُ كَأَنَّهَا      طَيْرٌ أَوَتْ مِنْهُ إِلَى أوكَارِ

وقول ابن فركون في وصف أحد الراقصين<sup>(٤)</sup> :

وَلَكُمُ رَاقِصٌ يَرُوقُ انْعَاطِفًا      كَتَضْيِيبِ فِي دَوْحِهِ مِيَّالِ  
طَرِبًا مَالًا عَطْفُهُ وَتَنَسَّى      كَالرُّبِيِّ فِي يَدِ الصَّبَا وَالشَّمَالِ

واستخدم الشعراء الكناية في رسم صورهم الشعرية مما أكسب أشعارهم قيمة إيحائية

جميلة . ومن ذلك قول ابن خاتمة في وصف إحداهن<sup>(٥)</sup> :

(١) ابن فركون، ديوان ابن فركون، ص ٢٨٥ .

(٢) ابن سهل الإسرائيلي، ديوان ابن سهل الإسرائيلي، ص ٥٦ .

(٣) المقري، نفع الطيب، ج٧، ص ١٧٦ .

(٤) ابن فركون، ديوان ابن فركون، ص ٣١٨ .

(٥) ابن خاتمة الأنصاري، ديوان ابن خاتمة، ص ٨٦ .

صَمَّتْ خَلَاخِلُهَا وَأَنْ وَشَاحِهَا      وَكَلَاهُمَا مِثْلِي غَدَا مَوْصُوبِهَا  
فقد كنى ابن خاتمة عن أكتناز ساق الفتاة بصمت خلخالها، كما كنى عن دقة خصرها بأنين  
وشاحها .

ومن ذلك قوله<sup>(١)</sup>:

خَصِيْبَةٌ طَيِّبَةُ الْأَزْرِ جَدْبٌ وَشَاحِهَا      فَرْدَفٌ لِبَغْدَادٍ وَعَطْفٌ لِيَثْرِبِ  
فكنى عن امتلاء ردفها ببغداد لخصبها، وعن دقة خصرها بيثرب لجذبها .

ومن الكناية قول لسان الدين ابن الخطيب<sup>(٢)</sup>:

صَبُوتٌ وَمَا قَلْبِي بِأَوْلَ مَنْ صَبَا      لِنَاطِقَةِ الْقُرْطَيْنِ صَامِتَةِ الْقَلْبِ  
فكنى عن طول رقبة الفتاة بنطق القرطين، وعن أكتناز ساعدتها بصمت القلب .

وقد تطرّق الشعراء في هذا العصر إلى صور استخدمها الشعراء في القديم . وكثيراً ما يعرض  
الشاعر الأندلسي الصورة الموروثة الشرقية عرضاً جديداً، فيعطيها الجدة والطرافة، ومن هذه الصور  
تصوير الكرم بالغمامة والندى والبحر، كما في قول ابن فركون<sup>(٣)</sup>:

أرسلت من جدواك صوب غمامة      يروي على حكم الندى سلسبيلها  
وقول ابن زمرك<sup>(٤)</sup>:

فَاضَتْ عَلَيْنَا مِنْ نَدَاكَ غَمَائِمٌ      وَتَفَجَّرَتْ مِنْ رَاحَتِكَ بُحُورًا

(١) ابن خاتمة الأنصاري، ديوان ابن خاتمة، ص ٧٢ .

(٢) لسان الدين ابن الخطيب، ديوان الصيب والجهام والكمّام، ص ٢٧٢ .

(٣) ابن فركون، ديوان ابن فركون، ص ٢٢٤ .

(٤) المقرئ، نفع الطيب، ج ٧، ص ١٧٦ .

وقول ابن فركون<sup>(١)</sup>:

أَتَى وَافِدًا مِنْ عَالَمِ الْكَوْنِ رَاجِيًا      نَدَاكَ الَّذِي تَسْتَمَطِرُ السُّحُبُ عَنْهُ

وقول عبد الكريم القيسي، في وصف جسم الفتاة المنعمة بالفضة البيضاء<sup>(٢)</sup>:

جِسْمٌ مِنَ الْفِضَّةِ الْبَيْضَاءِ مَعْتَدِلٌ      تَخَالَهُ مَشْرَبًا مِنْ حَسَنِهِ ذَهَبًا  
إِذِ يُدْ لَمَسْتُهُ مِنْ غَضَاضَتِهِ      وَحَسَنِ نِعْمَتِهِ أَبْقَتْ بِهِ نَدْبًا

مما تقدم يتجلى لنا إبداع شعراء الأندلس في رسم صورهم، سواء ابتكروا هذه الصور، أم استقادوا فيها من الصور المعروفة في الشعر العربي.

(١) ابن فركون، ديوان ابن فركون، ص ٢٤٢.

(٢) عبد الكريم القيسي، ديوان عبد الكريم القيسي، ص ٣٩٦.



## الخاتمة

حاول هذا البحث إعطاء صورة واضحة عن مظاهر الحياة الاجتماعية في الأندلس في عصر بني الأحمر، من خلال دراسة الشعر الاجتماعي في تلك الحقبة. وفيما يلي أبرز النتائج التي توصل إليها هذا البحث:

أولاً: يعدّ الشعر الاجتماعي وثيقة مهمة تفيد في التعريف بالحياة الاجتماعية في عصر بني الأحمر.

ثانياً: أنّ الشعر الاجتماعي يعد ميداناً مهماً لدراسة الحياة الأسرية في غرناطة ورسم صورة واضحة للعلاقات الأسرية التي سادت بين أفراد الأسرة.

ثالثاً: رسم الشعر الاجتماعي صورة واضحة لعادات المجتمع الغرناطي وتقاليد، وبين تمسك المجتمع الغرناطي بالمثل والأخلاق العربية والإسلامية.

رابعاً: نتيجة لحياة الترف والحضارة التي عاشها الغرناطيون، انتشرت في مجتمهم آفات اجتماعية، صورها الشعر الاجتماعي، كانتشار تناول الحشيش والمخدرات وشيوع ظاهرة الغزل بالغلman.

خامساً: كان للشاعر الأندلسي دور مهم في نقد مظاهر الفساد الاجتماعي من انقلاب للقيم وفساد في الأخلاق.

سادساً: تفنّن الأندلسيون في صناعة ملابسهم واستخدموا أصنافاً كثيرة من الأقمشة والخيوط، وقد عرف الشعر الاجتماعي بأنواع عديدة من ملابس الرجال والنساء. كما عرف عن أهل الأندلس حرصهم على أن يظهروا بمظهر لائق فاتخذوا الطيب وأنواع العطور ومواد الزينة. وقد ورد وصفها في الشعر.

سابعاً: أحب الأندلسيون الغناء وأغرموا به، فأقاموا مجالس للغناء والشراب، وعمد الشعراء إلى وصف هذه المجالس وما كان فيها من رقص وغناء وموسيقى وشراب، فوصفوا الآلات الموسيقية، والمغنين والراقصين والسقاة وأدوات الشراب.

ثامناً: صور الشعراء الاجتماعي احتفالات أهل غرناطة بالأعياد والمناسبات المختلفة، وسجل أخبار هذه الاحتفالات وما كان يقام فيها من مظاهر الفرح وأنواع البهجة.

تاسعاً: أحب الأندلسيون العمل، وكرهوا أن يرى أحدهم عاطلاً دون عمل، فكان الأندلسي يجهد نفسه لأن يتميز في صنعه ويبرع في عمله، لهذا فقد تعددت الحرف وتنوعت المهن، وقد وصف الشعراء الاجتماعي بعض هذه المهن وأصحابها.

عاشراً: اتسمت لغة الشعر الأندلسي بالسهولة والوضوح والرقّة والفصاحة، فكانت بعيدة عن الابتذال والغرابة. ويعود هذا إلى سهولة طباع الأندلسيين وإلى لين أخلاقهم، وإلى البساطة والوضوح في حياتهم، وإلى رقة الطبيعة الأندلسية وجمالها.

حادي عشر: عمد الشعراء إلى اختيار الألفاظ السهلة والتراكيب البسيطة، فاتسم أسلوبهم بالبعد عن التكلف والتصنع.

ثاني عشر: استوحى الشعراء صورهم الشعرية من مظاهر الطبيعة الصامتة والمتحركة.

ثالث عشر: أبدع شعراء هذا العصر في رسم صورهم الشعرية سواء ابتكروا هذه الصور أم

استقادوا فيها من الصور المعروفة في الشعر العربي.

## المصادر والمراجع

### المصادر:

- القرآن الكريم
- ابن الأحمر، أبو الوليد إسماعيل بن يوسف، (ت ٨٠٧هـ / ١٤٠٤م). نثر فرائد الجمان في نظم فحول الزمان، (تحقيق محمد رضوان الداية)، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٧م.
- الإدريسي، أبو عبد الله محمد بن محمد الحسيني، (ت ٥٦٠هـ / ١١٦٥م). نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٩م.
- البخاري، محمد بن إسماعيل، (ت ٢٥٦هـ / ٨٧٠م). صحيح البخاري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٨٩٥م.
- \_\_\_\_\_ . الأحاديث القدسية، ط٤، وزارة الأوقاف، القاهرة، ١٩٨٣م.
- أبو البركات البلقيني، محمد بن محمد ابن الحاج، (ت ٧٧١هـ / ١٣٦٩م). شعر أبي البركات ابن الحاج البلقيني، (عناية عبد الحميد عبد الله الهرامة)، مطبوعات مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دبي، د. ت.
- ابن بسام الشنتري، أبو الحسن علي بن بسام، (ت ٥٤٢هـ / ١١٤٧م). الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، (تحقيق إحسان عباس)، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٩م.
- ابن بطوطة، أبو عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي، (ت ٧٧٩هـ / ١٣٧٧م). رحلة ابن بطوطة المسماة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ط٤، ج٢، (حققه علي المنتصر الكتاني)، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٥م.
- ابن البيطار، ضياء الدين عبد الله بن أحمد الماتقي، (ت ٦٤٦هـ / ١٢٤٨م). الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، المجلد الثالث، د. ت.
- الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن، (ت ٤٧٤هـ / ١٠٧٨هـ). أسرار البلاغة، ط١، (قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر)، دار المدني، جدة، مطبعة المدني، القاهرة، ١٩٩١م.

- ابن الجزري، أبو الخير محمد بن محمد، (ت ٨٣٣هـ / ١٤٢٩م). غاية النهاية في طبقات القراء، عني بنشره ج. برجستراستر، ط ٣، ٢م، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٢م.
- الجوهرى، إسماعيل بن حماد، (ت ٣٩٣هـ / ١٠٠٢م). تاج اللغة وصحاح العربية، ط ٢، (تحقيق أحمد عبد الغفور عطار)، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٩م.
- ابن الحاج النميري، إبراهيم بن عبد الله النميري، (ت ٧٦٨هـ / ١٣٦٧م). ديوان إبراهيم بن الحاج النميري، (تقديم وضبط عبد الحميد عبد الله الهرامة)، المجمع الثقافي، أبوظبي، ٢٠٠٣م.
- ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أحمد بن علي، (ت ٨٥٢هـ / ١٤٤٩م). الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، دار الجليل، بيروت، د. ت.
- ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي، (ت ٤٥٦هـ / ١٠٦٤م). طوق الحمامة في الألفه والألاف، ط ١، (قدم له وضبطه صلاح الدين الهواري)، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ٢٠٠٠م.
- الحميري، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد المنعم، (ت ٩٠٠هـ / ١٤٩٥م). الروض المعطار في خبر الأقطار، (تحقيق إحسان عباس)، مكتبة لبنان، بيروت، د. ت.
- أبو حيان، محمد بن يوسف الغرناطي، (ت ٧٤٥هـ / ١٣٤٤م). ديوان أبي حيان، ط ١، (تحقيق أحمد مطلوب وخديجة الحديثي)، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٦٩م.
- ابن خاتمة الأنصاري، أحمد بن علي، (ت بعد ٧٧٠هـ / بعد ١٣٦٩م)، ديوان ابن خاتمة، (تحقيق محمد رضوان الداية)، دار الفكر، بيروت، دار الفكر، دمشق، د. ت.
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، (ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م). التعريف بابن خلدون ورحلته شرقاً وغرباً، المنشور في آخر جزء من تاريخ ابن خلدون، ج ١٤، دار الكتاب اللبناني ومكتبة المدرسة، بيروت، ١٩٨٣م.
- \_\_\_\_\_ . مقدمة ابن خلدون، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، د. ت.
- ابن خلكان، أحمد بن محمد، (ت ٦٨١هـ / ١٢٨٢م). وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ٨م، (تحقيق إحسان عباس)، دار الثقافة، بيروت، د. ت.

- ابن دحية الكلبي، أبو الخطاب عمر بن حسن، (ت ٦٣٣هـ / ١٢٣٦م). المطرب من أشعار أهل المغرب، (تحقيق إبراهيم الأبياري وحامد عبد المجيد وأحمد أحمد بدوي)، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩٥٤م.

- ابن رشيق القيرواني، أبو علي الحسن بن رشيق، (ت ٤٥٦هـ / ١٠٦٣م). العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ط ٥، دار الجليل، بيروت، ١٩٨١م.

- الزبيدي، أحمد بن عبد اللطيف، (ت ٨٩٣هـ / ١٤٨٨م). مختصر صحيح البخاري، (تحقيق إبراهيم بركة)، ط ١، دار النفائس، بيروت، ١٩٨٥م.

- الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر، (ت ٥٣٨هـ / ١١٤٢م). الكشاف عن حقائق التنزيل وعلوم القرآن في وجوه التأويل، ط الأخيرة، (تحقيق محمد الصادق فحماوي)، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي وأولاده، مصر، ١٩٧٢م.

- ابن زمرك، محمد بن يوسف الصريحي، (ت بعد ٧٩٧هـ / ١٣٩٥م). ديوان ابن زمرك الأندلسي، ط ١، (تحقيق محمد توفيق النيفر)، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٧م.

- ابن سعيد المغربي، علي بن موسى، (ت ٦٨٥هـ / ١٢٨٦م). المغرب في حلى المغرب، ط ٣، (تحقيق شوقي ضيف)، دار المعارف، القاهرة، د. ت.

- ابن سهل الإسرائيلي، إبراهيم بن سهل، (ت ٦٤٩هـ / ١٢٥١م). ديوان ابن سهل الإسرائيلي، (تحقيق محمد قوبعة)، الجامعة التونسية، تونس، ١٩٨٥م.

- الصفدي، خليل بن أبيك، (ت ٧٦٤هـ / ١٣٦٢م). الوافي بالوفيات، ٣٠م، باعتناء هلموت ريتز، (تحقيق مجموعة محققين)، المعهد الألماني للأبحاث الشرقية، بيروت، ١٩٦٢م، ١٩٦٢-٢٠٠٤م.

- \_\_\_\_\_ . أعيان العصر وأعيان النصر، ط ١، ٦م، (تحقيق علي أبو زيد وآخرون)، دار الفكر، دمشق، ودار الفكر، بيروت، ١٩٩٨م.

- أبو الطيب المتنبي، أحمد بن الحسين، (ت ٣٥٤هـ / ٩٦٥م). ديوان أبي الطيب المتنبي بشرح أبي البقاء العكبري، ضبطه وصححه مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ شليبي، دار المعرفة، بيروت، د. ت.

- ابن عذاري، محمد (أو أحمد) بن محمد المراكشي، (ت نحو ٦٩٥هـ / ١٢٩٥م). البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ط ٢، ج ٣، (تحقيق ج. س. كولان، ولي-جي بروفسال)، دار الثقافة، بيروت، ١٩٨٠م.

- العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله، (ت بعد ٣٩٥هـ / ١٠٠٥م). كتاب الصناعتين، ط ١، (تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم)، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٥٢م.

- ابن فركون، أبو الحسين بن أحمد بن سليمان القرشي، (?). ديوان ابن فركون، ط ١، (تقديم وتعليق محمد ابن شريفة)، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، المغرب، ١٩٨٧م.

- ابن فضل الله العمري، أحمد بن يحيى، (ت ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م). مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، (تحقيق عبد القادر خريسان وآخرون)، الجزء الرابع في اليمن والمغرب والأندلس وأفريقيا، مركز زايد للتراث والتاريخ، دبي، د. ت.

- ابن القاضي، أحمد بن محمد المكناسي، (ت ١٠٢٥هـ / ١٦١٦م). درة المجال في أسماء الرجال، (تحقيق محمد الأحمد أبو النور)، دار التراث، القاهرة، ١٩٧٢م.

\_\_\_\_\_ . جذوة الاقتباس، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، ١٩٧٣م.

- القرطاجني، أبو الحسن حازم بن محمد، (ت ٦٨٤هـ / ١٢٨٥م). منهاج البلغاء وسراج الأدباء، (تقديم وتحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة)، دار الكتب الشرقية، تونس، ١٩٦٦م.

- القيسي، عبد الكريم القيسي، (?). ديوان عبد الكريم القيسي، (تحقيق جمعة شيخة ومحمد الهادي الطرابلسي)، بيت الحكمة، قرطاج، ١٩٨٨م.

- ابن الكثاني، أبو عبد الله محمد بن الحسن الكثاني، (ت نحو ٤٢٠هـ / ١٠٣٠م). التشبيهات من أشعار أهل الأندلس، ط ٢، (تحقيق إحسان عباس)، دار الشروق، بيروت والقاهرة، ١٩٨١م.

- الكتي، محمد بن شاكر، (ت ٧٦٤هـ / ١٣٦٢م). فوات الوفيات، ط ٦، (تحقيق إحسان عباس)، دار الثقافة، بيروت، د. ت.

- لسان الدين ابن الخطيب، أبو عبد الله محمد بن عبد الله السلماني، (ت ٧٧٦هـ / ١٣٧٤م). الإحاطة في أخبار غرناطة، ط ٢، ٤م، (تحقيق محمد عبد الله عنان)، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٧٣م.

- \_\_\_\_\_ . ديوان الصيب والجهام والماضي والكهام، ط ١، (تحقيق محمد الشريف قاهر)، الشركة الوطنية للنشر، الجزائر، ١٩٧٣م.

- \_\_\_\_\_ . ديوان لسان الدين ابن الخطيب، ط ١، ٢م، (تحقيق محمد مفتاح)، دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٩٨٩م.

- \_\_\_\_\_ . الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المئة الثامنة، (تحقيق إحسان عباس)، دار الثقافة، بيروت، د. ت.

- \_\_\_\_\_ . اللوحة البدرية في الدولة النصرية، ط ٢، (تحقيق محب الدين الخطيب)، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٧٨م.

- \_\_\_\_\_ . مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب، (تحقيق أحمد مختار العبادي)، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٨٣م.

- \_\_\_\_\_ . نقاضة الجراب في علالة الاغتراب، (تحقيق أحمد مختار العبادي)، دار الكاتب العربي، القاهرة، د. ت.

- مجهول، آخر أيام غرناطة: نبذة العصري في اقتضاء دولة بني نصر، ط ١، (تحقيق محمد رضوان الداية)، دار حسان، دمشق، ١٩٨٤م.

- المقري، أحمد بن محمد، (ت ١٠٤١هـ / ١٦٣١م). أزهار الرياض في أخبار عياض، (تحقيق مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ شليبي)، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٣٩م.

- \_\_\_\_\_ . نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، الطبعة الجديدة، ٨م، (تحقيق إحسان عباس)، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٤م.

- ابن منظور، أبو الفضل محمد بن مكرم، (ت ٧١١هـ / ١٣١١م). لسان العرب، ط ٣، ١٨م، دار صادر، بيروت، ٢٠٠٤م.

- الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد، (ت ٥١٨هـ / ١١٢٤م). مجمع الأمثال، (تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد)، مكتبة السنة المحمدية، ١٩٥٥م.
- النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف، (ت ٦٧٦هـ / ١٢٧٧م). رياض الصالحين، ط ١، دار السلام، القاهرة، ١٩٩٣م.
- النويري، أحمد عبد الوهاب، (ت ٧٣٣هـ / ١٣٣٣م). نهاية الأرب في فنون الأدب، ٢٨م، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة، د. ت.
- ياقوت الحموي، ياقوت بن عبد الله، (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٩م). معجم البلدان، دار الكتاب العربي، بيروت، د. ت.
- يوسف الثالث، يوسف بن يوسف، (ت ٨٢٠هـ / ١٤١٧م). ديوان ملك غرناطة يوسف الثالث، ط ٢، (تحقيق عبد الله كنون)، مكتبة الأنجلو، القاهرة، ١٩٦٥م.



## المراجع:

- إبراهيم، رجب عبد الجواد . المعجم العربي لأسماء الملابس في ضوء المعاجم والنصوص الموثقة من الجاهلية حتى العصر الحديث، ط ١، دار الآفاق العربية، القاهرة، ٢٠٠٢ م.
- أمين، أحمد . ظهر الإسلام، ط ٢، ج ٣، دار النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٩ م.
- أنيس، إبراهيم وآخرون، المعجم الوسيط، ط ٢، مجلدان، دار الفكر، د. ت.
- باشا، عبد الرحمن رأفت، شعر الطرد إلى نهاية القرن الثالث هجري، ط ١، دار النفائس، بيروت، ١٩٧٤ م.
- بروفسال، ليدبي . أدب الأندلس وتاريخها: سلسلة محاضرات عامة، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩٥١ م.
- \_\_\_\_\_ . حضارة العرب في الأندلس، ترجمة ذوقان قرقوط، دار مكتبة الحياة، بيروت، د. ت.
- بهجب، منجد مصطفى . الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، مديرية دار الكتب، الموصل، ١٩٨٨ م.
- ثريا، نصر . تاريخ أزياء الشعوب، عالم الكتب، ١٩٩٨ م.
- جبور، عبد النور . الجواربي، دار المعارف، مصر، ١٩٤٧ م.
- الجيوسي، سلمى الخضراء . الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، ط ١، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٨ م.
- الحيازي، مشهور عبد الرحمن، (١٩٨٣ م) . ديوان أبي الحسن بن الجياب، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن.
- الحجبي، عبد الرحمن علي . التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، ط ١، دار القلم، دمشق - بيروت، ودار القلم، الكويت - الرياض، ١٩٧٦ م.
- حسن، حسن علي . الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس: عصر المرابطين والموحدين، ط ١، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٠ م.

- أبو حسين، محمد صبحي . صورة المرأة في الأدب الأندلسي في عصر الطوائف والمرابطين، عالم الكتب الحديث، الأردن، ٢٠٠٣م.
- الحسيني، قاسم . الشعر الأندلسي في القرن التاسع الهجري: موضوعاته وخصائصه، ط١، الدار العالمية، بيروت، والدار العالمية للكتاب، المغرب، ١٩٨٦م.
- الحمارنة، نشأت، (١٩٩٢م) . طب العيون في الأندلس، مجلة دراسات الأندلسية، ع(٨)، ٣٥-٥٠ .
- أبو الخشب، إبراهيم علي . تاريخ الأدب العربي في الأندلس، دار الفكر العربي، د.ت .
- خفاجي، محمد عبد المنعم . الأدب الأندلسي التطور والتجديد، ط١، دار الجليل، بيروت، ١٩٩٢ .
- \_\_\_\_\_: الحياة الأدبية في الأندلس: العصر العباسي الثاني، ط١ .
- الداية، محمد رضوان . في الأدب الأندلسي، ط١، دار الفكر، بيروت، ودار الفكر، دمشق، ٢٠٠٠م.
- الدوري، رفاة تقي الدين، (١٩٩٩م) . الحياة العلمية والثقافية في غرناطة في عصر بني الأحمر، رسالة ماجستير، جامعة مؤتة، الكرك، الأردن، ص ٦١ .
- دوزي، رينهارت . المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب، ترجمة: أكرم فاضل، وزارة الإعلام مديرية الثقافة العامة، د.ت .
- \_\_\_\_\_ . تكملة المعاجم العربية، عدة مترجمين، وزارة الثقافة والفنون، بغداد، ١٩٦٨-٢٠٠١م.
- الدوسري، أحمد ثاني . الحياة الاجتماعية في غرناطة في عصر دولة بني الأحمر، الجمع الثقافي، أبوظبي، ٢٠٠٤م.
- الرافي، مصطفى . حضارة العرب، ط٣، دار الكتيب اللبناني، بيروت، ١٩٨١م.
- الركابي، جودت . في الأدب الأندلسي، دار المعارف، مصر، د.ت .
- الزركلي، خير الدين . الأعلام، ط٦، ٨م، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٤م.
- زمامة، عبد القادر، (١٩٧٦م) . بنو الأحمر في غرناطة، مجلة البحث العلمي، الرباط، ع(٢٦)، السنة الثالثة عشرة، ١٠١-١١٠ .

- سرميني، محمد وليد، (١٩٨٦م). خصائص الشعر الأندلسي في عصر غرناطة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة حلب، حلب، سوريا.
- شبانة، محمد كمال. يوسف الأول ابن الأحمر (سلطان غرناطة)، ط١، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ٢٠٠٤م.
- ابن شريفة، محمد. البسطي آخر شعراء الأندلس، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٥م.
- الشكعة، مصطفى. الأدب الأندلسي: موضوعاته ومقاصده، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٧٢م.
- شلبي، سعد إسماعيل. الأصول الفنية للشعر الأندلسي: عصر الإمارة، دار النهضة، القاهرة، د. ت.
- شيخة، جمعة. الفتن والحروب وأثرها في الشعر الأندلسي من سقوط الخلافة إلى سقوط غرناطة، ط١، المطبعة المغاربية، تونس، ١٩٩٤م.
- \_\_\_\_\_، (١٩٩٥م). النقد السياسي والاجتماعي في الشعر الأندلسي: ديوان القيسي نموذجاً، حويلات الجامعة التونسية، ع(٣٧): ٢٩-٥٤.
- أبو صالح، وائل. الجواربي في الأندلس، ط١، دار القلم، رام الله، ١٩٨٥م.
- الصالح، عباس مصطفى. الصيد والطرود في الشعر العربي حتى نهاية ق٢هـ، ط١، المؤسسة الجامعية، بيروت، ١٩٨١م.
- صلاح، جرار، (١٩٩٦). رياضة "الطبله" في الشعر الأندلسي في عصر بني الأحمر، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، العدد (٥٠)، ٢٩-٦٢.
- ضيف، شوقي. تاريخ الأدب العربي: عصر الدول والإمارات الأندلس، ط٢، دار المعارف، القاهرة، د. ت.
- الطرابلسي، حسناء بوزوينة. حياة الشعر في نهاية الأندلس، ط١، دار محمد علي الحامي، تونس، ٢٠٠١م.
- الطوخي، أحمد محمد. مظاهر الحضارة في الأندلس في عصر بني الأحمر، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٩٧م.

- الطيب، عبد الله. المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، ط ٢، دار الفكر، بيروت، د. ت.
- ظاهر، حمزة محمد، (٢٠٠٣م). صورة المرأة في الشعر الأندلسي في ظل بني الأحمر، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن.
- العبادي، أحمد مختار، (١٩٧٠م). الأعياد في مملكة غرناطة، مجلة معهد الدراسات الإسلامية في مدريد، المجلد (١٥): ١٣٣-١٤٩.
- عباس، فضل حسن. البلاغة: فنونها وأفنانها، ط ٧، دار الفرقان، عمان، ٢٠٠٠م.
- العبدلات، فاطمة، (٢٠٠٢م). شعر الرثاء في الأندلس في ظل بني الأحمر، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن.
- عنان، محمد عبد الله. نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين، ط ٣، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٦٦م.
- غومس، أميليو جارتيا. مع شعراء الأندلس والمتني، ط ١، ترجمة الطاهر أحمد مكّي، مكتبة وهبة عابدين، القاهرة، ١٩٧٤م.
- \_\_\_\_\_، الشعر الأندلسي: بحث في تطوره وخصائصه، ط ٢، ترجمة حسين مؤنس، دار الرشاد، القاهرة، ٢٠٠٥م.
- فرحات، يوسف شكري. غرناطة في ظل بني الأحمر: دراسة حضارية، ط ١، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٢م.
- القاسمي، جاسم بن محمد. تاريخ الحضارة العربية الإسلامية في الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة، مصر، ١٩٩٩م.
- لوثينا، لويس سيكودي. وثائق عربية غرناطية من القرن التاسع الهجري، ط ١، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، ١٩٦١م.
- مجهول. ذكر بلاد الأندلس، (تحقيق لويس مولينا)، مدريد، ١٩٨٣م.
- مجهول، (١٩٦١-١٩٦٢م). كتاب الطبخ في المغرب والأندلس في عهد الموحدين، صحيفة الدراسات الإسلامية في مدريد، المجلدان التاسع والعاشر، ١٥٥-٢٥٦.

- محاسنة، أحمد توفيق محمد (١٩٩٧م). الحياة السياسية في دولة بني الأحمر: من ٦٢٩هـ - ٨٩٧هـ، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية، عمان، الأردن.
- محفوظ، حسين علي، معجم الموسيقى العربية، دار الجمهورية، بغداد، ١٩٦٤م.
- المشهداني، محمد مولود، (١٩٩٠م). الشعر الاجتماعي في الأندلس من الفتح إلى نهاية عصر الطوائف، رسالة دكتوراه غير منشورة، الجامعة المستنصرية، بغداد.
- مكّي، الطاهر أحمد. دراسات عن ابن حزم وكتابه طوق الحمامة، ط٤، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٣م.
- \_\_\_\_\_ . الأدب الأندلسي من منظور إسباني، ط١، مكتبة الآداب، القاهرة، ١٩٩٠م.
- الملاح، ياسر. من الفجر إلى الغروب، ط١، مطبعة الإسرائ، القدس، ١٩٩٣م.
- التقراط، علي محمد. ابن الجياب الغرناطي: حياته وشعره، ط١، الدار الجماهيرية، د.ت.
- النوش، حسن أحمد. التصوير الفني للحياة الاجتماعية في الشعر الأندلسي، دار الجيل، بيروت، د.ت.
- هدية، محمد علي. الصورة في شعر الديوانيين بين النظرية والتطبيق، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٨٤م.
- الهرامة، عبد الحميد عبد الله. القصيدة الأندلسية خلال القرن الثامن الهجري: الظواهر والقضايا والأبنية، ط٢، دار الكاتب، طرابلس، ١٩٩٩م.
- الودغيري، عبد العلي، (١٩٨٧م). ملامح من المجتمع الأندلسي، مجلة البحث العلمي، جامعة محمد الخامس، المغرب، ع(٣).
- يازجي، سراب، (١٩٩٢م). الغزل في الشعر الأندلسي في ظل بني الأحمر، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة دمشق، دمشق، سوريا.